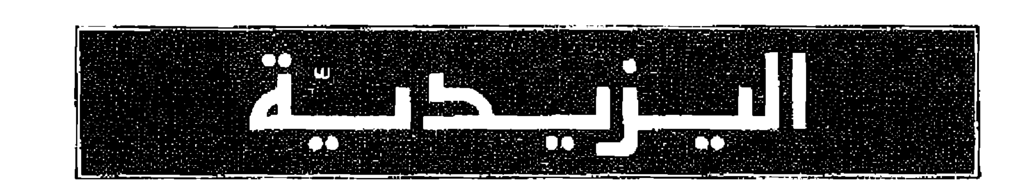
S A E E D   A L - D A I W A J I

دراسات أديان
RELIGIONS

سعيد الديوه جي

اليزيدية




اليزيدية

اليزيديّة / دراسات ـ أديان
سعيد الديوه جي / مؤلّف من العراق
الطبعة الأولى ، ٢٠٠٣
حقوق الطبع محفوظة



المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر
المركز الرئيسي :
بيروت ، الصنايع ، بناية عيد بن سالم ،
ص.ب : ٥٤٦٠-١١ ، العنوان البرقي : موكيّالي ،
هاتفاكس : ٧٥١٤٣٨ / ٧٥٢٣٠٨
التوزيع في الأردن :
دار الفارس للنشر والتوزيع
عمّان ، ص.ب : ٩١٥٧ ، هاتف ٥٦٠٥٤٣٢ ، هاتفاكس : ٥٦٨٥٥٠١
E-mail : mkayyali@nets.com.jo
الإشراف الفنّي :
سيكو ®
لوحة الغلاف :
زهير أبو شايب / الأردن
الصفّ الضوئيّ :
المؤسّسة العربيّة ، عمّان ، الأردنّ
التنفيذ الطباعيّ :
سيكو للطباعة / بيروت ، لبنان

ISBN 9953-36-107-X

دراسات أديان

RELIGIONS

سعيد الديوه جي

اليزيديّة



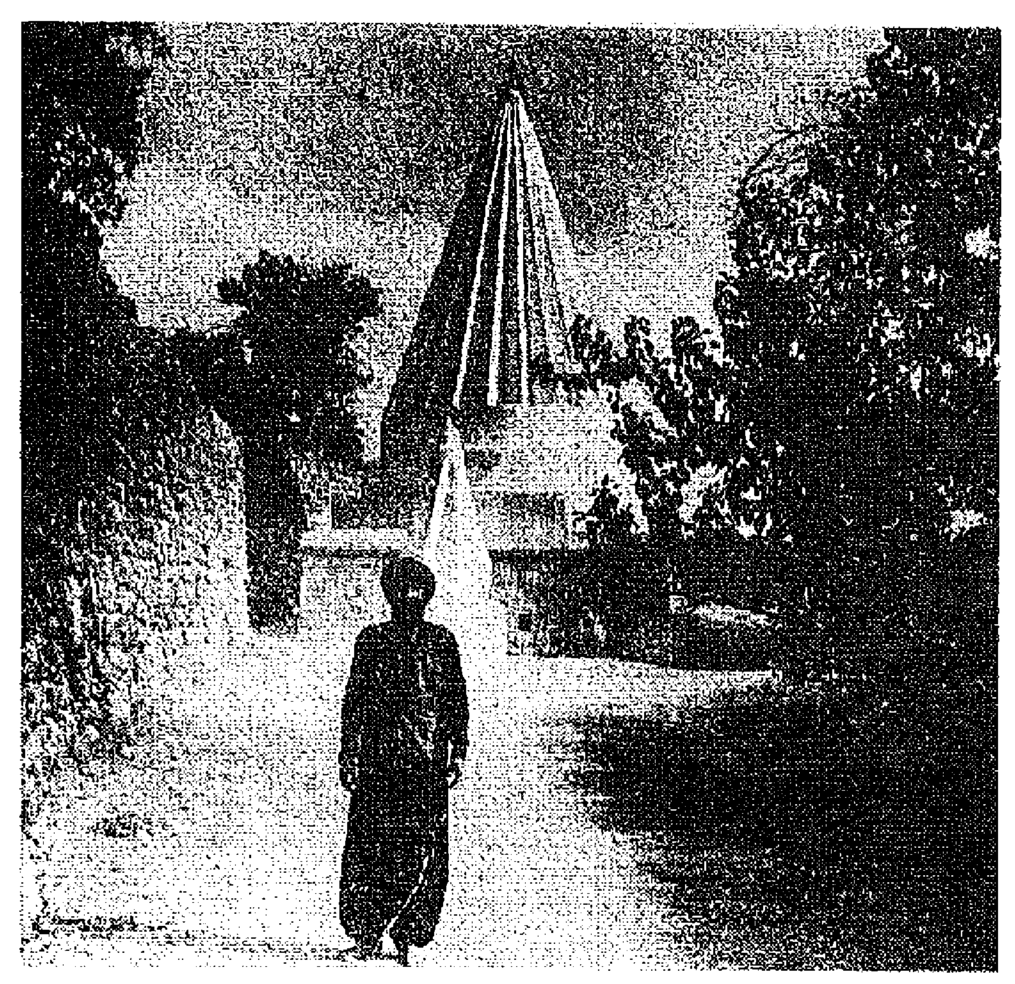


زيارة قبر الشيخ عدي بن مسافر

سعيد بك أمير اليزيدية وزوجته



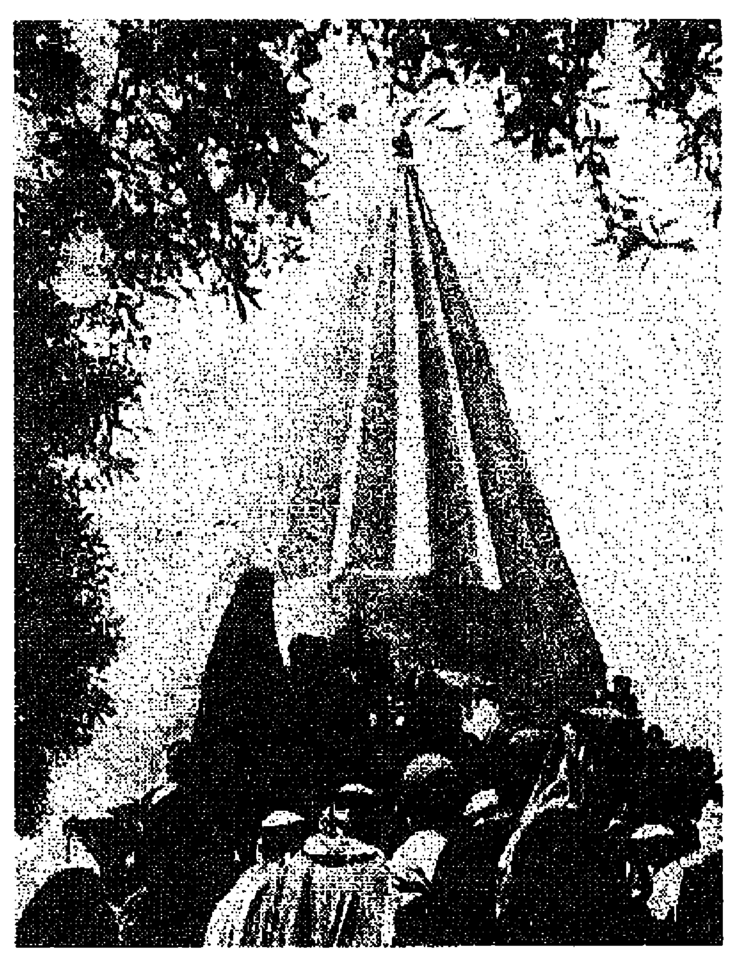
حسين بك وأخوه بجبدي بك بن علي بك بن حسن بك



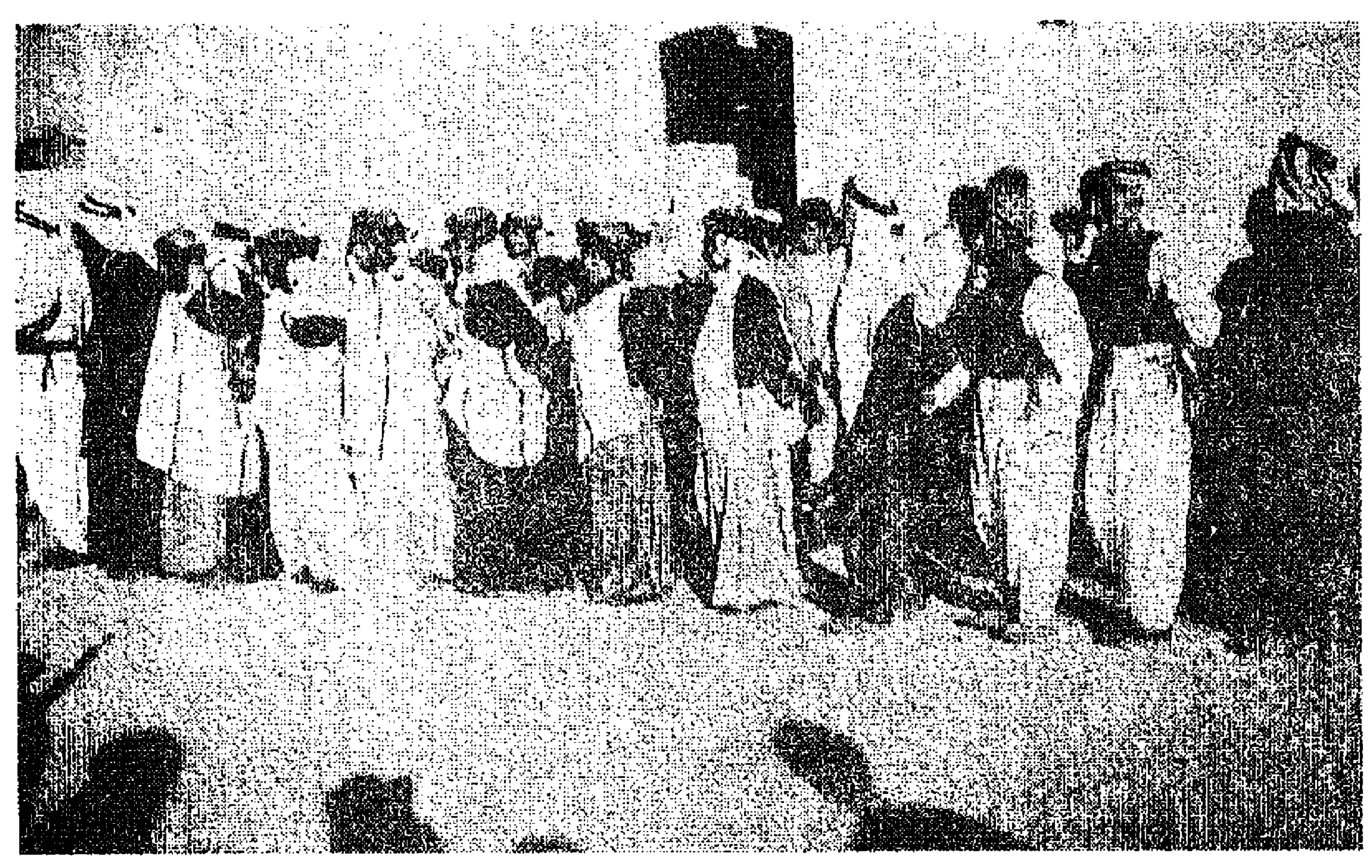
مرقد الشيخ حسن شمس الدين في لالشْ



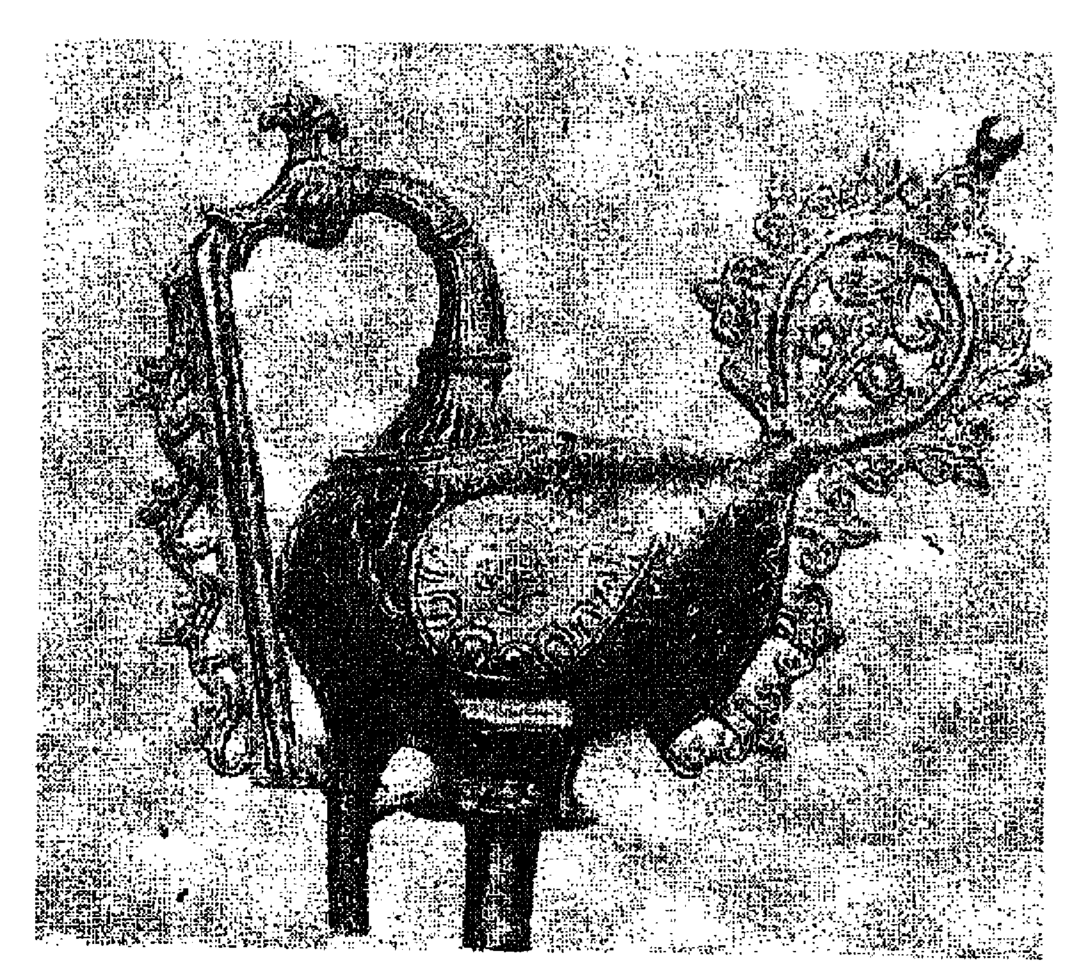
أحد اليزيدية يقبل يد الشيخ سعيد بن الشيخ خضر في سنجار



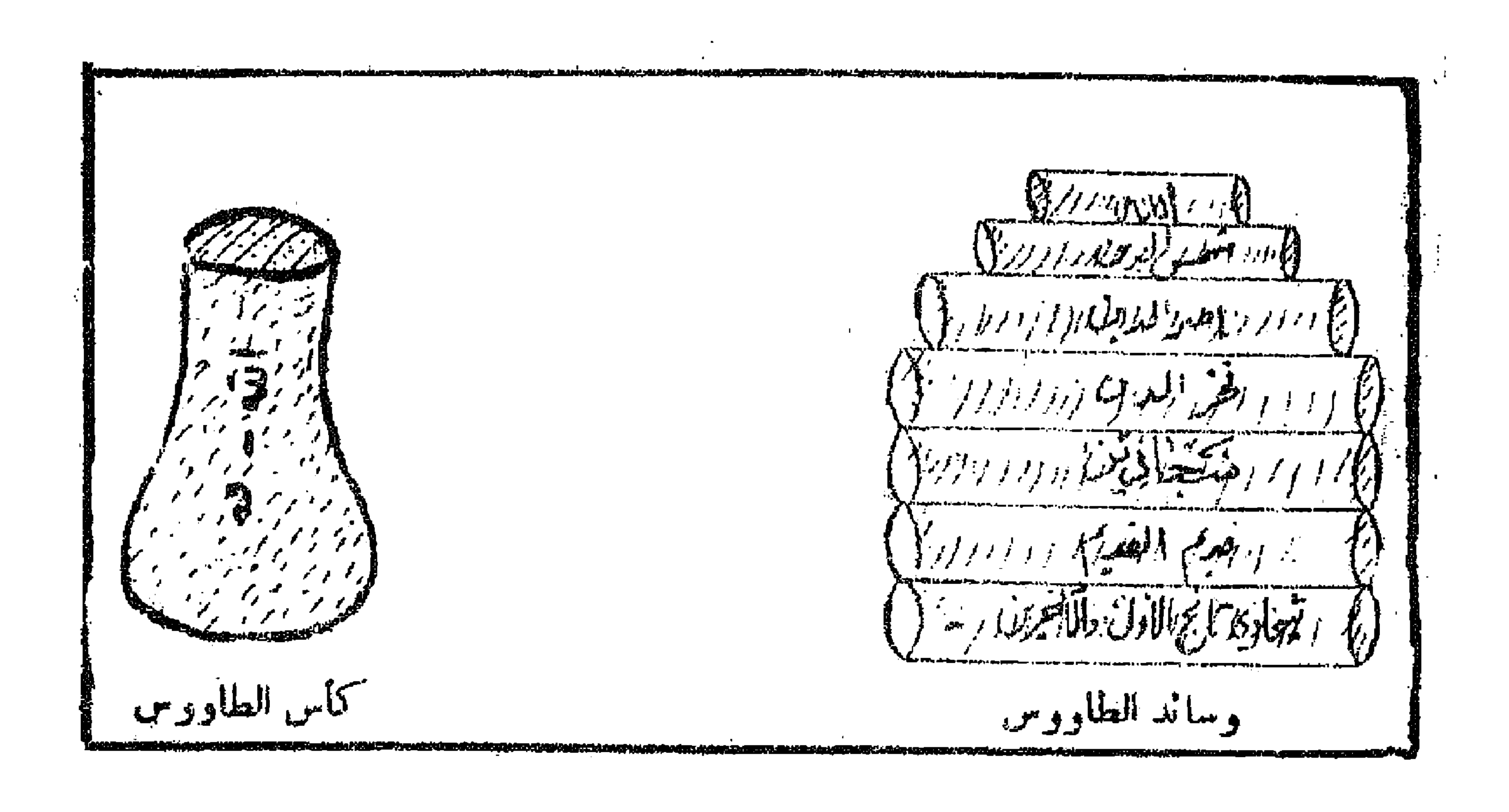
مرقد الشيخ محمد الراذاني في بعشيقة



دبكة لليزيدية في جمعة الطوافة في بعشيقة



طاووس مَلكْ



كأس الطاووس

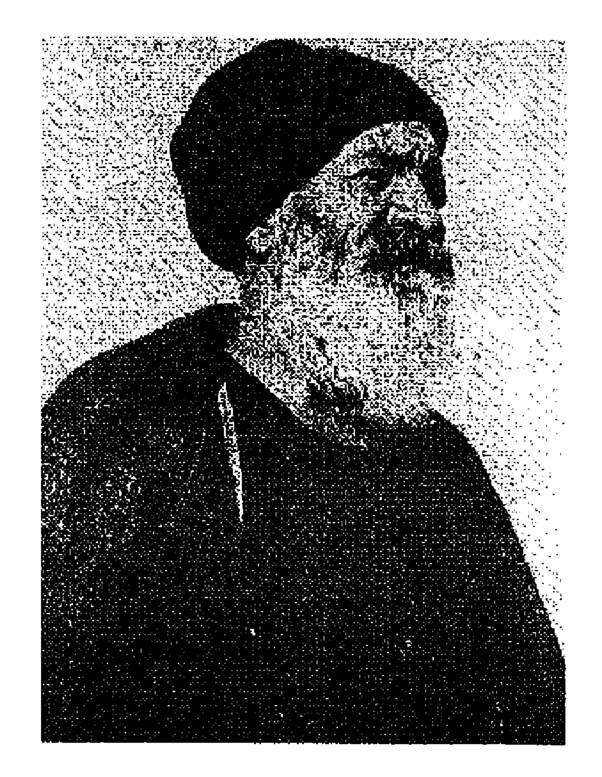
وسائد الطاووس



الرؤوساء الدينيون للطائفة اليزيدية : في الوسط بابا شيخ الرئيس الروحي للطائفة اليزيدية وعن يمينه بابا جاويش ، وبابا كافان وعن شماله كوجك صادق



مدخل المعبد «التكية العدوية» الذي يؤدي إلى ضريح الشيخ عدي



أحد فقراء الطائفة اليزيدية

ثلاثة يزيدية من سنجار



امرأتان يزيديتان

المقدّمة

يقطن اليزيدية في محافظة نينوى – في قضائي الشيخان وسنجار – وبعضهم في ولاية حلب من سورية وفي شرقي تركية وفي بلاد القفقاس . وهم قبائل متعددة كردية وعربية ، يتكلمون اللغة الكردية – إلا قليلاً منهم . – يحترمون الشيطان «طاووس ملك» ويؤلهون يزيد ابن معاوية ، وقد نسبوا إليه .

بحث كثير من الفضلاء عن هذه الطائفة وما عندهم من طقوس وعبادات ، وذهبوا مذاهب متعددة في منشأ عقيدتهم وتطورها حتى كانت ما هم عليه اليوم .

والذي نراه : أن اليزيدية حركة سياسية خالصة ، جعلت لها صبغة دينية تسير تحتها ، لتعيد الحكم إلى الأمويين – كما سنعرض لها .

إن الطموح إلى الخلافة من أهم الأسباب التي فرقت صفوف العرب والمسلمين ، فنشأت عدة فرق وأحزاب متناحرة في طلبها ، كل حزب يدعو لنفسه ، ويرى أنه أحق بالخلافة من غيره بهذا المنصب الرفيع الذي دونه كل منصب ، كان هذا بعد وفاته ﷺ وهو ما جرى في «سقيفة بني ساعدة» على من يخلف رسول الله ﷺ ، والذي حد من هذا النزاع هو حزم أبي بكر الصديق وثباته ، وشدة عمر بن الخطاب ، وإخلاص الصحابة للدين الإسلامي ، وتفشي الردة في بعض القبائل العربية ، وأن الأمر يدعو إلى تثبيت دعائم الإسلام في الجزيرة العربية والقضاء على المرتدين ، بإرجاعهم إلى حضيرة الإسلام ، وتم هذا على يد الصديق رضي الله عنه ، ثم خلفه الفاروق وقد استتب الأمر في الجزيرة العربية ورجعت القبائل المرتدة إلى رشدها فوجه المسلمين إلى الفتوحات ، واشتغلوا بما صرفهم عن أمر الخلافة .

وتولى الخلافة بعده ذو النورين بعد توليه ببضع سنين ، وعادت أكثر القبائل من الفتوحات ، وهي مثقلة بالغنائم ، وقد ذاقت حلاوة الترف والنعيم ، فشيدت الدور الجميلة والقصور ، وفيها الأثاث والرياش والخيل المسومة والعبيد ، فتطلعت إلى الخلافة – إمارة المؤمنين – وصار بعضهم يسعى إليها ، ويندد بمن يعارضه ، وتألبت بعض القبائل ، فكانت الفتنة العظمى بقتل الخليفة الشهيد ذي النورين رضي الله عنه واشتد النزاع بين بعض القبائل على الخلافة ، فكانت حركات سياسية عنيفة ، تسير تحت مبادئ جعلوا لها صبغة دينية تؤيد حقهم في الخلافة .

وادعى بعضهم أن لهم «مخلصاً منتظراً» يترقبون ظهوره ليتولى أمرهم ، ويعيد إليهم

الخلافة - كالمهدي المنتظر - فكانت فكرة المنتظر : السفياني ، والكلبي ، والقحطاني ، والتميمي والشاري ، وصاحب الرايات السود ، والمضري الخ . . . والفارسي عند الفرس[1] وسوميين عند المجوس . وغيرهم .[2]

وإذا ما قدر لإحدى الفرق النجاح ، فإن المبادئ التي سارت تحتها تكون عندهم مذهباً ، يعتنقون تعاليمه ، ويسعون بنشرها بين الناس - كما فعل الفاطميون في مصر .

وإذا ما قدر لها الفشل ، فتبقى صبغتها الدينية بين أتباعها ، وتدخلها الأساطير والخرافات والتعاليم الشاذة على مر العصور ، ولربما استحالت إلى فرقة باطنية ، أو مذهب فيه من الغلو ما يبعده عن الإسلام ، وبهذا تتحول الدعوة السياسية إلى حركة متطرفة مغالية تبعد عن الإسلام على مر العصور ، ولربما ناوأت الإسلام والمسلمين .

والمتتبع لتاريخ الإسلام يرى الكثير من هذه الحركات . كحركة المختار الثقفي ، والقرامطة ، والباطنية ، والحشاشين ، والنصيري ، والعلي اللاهية ، كلها نشأت وتطورت على هذا المنوال .

واليزيدية : فرقة إسلامية ، كانت تدعو باسم الدين لإعادة الخلافة إلى بني أمية ، ثم دخلها على مر العصور من التطرف والغلو ، ما جعلها خارجة عن الإسلام .

إن أقوى نزاع شهده العالم الإسلامي على الخلافة ، هو ما كان بين الأمويين والهاشميين ، وهذا النزاع يرجع إلى ما قبل الإسلام ، فالعداء قديم بين بني أمية وبني هاشم ، ففي الدور الجاهلي تنازعوا على زعامة مكة ، وفي الإسلام تجدد هذا النزاع على الخلافة[3] .

ففي خلافة ذي النورين حاول بعض الأمويين حمله على حصر الخلافة في بني أمية ، وقد صرح له أبو سفيان بهذا ، فقال له : لقد صارت إليك بعد تيم وعدي فأدرها كالكرة واجعل أوتادها بني أمية ، فإنما هو الملك ، ولا أدري ما جنة ولا نار فصاح به الخليفة عثمان قم فعل الله بك وفعل[4]

وبعد مقتل عثمان صعب على بني أمية أن تخرج الخلافة منهم ، وكيف يترك معاوية

---

(١) البدء والتاريخ - البلخي : ١ : ١٧٦ - ١٨٠ ، التنبيه والإشراف : ٩٤ ، خالد بن يزيد : ١٣ - ١٤ ، العبر : ٣ : ١١٠ - ١١١ .

(٢) الحيوان للجاحظ : ٦ : ١٦٢ .

(٣) (٤) النزاع والتخاصم : ١٨ - ٣١ .

الشام وما فيها من جنات ونعيم بعد أن حكمها عشرين عاماً . لذا صار المطالب بدم عثمان ، وسعى بمختلف الوسائل في استمالة القبائل العربية ودهاة الرجال حتى تم له الأمر .

وبعد وفاة معاوية ، تولى الخلافة ابنه يزيد - على كره من بعض أولاد الصحابة - فثارت بعض الأحزاب المعارضة ، وأقواها الحزب العلوي ، فكانت فاجعة كربلاء بقتل الإمام الحسين بن علي - كرم الله وجهه - فأججت الأحقاد ، وتبعتها ثورات علوية حتى انقراض الدولة الأموية .

هذه الثورات كانت من العوامل التي أقلقت الدولة الأموية ، وزعزعت أركانها ، وساعدت العباسيين في القضاء عليها .

أخذ العباسيون الخلافة باسم «رجل من آل البيت» ونجحوا في دعواهم فانتقموا من الأمويين شر انتقام ، حتى الأموات منهم لم يسلموا من التمثيل بهم ، وصار الحزب الأموي ضعيفاً ، ولجأ من سلم منهم إلى الجبال ، والأماكن المنعزلة ، ومع هذا فإنهم لم ييأسوا من استرجاع الخلافة ، كما أنهم لم يعدموا من الأنصار الذين يؤازرونهم في مطلبهم .

وعلى هذا فإنهم التفوا حول فكرة «السفياني المنتظر» وجعلوا لها صبغة دينية ، ووضعوا الأحاديث والأخبار التي تؤيد دعوتهم ، وتندد بمن عارضهم وهم العباسيون الذين أخذوا الخلافة باسم «رجل من آل البيت» .

هذه التعاليم التي وضعوها ، كانت مشابهة لما ذهب إليه العلويون أو من قام باسمهم - في تأييد دعوتهم .

والدعوة - للسفياني المنتظر - كانت منذ عهد خالد بن يزيد - المتوفى سنة ٨٥ هـ تسير إثر الدعوة العلوية ، ولم تلاق إقبالاً من الأمويين ، خاصة من أبناء مروان أصحاب الحكم في الدولة ، وأما بعد سقوط دولتهم فإنهم التفوا حولها وأيدوها ، ليستروا بها دعوتهم في استرجاع الخلافة إليهم . ثم دخلتها تعاليم متطرفة - على مر العصور - حتى كانت عقيدة اليزيدية ، التي هم عليها اليوم .

وعلى هذا فالذي نراه : أن اليزيدية فرقة إسلامية أموية ، سارت باسم الدين تدعو لبني أمية ، ومناصرتهم في إعادة الملك إليهم - الخلافة - بعد أن أخذها العباسيون باسم رجل من آل البيت ، ودخلت في أربعة أدوار .

ونجد تعاليمها تناوئ آل البيت - العلويين والعباسيين - أقوى حزب قاوم الأمويين وقضى عليهم . يؤيد لنا هذا الأمور التالية :

الدور الأول

محبة الأمويين والدعوة إلى مناصرتهم ومناوأة آل البيت

١ - الإمام علي - ومعاوية

كان مقتل الإمام ذي النورين «الفتنة الكبرى» - كما سماها الدكتور طه حسين - فرقت صفوف العرب والمسلمين ، وجعلت منهم فرقاً وأحزاباً ، كل حزب يرى أنه أحق من غيره في الخلافة - كما قدمنا - .

وأشد الأحزاب معارضة هما : الحزب الأموي ، والحزب الهاشمي - العلويون والعباسيون - فإن معاوية طالب بدم عثمان ﷺ وحارب الإمام وجرت بينهما حروب ، ثم التحكيم ، وقتل ابن ملجم الإمام علياً ﷺ ، ثم تنازل الإمام الحسن عن الخلافة لمعاوية سنة ٤٠هـ ، واستأثر هذا بالحكم .

وأما أنصار الإمام علي ﷺ فلم يهدأ لهم بال ، ولم يعترفوا بخلافة معاوية ، فظهرت مذاهب الإمامية ، وكلها ترى أن الإمامة محصورة في أبناء الإمام علي دون غيرهم[(١)] .

ثم كانت فاجعة كربلاء بقتل الإمام الحسين . فأجج هذا الحادث نار البغض والحقد على الأمويين ، أعقبها ثورات متعددة لنصرة آل البيت .

وظهرت في المدن الإسلامية فرق وشيع متباينة ، تميزت بعض المدن بالميل إلى جماعة خاصة ، والنيل من معارضيهم ، ونرى هذا جلياً في وصية محمد بن علي بن عبد الله بن العباس لدعاته إلى الأمصار «أما الكوفة وسوادها» فهناك شيعة علي وولده ، وأما البصرة وسوادها فعثمانية تدين بالكف ، وأما الجزيرة فحرورية مارقة وأعراب كأعلاج ، ومسلمون أخلاقهم كأخلاق النصارى ، وأما الشام فليس يعرفون إلا آل أبي سفيان ، وطاعة بني مروان ، عداوة راسخة وجهل متراكم ، وأما مكة والمدينة فغلب عليهما أبو بكر وعمر ، ولكن عليكم بهذا الشرق فإن هناك صدوراً سليمة ، وقلوباً باسلة لم تفسدها الأهواء ولم تعتقبها البدع . . . . الخ[(٢)] .

وكما كان للعلويين أنصار يدافعون عنهم ويؤيدونهم ، فإن معاوية والأمويين لم يعدموا

---

(١) انظر عن الإمامية وآرائهم في الإمام المنتظر : فرق الشيعة - للنوبختي ، الفرق بين الفرق : ٢١ - ٥٣ ، اعتقادات فرق المسلمين : ٥٢ - ٥٦ ، الفصل : ٤ : ١٧٩ ، ١٨٠ ، تلبيس إبليس : ٢٩٤ - ٢٩٩ صبح الأعشى : ١٣ : ٢٢٩ - ٢٥٠ .

(٢) رسالة الجاحظ إلى الفتح بن خاقان في مناقب الترك : ٩ ، ١٠ .

من أنصار ، ممن يرى رأيهم في الخلافة ويدافع عنهم ، ولم يكن هذا بالشام ، فقط بل تعداه إلى غيره من الأقطار .

وظل حب معاوية والأمويين كامناً عند كثير من أتباعهم ومن يرون رأيهم - بعد انقراض الدولة الأموية - ومع أن العباسيين حاولوا أن يمحوا كل أثر للأمويين ، فإنهم لم يقضوا على أنصارهم والمدافعين عنهم ، حتى في مقر الخلافة العباسية - بغداد - كان يظهر كلما وجد متنفساً من حاكم أو سلطان ، ثم صاروا يدعون إليه جهراً في القول والكتابة .

والجاحظ ممن كان يعلم أهواء الناس وما هم عليه من الاختلاف في الآراء والمعتقدات ، لذا نجده يؤلف عدة رسائل يرضي بها الفرق المتناحرة ، وتلاقي إقبالاً حسناً من الناس .

فألف رسالة «حجج العثمانية» ، ثم رد على هذه الرسالة بأخرى ينقض ما ذهب إليه ، وألف رسالة أخرى في «إمامة معاوية بن أبي سفيان» ، كما ألف رسالة «إمامة العباسيين» ، وأخرى «الإمامة عند الشيعة» ، وغير ذلك من الرسائل التي لاقت إقبالاً عند أهل الأهواء والفرق الإسلامية[(١)] .

ونجد طائفة من العلماء والفقهاء يناصرون بني أمية ويدافعون عنهم وألفوا كتباً في هذا .

فغلام ثعلب اللغوي الزاهد المشهور «٢٦١ - ٣٤٠ هـ» جمع كتاباً في فضل معاوية بن أبي سفيان ، فكان لا يدع أحداً يقرأ عليه ، حتى يبتدئ بقراءة ذلك الجزء[(٢)] .

وألف أبو العباس أحمد بن عبيد الثقفي الكاتب المتوفى سنة ٣١٠ هـ رسالة في بني أمية ، ورسالة في تفضيل بني هاشم وأوليائهم ، وذم بني أمية وأتباعهم[(٣)] .

وذكر المسعودي في مروجه أن أبا الوشاء علي بن مجاهد صاحب الكتاب المعروف بأخبار الأمويين . وأن أبا عبد الرحمن خالد بن هشام الأموي ألف كتاب أخبار الأمويين ومناقبهم وفضائلهم ، وما بانوا عن غيرهم وما أحدثوه من السير[(٤)] .

وألف عبد المغيث بن زهير الحربي المتوفى سنة «٥٨٣هـ» كتاباً في فضائل يزيد بن

---

(١) انظر رسائل الجاحظ - للسندوبي .

(٢) بغية الوعاة : ٦٩ - ٧٠

(٣) الفهرست : ٢١٢ .

(٤) مروج الذهب : ١ : ٥

معاوية ،[1] ورد عليه ابن الجوزي بكتابه «الرد على المتعصب العنيد المانع من ذم يزيد»[2] .

وألف شمس الدين محمد بن طولون الصالحي المتوفى سنة ٩٥٣ هـ كتابه قيد الشريد من أخبار يزيد «أوله : الحمد لله مظهر الحق ومبديه . ضمنه أخبار يزيد بن معاوية بن أبي سفيان»[3] .

وألف شهاب الدين أحمد بن حجر الهيثمي المتوفى سنة «٩٧٤هـ» كتابه : تطهير الجنان واللسان عن الحضور والتفوه بثلب سيدنا معاوية بن أبي سفيان[4] .

وأما الكتب التي ألفت في مناقب الامام علي وآل بيته فهي كثيرة جداً ، يصعب حصرها .

وممن كان يتعصب للأمويين من العلماء : إبراهيم بن يعقوب بن إسحق السعدي الجوزجاني المتوفى بدمشق سنة ٢٥٦ هـ ، كان شديد الميل إلى مذهب أهل الشام في التحامل على الإمام علي ﷺ وحب بني أمية والدفاع عنهم[5] . والعلامة رضي الدين القزويني مدرس النظامية «٥١٢ - ٥٩٠هـ» ، كان من أكابر علماء عصره ، حضر دروسه ابن الجوزي والخليفة من وراء الستار ، جلس يوم عاشوراء فقيل له : العن يزيد بن معاوية فقال : ذاك إمام مجتهد ، فرماه الناس بالحجارة ، فاختفى ، ثم هرب إلى قزوين[6] .

وابن الأرملة النحوي المتوفى سنة «٦٠٦هـ» ، كان صدر الجامع بأربل ، يقرئ النحو والقرآن ، شديد التعصب للأمويين[7] .

ونجد أكثر الناس مغالاة في حب معاوية بن أبي سفيان - في العراق - هم الحنابلة ، وجرت لهم وقائع مع الشيعة ، واستمرت إلى انقراض الدولة العباسية ، وكانت من العوامل التي أدت إلى انقسام الأمة وضعف الدولة . وسبب هذا - على ما نرى - أن الإمام أحمد

---

(١) الكامل : ١١ : ٢٣٠ .

(٢) كشف الظنون : ٦٣٩

(٣) فهرس المخطوطات المصورة : ٢ : ١١٨

(٤) طبع في مصر مع الصواعق المحرقة سنة ١٣٨٥ هـ

(٥) ابن عساكر : ٢ : ٣١٠ - ٣١١ .

(٦) ابن كثير : ١٣ : ٩ ، النجوم الزاهرة : ٦ : ١١٣ ، شذرات الذهب : ٤ : ٣٠٠ ، وفي مضمار الحقائق (ص : ١٢٠ - ١٢١) يذكر تفصيل الحادثة

(٧) بغية الوعاة : ٣٨٧ .

ابن حنبل رحمه الله كان معتدل الرأي في معاوية بن أبي سفيان ، وقد سئل مرة : أيما أفضل ، معاوية أو عمر بن عبد العزيز؟ فقال : لغبار لحق بأنف جواد معاوية بين يدي رسول الله ﷺ خير من عمر بن عبد العزيز رحمه الله وأماتنا على محبته[1] .

وكان أتباعه على هذا ، ولما أخذ بعض الخلفاء والبويهيين من بعدهم بسب بعض الصحابة – ومنهم معاوية – فإن الحنابلة غالوا في حب معاوية ويزيد ، وهذا البغض والمحبة كانت تسري بين كافة طبقات الشعب ، وحتى المستجدون ، فإنهم كانوا يستغلون هذا النزاع المذهبي . جاء في نشوار المحاضرة[2] قال : حدثني جماعة من شيوخ بغداد : أنه كان بها في طرف الجسر سائلان أعميان ، يتوسل أحدهما بأمير المؤمنين علي عليه السلام والآخر بمعاوية ، ويتعصب لهما الناس وتجيئهما القطع دارة ، فإذا انصرفا جميعاً ، اقتسما القطع ، فإنهما كانا شريكين ، يحتالان بذلك على الناس .

وقال الجماز : سمعت سائلاً يقول : من يعطيني قطعة حباً لهند حَماةِ رسول الله ﷺ ، وقال آخر : من يعطيني قطعة حباً للأمينين : جبريل ومعاوية[3] .

يقول البشاري المقدسي : حنابلة العراق غالية مشبهة ، يفرطون في حب معاوية ، ويروون بذلك أخباراً منكرة ، ومشبهة وبربهارية[4] . وكنت يوماً بجامع واسط ، وإذا برجل قد اجتمع عليه الناس فدنوت منه فإذا هو يقول : حدثنا فلان عن فلان عن النبي ﷺ إن الله يدني معاوية يوم القيامة ، فيجلسه إلى جنبه ، ويغلفه بيده ، ثم يجلوه على الخلق كالعروس ، فقلت له : بماذا ؟ قال : بمحاربته علياً – رضي الله عن معاوية – ، وكذبت أنت يا ضال ، فقال خذوا هذا الرافضي ، فأقبل الناس علي فعرفني بعض الكتبة فكركرهم عني[5]

وذكر صاحب مرآة الزمان[6] ما يجري بين الشيعة والسنة بسبب هذا الحب المفرط من

---

(١) شذرات الذهب : ١ : ٦٥

(٢) ١ : ٢٨١ .

(٣) البصائر والذخائر : ٤ : ٤١

(٤) نسبة إلى أبي محمد الحسن بن علي بن خلف البربهاري – شيخ الحنابلة في وقته – من أهل بغداد جمع العلم والزهد ، وكان شديداً على أهل البدع مات متستراً سنة ٣٢٩هـ (المنتظم : ٦ : ٣٢٣ ، الكامل : ٨ : ٢٨٢)

(٥) أحسن التقاسيم : ١٢٦

(٦) ٣ : ٤٠

كلا الجانبين ، قال :

ففي سنة ٤٢٢ هـ عزم الصوفي الملقب بالمنصور على الغزو ، فكتب له السلطان منشوراً ، وقصد الجامع لقراءة المنشور ، وبين يديه الرجال بالسلاح يترضون على الشيخين ، وصاحوا : هذا يوم معاوي «معاوية» ، قلت : يعنون إظهار شعار معاوية بن أبي سفيان ، في الذكر لأبي بكر وعمر ، دون علي رضي الله عنهم فحصبهم أهل الكرخ ، فثارت الفتنة واضطربت الناس .

وقال السمعاني المتوفى سنة ٥٦٢ هـ عند كلامه عن مادة اليزيدية : وجماعة كثيرة لقيتهم بالعراق في جبال حلوان ونواحيها من اليزيدية ، وهم يتزهدون في القرى التي في الجبل ، ويأكلون «الحال»[١] ، وقلما يخالطون الناس ، ويعتقدون الإمامة في يزيد بن معاوية ، وكونه على الحق ، ورأيت جماعة منهم في جامع المرج[٢] عند منصرفي من العراق – يوم الجمعة – وقد حضروا الجامع للصلاة . هذا ما كان عند أهل العراق من حب معاوية ويزيد والأمويين .

أما بلاد الجزيرة : فكانت موالية للأمويين ، وبعضهم حرورية خوارج[٣] كما وصفهم

---

(١) بعض أصحاب الطرق الصوفية يرقون على قطعة خبز أو كوب ماء . فإذا أكل منه شخص أو شرب ، فإنه يكون قد أكل الحال أو شربه ، وإذا سمع هذا التواشيح الدينية التي تنشد في حفلات المولد النبوي ، فإنه يصير في غيبوبة : تتشنج أعصابه ، ويرعد ويزبد ويفقد وعيه ، وعندئذ يشير الشيخ إلى المنشدين أن يرفعوا أصواتهم ، ويتقدم هو إلى شارب الحال ويصرخ بأذنه (الله أكبر) عدة مرات ، فيرتعد هذا ويفيق بصورة تدريجية ، وقد شاهدت هذا بنفسي في عدة حفلات للمولد النبوي وشرب أمامي بعضهم الحال – ولم يكن قد شربه قبل هذا – وبعد دقائق أخذه الحال – كما يقولون – وكان من أمره ما ذكرنا . وأهل الموصل إذا ما شاهدوا شخصاً يغضب سريعاً ويندفع بكلامه من غير وعي ، يقولون عنه تهكماً (هذا شربان حال : أو أخذه الحال) أو هو من أهل الحال – وأهل بغداد يقولون : (لزمه الحال) إذا غاب عن الوجود . وللحال معان أخرى ذكرها الدكتور داود الجلبي (اليزيدية للعزاوي : ٩ ، ١٠)

(٢) مرج القلعة : بينه وبين حلوان منزل ، وهو من حلوان إلى جهة همدان (معجم البلدان : ٨ : ١٦) وهو على طريق العراق إلى جهة همدان (المشترك وضعاً : ٣٩٣)

(٣) جاء في (مروج الذهب : ٢ : ١١٥) : من بلاد الخوارج سنجار وتلعفر من بلاد ديار ربيعة والسن والبوازيج والحديثة مما يلي بلاد الموصل ، ثم من سكن من الأكراد بلاد أذربيجان وذكر ابن خلدون عن بني شيبان : (٢ : ٦٢٧) وكانت لهم كثرة في صدر الإسلام شرقي دجلة من جهات الموصل . وأكثر أئمة الخوارج في ربيعة منهم .

محمد بن علي العباسي ، وكانت الموصل قاعدة بلاد الجزيرة من المدن التي عني بها الأمويون ، لتعلق أهلها بهم ؛ وسعوا المدينة وحفوها بسور ، ونصبوا لها جسراً ، واتخذوها قاعدة لبلاد الجزيرة ، وظل المواصلة على حب الأمويين ، حتى بعد انقراض دولتهم ، وهذا ما حمل العباسيين سنة ١٣٣ هـ أن يفتكوا بالمدينة فتكاً ذريعاً : قتلوا أكثر رجالها ، وتعطلت أسواقها عدة سنين ، ولكن هذا لم يصرفهم عن حب بني أمية[١] .

ولما أراد الحمدانيون نشر المذهب الشيعي في الموصل ، لم يلاقوا إقبالاً من أهلها ، ولما همّ الحمدانيون سنة ٣٣٦هـ بعمارة قبر عمرو بن الحمق الخزاعي - وهو من الصحابة الذين نصروا الإمام علياً ﷺ وثبتوا على هذا بعد موته - هجم أهل البلد على المرقد وهدموه .[٢]

كما أن العقيليين على مغالاتهم ، في تشيعهم وأنهم خطبوا للخليفة الفاطمي في الموصل سنة ٤٠١هـ ، فإن هذا لم يثن أهل البلد عما كانوا عليه من حب للأمويين[٣] .

روى السمعاني عن الحسن بن بندار البروجردي : أنه نزل عليهم بسنجار مجتازاً ، ودخل مسجداً لهم ، فسأله واحد من اليزيدية : ما قولك في يزيد ؟ فقال : أيش أقول فيمن ذكره الله في كتابه في عدة مواضع حيث قال : ﴿يزيد الله في الخلق ما يشاء﴾ ، ﴿ويزيد الله الذين اهتدوا هدى﴾ فأكرموني وقدموا لي الطعام الكثير[٤] .

وإن سنجار وجبالها من الأماكن التي يكثر فيها اليزيدية ، وخاصة جبل سنجار ، فإنه كان - ولم يزل - من معاقلهم .

أما بدر الدين لؤلؤ - صاحب الموصل - فإنه حاول نشر المذهب الشيعي في الموصل ، وشيد المراقد الكثيرة لأبناء آل البيت ، يريد بذلك مقاومة الحركة العدوية - وهي حب بني أمية وإرجاع الحكم إليهم - وفتك برجالهم ، ولكنه لم يؤثر على ما كانت عليه - بل إن بعض العلماء كان يؤلب الناس عليه بخطبه[٥] .

---

(١) تاريخ الموصل - للأزدي ، في حوادث سنة ١٣٣هـ ، الكامل : ٥ : ١٨٠ .

(٢) الموصل في العهد الأتابكي : ١٦٦

(٣) الكامل : ٩ : ٧٦ ، المختصر ٢ : ١٣٩ - ١٤٠ ، وفي النجوم الزاهرة ، ٤ : ٢٢٤ - ٢٢٦ . نص الخطبة التي ألقيت في جامع الموصل يوم الجمعة رابع محرم من السنة المذكورة .

(٤) الأنساب : مادة اليزيدية .

(٥) ترجمة الأولياء : ٧ - ٩ .

أما أهل الشام : فإنهم كانوا من أشد الناس تعصباً للأمويين ، حاربوا معهم بسيوفهم - في حياتهم - ولم تنقطع ألسنتهم عن مدحهم والتعصب لهم - بعد مماتهم - وربما بالغوا في هذا كثيراً ، وبلغ من غلوهم أنهم كانوا يسمون الإمام علياً وأولاده رضي اللّه عنهم أعداء الله .

قال الإمام الأوزاعي : كانوا يستحبون أن يحدثوا أهل الشام بفضائل أهل البيت ، ليرجعوا عما كانوا عليه من الغلو في بغضهم[١] .

وذكر المسعودي أنه رأى سنة ٣٣٢هـ قبر معاوية بالباب الصغير بدمشق ، وهو يزار ، وعليه بيت مبني يفتح كل اثنين وخميس[٢] .

ومن غلوهم ما رواه المدائني «١٣٥ - ٢٢٥هـ» أنه قال : قال لي رجل : كنت بالشام ، فجعلت لا أسمع أحداً يسمى علياً ولا حسناً ولا حسيناً ، وإنما أسمع : معاوية ويزيد والوليد ، قال : فمررت برجل جالس على باب داره - وقد عطشت - فاستسقيته ، فقال : يا حسن اسقه ، فقلت له : أسميت حسناً ؟ فقال أي والله ، إن لي أولاداً أسماؤهم حسن وحسين وجعفر ، فإن أهل الشام يسمون أولادهم بأسماء خلفاء الله ، ولا يزال أحدنا يلعن ولده ويشتمه ، وإنما سميت أولادي بأسماء أعداء الله ، فاذا لعنت فإنما ألعن أعداء الله ، فقلت له : ظننتك خير أهل الشام ، وإذا جهنم ليس فيها شر منك .[٣]

ومما جاء عن مغالاة أهل الشام في حب الأمويين وأنصارهم ، ما ذكره ابن عساكر في تاريخ دمشق[٤] قال أبو يحيى السكري : دخلت مسجد حلقة ، في صدرها شيخ جالس ، فجلست إليه ، فقال له رجل أمامه : من علي ابن أبي طالب ؟ فقال : خفّاق كان بالعراق ، اجتمعت عليه جماعة ، فقصد أمير المؤمنين ليحاربه ، فنصره الله عليه ، قال فاستعظمت ذلك ، وقمت فرأيت في جانب المسجد شيخاً يصلي إلى سارية ، حسن السمت والصلاة والهيبة ، فقلت له : يا شيخ أنا رجل من العراق ، جلست إلى تلك الحلقة - وقصصت عليه القصة - فقال : في هذا المسجد عجائب ، بلغني أن بعضهم يطعن على أبي محمد الحجاج ابن يوسف الثقفي ، فعلي ابن أبي طالب من هو ؟ ثم جعل يبكي ، فقمت وقلت : لا

---

(١) ابن عساكر : ١ : ٣٤٩

(٢) الحضارة الإسلامية : ١ : ١٠٦ والذي بنى القبر هو أحمد بن طولون سنة ٢٧٠ هـ (المنتظم : ٥ : ٧٣)

(٣) معجم الأدباء : ١٤ : ١٢٨ - ١٢٩

(٤) ١٠ : ٨٠

أستحل أن أبيت في هذا البلد[1] .

ودخل الإمام النسائي (المتوفى سنة ٣٠٣ هـ) بالشام - وكان يتشيع - فسأله أهل الشام : أي الرجلين أفضل علي أم معاوية ؟ فقال : أما يرضى معاوية أن يكون رأساً برأس ، حتى يطلب أن يكون أفضل من علي؟ فما زالوا يرفسونه حتى أغمي عليه فمات[2] .

ومن طريف ما يروى عن أهل الشام : أنفذ عبد الله بن علي إلى السفاح مشيخة من أهل الشام ، يطرفه بعقولهم ، وأنهم حلفوا له أنهم ما علموا أن لرسول الله ﷺ قرابة يرثونه غير بني أمية ، حتى وليتم أنتم[3] .

وذكر المقريزي أيضاً في حوادث سنة ٣٩١ هـ : وقبض على رجل شامي قال : لا أعرف علي بن أبي طالب - وأقول إن النبي ﷺ مرسل ، غير أني لا أعرف علي بن أبي طالب ، فحبس ، وروجع ، فأصر على أنه لا يعرف علياً ، فضربت عنقه وصلب[4] .

ونجد في منامات الوهراني وصفاً دقيقاً يتعلق بما كان عليه أهل الشام والأكراد في حب معاوية ويزيد والأمويين ، وذكر : أما هذا فإنه رجل عليمي وهو فخذ من كلب بن وبرة[5] من أخوال أمير المؤمنين ، وأما هذا فإنه دمشقي من عبيد أمير المؤمنين .

ويذكر عن أهل الشام ، وشدة تعلقهم بالأمويين «يا بقر الشام ، يا شيعة الطاغوت ، يا عبيد الطلقاء» .

ويدعو لشخص فيقول : فنسأل الباري جلت قدرته أن ينفعك بالإيمان والإسلام ، وأن لا يوقعك يوم القيامة في يد علي بن أبي طالب - عليه السلام - وأن يستنقذك من أمك الهاوية بشفاعة أمير المؤمنين معاوية[6] .

وجاء عن الرقة - وهي من بلاد الشام - وفي أهلها ولاء لبني أمية شديد[7] . وأما أهل حران : فكانوا يغالون في بغض الإمام علي ، ومحبة بني أمية ، ولما أمر عمر بن عبد العزيز

---

(١) يروي ابن عساكر هذه القصة أيضاً عن أهل حمص (١ : ٨٠ - ٨١)

(٢) الفلاكة والمفلوكون : ١٢٥

(٣) الهفوات النادرة : ٣٧١

(٤) اتعاظ الحنفا : ٢ : ٣٩

(٥) بنو كلب : أخوال خالد بن يزيد ، وهم الذين وضعوا حديث الكلبي المنتظر : لمناصرة السفياني المنتظر

(٦) (ص : ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٩)

(٧) صورة الأرض : ٢٢٦

برفع اللعن عن الإمام علي ، وتلاوة الآية ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون﴾ أبوا وقالوا : لا صلاة إلا بلعن أبي تراب[١] .

وأما في حمص : فكان أدهم بن محرز - وهو أول مولود في الإسلام بحمص - يقول : إن أمه شهدت صفين ، وقاتلت مع معاوية ، وطالبت بدم عثمان ﷺ وما أحب أن لي بذلك حمر النعم[٢] .

وكان حصن مسلمة بن عبد الملك تسكنه طائفة من بني أمية ، كما كان أهل معان من بني أمية مواليهم وهو حصن الشراه في نفس الوقت[٣] .

أما في الأكراد والجبال : فإنهم كانوا يتعصبون للأمويين ، ويمقتون الشيعة ، جاء في ترجمة أحمد بن محمد الجزري الأديب الشاعر المتوفى سنة ٦٥١ هـ وكان شيعياً غالياً - ان الأكراد كانوا يكفرونه ويمقتونه .

وكان أهل الجزيرة أكراداً ، يقول خطيبهم : اللهم ارض عن معاوية الخال ، ويزيد المفضال[٤] .

ومن أعجب الأمور أن يكون الكردي شيعياً ، جاء عن الإمام نور الدين أبي طالب عبد الرحمن بن عمر البصري الضرير - نزيل بغداد - (٦٢٤ - ٦٨٤هـ) عقد مجلس بالمستنصرية للمظالم ، وأنه جلس بجانب الشيخ بهاء الدين بن الفخر عيسى - كاتب ديوان الإنشاء - وتكلم الجماعة فنزل الشيخ نور الدين عليهم بالبحث ، ورجع إلى قوله ، فقال له الفخر عيسى : من أين الشيخ ؟ قال : من البصرة ، قال والمذهب ؟ قال : حنبلي . قال : عجيب ، بصري حنبلي . فقال الشيخ : هنا أعجب من هذا : كردي رافضي . فخجل ابن الفخر - وكان كردياً رافضياً - والرفض في الأكراد معدوم أو نادر[٥] .

ويظهر لنا شدة محبة الأكراد لمعاوية وابنه يزيد ، مما رواه الوهراني في مناماته[٦] أنهم

---

(١) مروج الذهب : ٢ : ٢٠٥

(٢) معجم البلدان : مادّة حمص .

(٣) الكرخي : ٥٤

(٤) الخزانة الشرقية : ١ : ٣١

(٥) شذرات الذهب : ٥ : ٣٨٧

(٦) (ص : ٥٤ - ٥٥)

كانوا يسلمون على يزيد بقولهم : السلام عليك يا إمام العدل ، السلام عليك يا خليفة الله في الأرض ، السلام عليك يا ابن عم رسول الله ، السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ، نفعنا الله بطاعتك ، وأدخلنا في شفاعتك ، ورفع درجتك في الجنة ، كما رفعها في الدنيا .

وأن يزيد بن معاوية يقول للقاضي صدر الدين : أوصيك بأصحابك الأكراد خيراً[1] ، وهذا يدلنا ما كان عليه الأكراد من المغالاة في حب يزيد بن معاوية .

ونجد بعض القبائل والأسر الكردية في الجبال صاروا ينتسبون إلى جد أموي . وسنعرض لهذا عند بحثنا عن سبب انتشار اليزيدية في الجبال قبل غيرها من البلاد .

وأما في مصر : ففي سنة (٢٧٠ هـ = ٨٨٣م) بنى أحمد بن طولون - صاحب مصر - أربعة أروقة على قبر معاوية بن أبي سفيان ، وأمر أن يسرج هناك ، وأجلس قوماً معهم المصاحف يقرؤون القرآن الكريم[2] .

ثم جاءت الدولة الإخشيدية (٣٢٣ - ٣٥٧هـ = ٩٣٤ - ٩٦٧م) وطبعت هذا في السودان من الجند ، على كثرتهم وسطوتهم[3] .

ثم كثر القول : معاوية خال علي ، وكان على باب الجامع العتيق شيخان من العامة ، يناديان في كل جمعة في وجوه الناس من الخاص والعام : معاوية خالي وخال المؤمنين ، وكاتب الوحي ، ورديف رسول الله ﷺ ، وجرت فتن بسبب هذا بين الشيعة والسنة[4] . وهكذا كانت مصر لا تخلو من فتن في أيام الدولة الإخشيدية والفاطمية ، ومن ذلك أنه نشب في سنة (٣٥٠ هـ = ٩٦١م) قتال بين السودان والترك وبين الشيعة[5] .

ومن طريف ما جاء أن شيعياً أرادوا أن يغيظوه فقالوا له : معاوية خالك؟ فقال لا أدري أمي نصرانية والأمر إليه[6] .

---

(١) منامات الوهراني : من الكتب التي تصف الحالة الاجتماعية والسياسية في الشام - في القرن السادس للهجرة .

(٢) المنتظم : ٥ : ٧١

(٣) اتعاظ الحنفا : ١ : ١٤٦

(٤) الخزانة الشرقية : ١ : ٣٠

(٥) الحضارة الإسلامية : ١ : ١٠٨

(٦) معجم الأدباء : ١ : ٢٦٨ .

وكان السنة إذا أرادوا أن يغيظوا الفاطميين صاحوا : معاوية خال علي ، فكانوا يتسامحون معهم أول الأمر .

ففي سنة (٣٦١هـ = ٩٧١م) في شهر رمضان قبض على عجوز عمياء تنشد في الطريق وحبست ، فصرخ جماعة من الرعية ونادوا بذكر الصحابة وصاحوا معاوية خال المؤمنين ، وخال علي ، فبعث جوهر ، ونادى في الجامع العتيق : أيها الناس أقلوا القول ، ودعوا الفضول ، فإننا حبسنا العجوز صيانة لها ، فلا ينطق أحد إلا حلت عليه العقوبة الموجعة[١] .

وفي سنة (٣٦٢هـ = ٨٧٥م) اتخذ أهل مصر - كما كان في بغداد - بعد عيد الغدير بثماني أيام عيداً لهم وهو اليوم الذي دخل فيه رسول الله ﷺ الغار هو وأبو بكر ، وبالغوا في هذا اليوم في السرور وإظهار الزينة ونصب القباب وإيقاد النيران[٢] .

كان التطرف في حب معاوية في مصر يؤدي إلى فتن وانقسام بين المسلمين ، واشتد هذا خلال الدولة الفاطمية ، فتسامحوا معهم أول الأمر ثم قابلوهم بشدة وعنف ، فخفت صوت السنة وأنصار الأمويين ، خاصة في عهد الحاكم بأمر الله الفاطمي ، فإنه أمر بسب الصحابة ، وضيق على أهل السنة وأظهر شعائر الشيعة من نوح وعزاء وغالى في هذا كثيراً .

ومن طريف ما جاء أنه في سنة ٣٩٥هـ قرئ سجل في الأطعمة بالمنع من أكل الملوخية التي كانت محبّبة لمعاوية بن أبي سفيان ، والبقلة المسماه بالجرجير المنسوبة إلى عائشة رضي اللّه عنها ، والمتوكلية المنسوبة إلى الخليفة المتوكل على الله العباسي[٣] .

وفي سنة (٥٦٧هـ = ١١٧١م) مات آخر خليفة فاطمي في مصر ، واستولى صلاح الدين على البلاد وأزال منها ما كان قد ابتدعه الفاطميون ، ونشر مذهب أهل السنة فيها ، وأمر بذكر العشرة المبشرة على المنابر ، وأعاد الاحتفال بيوم عاشوراء كما كان عليه أهل الشام وعند السنة في العراق[٤] .

أما أهل الأندلس : فكان الغالب عليهم مذهب الإمام مالك ، وهو مذهب الدولة الأموية فيها ، ولم يكن للشيعة فيها ذكر ، لذا لم يكن فيها أثر للنزاع المذهبي ، وكان ذكر

---

(١) اتعاظ الحنفا : ١ : ١٣٠ - ١٣١

(٢) اتعاظ الحنفا : ١ : ١٤٢ وفي خطط المقريزي : ٢ : ٢٢٢ - ٢٢٥ وصف لما كان يفعله الفاطميون في عيد الغدير .

(٣) اتعاظ الحنفا : ٢ : ٥٣

(٤) خطط الشام : ٢ : ٣٨٥ ، الصواعق المحرقة : ١٠٥ - ١١٠ .

معاوية والأمويين مقروناً بالاحترام من غير مغالاة - اللهم إلا ابن حزم الظاهري (٣٨٤ - ٤٥٦هـ = ٩٩٤ - ١٠٦٣م) فانه كان من المتشيعين للأمويين ماضيهم وحاضرهم ، وقد أخذ عليه ياقوت الحموي تشيعه لأمراء بني أمية - ماضيهم وباقيهم بالمشرق والأندلس - واعتقاده بصحة إمامتهم ، وانحرافه عن سواهم من قريش ، حتى نسب إلى التعصب لغيهم(١) .

نجد هذا التطرف في حب معاوية في أصفهان وبلاد ما وراء النهر : روى ابن فضلان عن أهل خوارزم فقال : وهم أوحش الناس كلاماً وطبعاً ، وكلامهم أشبه شيء بنقيق الزرازير ، وبها قرية يقال لها «أردكو» أهلها يقال لهم «الكردلية» كلامهم أشبه بنقيق الضفادع وهم يتبرؤون من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في دبر كل صلاة(٢) .

وجاء عن أهل أصفهان ما ذكره البشاري المقدسي قال : في أهل أصفهان بله وغلو في معاوية ، وصف لي رجل بالزهد والتعبد فقصدته ، وتركت القافلة خلفي ، وبت عنده تلك الليلة ، وجعلت أسائله إلى أن قلت له : ما قولك بالصاحب بن عباد ؟ فجعل يلعنه ، ثم قال : إنه أتانا بمذهب لا نعرفه . قلت ما هو ؟ قال : يقول : معاوية لم يكن مرسلاً ، قلت : وما تقول أنت؟ قال : أقول كما قال الله عز وجل : ﴿لا نفرق بين أحد من رسله﴾ أبو بكر كان مرسلاً ، وعمر كان مرسلاً - حتى ذكر الأربعة - ثم قال : ومعاوية كان مرسلاً ، قلت : لا تفعل ، أما الأربعة فكانوا خلفاء ، ومعاوية كان ملكاً ، قال النبي صلى الله عليه وآله : «الخلافة بعدي إلى ثلاثين ثم تكون ملكاً» فجعل يشنع عليّ ، وأصبح يقول : هذا رافضي ، فلو لم تدركني القافلة لبطشوا بي ، ولهم في هذا الباب حكايات كثيرة(٣) .

وذكر عن اليهودية قصبة أصفهان : أن أهلها يفرطون في معاوية .

هذا بعض ما عثرنا عليه مما كان في أمر المغالاة في حب بني أمية ومعاوية في بلاد الإسلام . والذي كان كامناً في الصدور يتناقله الأولاد عن الآباء ، وكلما وجدوا متنفساً أظهروه ، وجهروا به على ملأ الأشهاد .

واليزيدية : من الفرق التي غالت في حب الأمويين ومعاوية وابنه يزيد ، وما زالوا

---

(١) معجم الأدباء : ١٢ : ٢٤٩ - ٢٥٠

(٢) رحلة ابن فضلان : ٨٢ ، معجم البلدان : ٣ : ٤٧٨

(٣) أحسن التقاسيم : ٣٩٩ . ويقول المقدسي أيضاً عن أهل أصفهان وهمدان والري وما إليها من بلاد فارس : إما غوالٍ حنابلة يفرطون في حب معاوية أو نجارية غالية يقطعون بالكفر على الطوائف الهادية (٣٨٤)

يغالون في يزيد حتى اتخذوه إلهاً[١] .

وللبيزيدية عيد يسمونه «عيد يزيد» يصوم اليزيدية الأيام الثلاثة التي تسبق أول جمعة من شهر كانون الأول - بالحساب الشرقي - ويجعلون اليوم الرابع - الجمعة - عيداً يسمونه : «عيد صوم يزيد» زاعمين أن يزيد بن معاوية ولد في هذا اليوم .

٢ - يوم عاشوراء

في العاشر من محرم سنة ٦١ هـ قتل الإمام الحسين بن علي رضي اللّه عنهما ، فهو يوم كرب وبلاء على العلويين وأشياعهم ، يظهرون فيه الحزن والنياحة والعزاء على ابن بنت رسول الله ﷺ .

أما الأمويون وأشياعهم : فكانوا بالعكس من هذا ، فإن الحجاج بن يوسف الثقفي اتخذ هذا اليوم يوم سرور وفرح في العراق ، على ما كان عليه أهل الشام - يظهرون الفرح والسرور ، ويصنعون الحلاوات ، ويتخذون الأواني الجديدة ، ويدخلون الحمام ، ويوسعون على عيالهم ، ليرغموا بذلك شيعة علي بن أبي طالب رضي الله عنه [٢] .

وذكر القزويني عند كلامه عن شهر صفر : اليوم الأول منه عيد عند بني أمية ، أدخل فيه رأس الحسين عليه السلام دمشق[٣] وعلى مر العصور زاد الأمر عند الطرفين .

يقول القمي المتوفى سنة (٣٥٥هـ = ٩٦٦م) منددا بمن يفرح في يوم عاشوراء ، ويظهر فيه ما يغيظ العلويين وأنصارهم : «من ترك السعي في حوائجه يوم عاشوراء قضى الله له حوائج الدنيا والآخرة ، ومن كان يوم عاشوراء يوم مصيبته وحزنه وبكائه يجعل الله عز وجل يوم القيامة فرحه وسروره . . . . ومن سمى يوم عاشوراء يوم بركة ، وادخر بمنزله شيئاً ، لم يبارك له فيما ادخر ، وحشر يوم القيامة مع يزيد ، وعبيد الله بن زياد ، وعمر بن سعد لعنهم جميعاً إلى أسفل درك من النار[٤] . كان البويهيون من أنصار العلويين ، وحاولوا نقل الخلافة إليهم .

---

(١) كما ذهب المغالون في حب الإمام علي أنه إله .

(٢) خطط المقريزي : ٢ : ٣٨٥ .

(٣) عجائب المخلوقات : ٤٤

(٤) الحضارة الإسلامية : ١ : ١١٥

ذكر المؤرخون : في سنة ٣٥٢هـ في يوم عاشوراء ألزم معز الدولة البويهي الناس بغلق الأسواق ، ومنع الطباخين من الطبخ ، ونصبوا القباب في الأسواق ، وعلقوا عليها المسوح ، وأخرجوا النساء منشورات الشعور ، يقمن المآتم على الحسين بن علي ، رضي الله عنهما ، وهذا أول يوم وقع فيه هذه العادة الشيعية ببغداد ، وكان ذلك في صحيفة معز الدولة بن بويه ، ثم اقتدى به من جاء بعده من بني بويه[(١)] .

وتكرر هذا العمل مما أدى إلى فتن بين الجانبين ، وجرت بينهما وقائع كثيرة[(٢)] .

أما أهل السنة فإنهم أرادوا أن يعملوا لأنفسهم ما يكون بإزاء يوم عاشوراء ، فجعلوا بعده بثمانية أيام يوماً ، نسبوه إلى مقتل مصعب بن الزبير ، وزاروا قبره في «مسكن» ، كما يزار قبر الحسين في كربلاء .[(٣)]

وكما أحدث معز الدولة مواكب اللطم والنياحة على الإمام الحسين ﵁ فإنه في سنة ٣٥٢هـ أحدث كذلك عيد الغدير عند الشيعة ، وهو يوم ١٨ من ذي الحجة ، لأن الرسول ﷺ آخى علياً بن أبي طالب كرم الله وجهه يوم (غدير خم) (سنة ١٠ هـ) . فكان الشيعة يحيون ليلتها بالصلاة ، ويصلون في صبيحتها ركعتين قبل الزوال ويلبسون الجديد ، ويعتقون الرقاب ، ويبرون الأجانب ، ويذبحون الذبائح .

وقابل أهل السنة هذا في سنة ٣٨٩ هـ بأن اتخذوا عيداً بعد هذا اليوم بثمانية أيام ، وقالوا : هذا يوم دخول رسول الله ﷺ الغار هو وأبو بكر ﵁ وسموه «يوم الغار» يظهرون الزينة ، ونصب القباب ، وإيقاد النيران – على ما يفعله الشيعة في يوم عيد الغدير – وهكذا ابتدع البويهيون ما فرق بين المسلمين[(٤)] .

أما في مصر : فكانت لا تخلو من الفتن في يوم عاشوراء ، عند قبر كلثم وقبر نفيسة بنت الحسين بن زيد بن علي بن أبي طالب ، في أيام الأخشيدية والكافورية ، وكان سودان كافور يتعصبون على الشيعة ، ويتعلق السودان في الطرق بالناس ، ويقولون للرجل : من خالك؟ فإن قال معاوية أكرموه . وإن سكت لقي المكروه ، وأخذت ثيابه وما معه ، حتى كان

---

(١) الكامل : ٨ : ٤٠٣ : ٤١٧

(٢) المنتظم : ٧ : ١٥ ، ١٩ ، ٢٣ النجوم الزاهرة ٣٣ ، ٣٣٦ ، ٣٣٩ ، شذرات الذهب : ٣ : ٧

(٣) الحضارة الاسلامية : ١ : ١١٥ (١) العبر : ٣ : ٤٢ ، المنتظم : ٧ : ٢٠٦ .

(٤) نهاية الدرب : ١ : ١٨٤ ، ١٨٥ ، العبر : ٣ : ٤٢ ، المنتظم : ٧ : ٢٠٦ .

كافور يوكل بأبواب الصحراء ويمنع الناس من الخروج[١] .

فلما تولى الفاطميون البلاد وتمكنوا فيها ، صاروا يتخذون يوم عاشوراء يوم حزن ، تتعطل فيه الأسواق ، ويعمل فيه السماط العظيم المسمى (سماط الحزن)[٢] عند المشهد الحسيني ، وكان يصل إلى الناس منه شيء كثير . وجرت فتن بين الشيعة والسنة بسبب هذا ، ومن ذلك ما ذكره المقريزي في حوادث سنة ٤٦٣هـ قال :

في يوم عاشوراء انصرف خلق من الشيعة وأتباعهم من المشاهد ، من قبر كلثم بنت محمد بن جعفر الصادق ونفيسة ، ومعهم جماعة من فرسان المغاربة ورجالتهم بالنياحة والبكاء على الحسين ، وكسروا أواني السقائين في الأسواق ، وشقوا الروايا ، وسبوا من ينفق في هذا اليوم ، وثارت إليهم جماعة فخرج إليهم أبو محمد الحسن بن عمار ، ومنع الفريقين ، ولولا ذلك لعظمت الفتنة ، لأن الناس كانوا قد أغلقوا الدكاكين ، وعطلوا الأسواق ، وقويت أنفس الشيعة بكون المعز في مصر كما كانوا يسبون السلف وجرت بسبب هذا فتن كثيرة[٣] .

ولما أزال الأيوبيون الدولة الفاطمية ، فإنهم فعلوا بيوم عاشوراء ما كان يفعله أهل الشام : اتخذوه يوم سرور ، يوسعون على عيالهم ويتبسطون في المطاعم ، ويصنعون الحلاوات ، ويتخذون الأواني الجديدة ، ويكتحلون ، ويدخلون الحمام ، جرياً على عادة أهل الشام التي سنها الحجاج في أيام عبد الملك بن مروان ، ليرغموا بذلك شيعة علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، الذين يتخذون يوم عاشوراء يوم عزاء وحزن فيه على الحسين بن علي[٤] .

وذكر المقريزي : أيضاً أنه أدرك بقايا ما يفعله الأيوبيون في مصر ثم يقول وكلا الفعلين غير جيد ، والصواب ترك ذلك والاقتداء بفعل السلف الصالح[٥] .

ويستنكر ابن حجر العسقلاني هذه البدع التي فرقت صفوف المسلمين ، فيقول عن يوم عاشوراء وما أحدث فيه من البدع : والسنة ترك ذلك كله[٦] .

أما اليزيدية : فقد نقل الأستاذ عباس العزاوي ، عن كتاب دبستان ، ما كان عليه يزيدية

---

(١) اتعاظ الحنفا : ١ : ١٤٦ ، خطط المقريزي : ٢ : ٢٨٩ – ٢٩٠ .

(٢) انظر وصف السماط ، دراسات في التاريخ الإسلامي : ٨٦ والاحتفال الذي كان يقيمه الفاطميون خطط المقريزي : ٢ : ٢٨٩ – ٢٩٠ .

(٣) اتعاظ الحنفا : ١ : ١٤٥ ، ١٤٦ خطط المقريزي : ٢ : ٢٨٩

(٤) (٥) خطط المقريزي : ٢ : ٣٨٥ ، بدائع الزهور : ٨٤٢

(٦) الصواعق المحرقة : ١٠٩ – ١١٠ .

جبل الشيخان في القرن الحادي عشر للهجرة فقال :

يحكمهم ملك اسمه يعقوب ، يدعي أنه من أصل أموي ، وينتسب إلى خال المؤمنين معاوية بن أبي سفيان ، وهم مشهورون بالشجاعة ومجربون ، ويواظبون على الصلوات ، ولديهم سير كثيرة ، ومؤلفات دين وفقه ، يعتقدون بنبوة محمد ﷺ وإمامة الشيخين وذي النورين ، وخال المؤمنين معاوية ، ويطعنون بعلي ؓ ويقولون إنه ادعى الألوهية كأتباعه من الغلاة ، وأنه كان يدعوهم إلى ذلك ، . . . . . ويقولون : إن يزيد لم يقتل الحسين ؓ في بيته ، وإنما عزم على الرحيل إلى العراق بقصد تسخير الملك فقتل . ويظهرون في العاشر من محرم في ميدان واسع خارج البلد - وهم فرسان - ويصنعون صوراً من القتلى والموتى كلها من الطين ، فيسيرون عليها ويسحقونها بأرجلهم ، انتهاكاً لأجساد شهداء كربلاء ، وعندهم هذا اليوم من الأيام المباركة ، ويبدون فيه من الفرح والسرور ما يزيد على أفراح العيدين ، لأن إمام الوقت ظفر بعدوه فقتله . . . . وهؤلاء أكثرهم أكراد[1] هذا يؤيد لنا أنهم يفعلون في يوم عاشوراء بالضد ما يفعله الشيعة ، إغاظة لهم .

وجاء في الشرفنامة : أن اليزيدية من مريدي الشيخ عدي بن مسافر ، ومن أتباع الخلفاء المروانية ، فينتسبون إليه ولهم فيه اعتقاد زائغ[2] .

وجاء أيضاً في الشرفنامة : يسمي اليزيدية المسلمين الحسينية ، ويسمون أنفسهم اليزيدية ، وهذا يوضح لنا أن الحركة أموية ضد حركة العلويين - الحسينيين[3] .

٣ - الأموي المنتظر - المهدي المنتظر

كان للأمويين منتظر وهو الذي دعوه «بالسفياني المنتظر» ، يقابل ما يذهب إليه الشيعة : أن الإمام الثاني عشر سيظهر في آخر الزمان ، ويملأ الأرض عدلاً ، كما ملئت ظلماً وجوراً ، ويعيد الأمر إلى أهله[4] .

وادعى الأمويون مقابل هذا أنه سيظهر من أولاد أبي سفيان ، من يكون أمره كأمر

---

(١) اليزيدية : ٢٢ - ٢٦ ، وما ذكره لا أثر له عندهم في الوقت الحاضر ، انظر أيضاً (ص : ٧٤ - ٧٦) ما نقله الأستاذ العزاوي عن كتاب (رياض السياحة)

(٢) (ص : ٢٢ ، ٢٣)

(٣) (ص : ٢٧٩ - ٢٨١)

(٤) انظر (ص : ١٥) عن آراء الإمامية في المهدي المنتظر .

المهدي المنتظر، وهو : السفياني المنتظر، ويعيد الأمر إلى بني أمية .

وحديث السفياني المنتظر من وضع خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان وكان هذا بعد أن أخذ الخلافة مروان بن الحكم سنة ٦٤هـ = ٦٨٣م وحصرها في أولاده، وحرم أولاد أبي سفيان منها، وكان خالد بن يزيد يطمع في الخلافة وسعى لإعادتها إلى فرع أبي سفيان، ولم يكن له من القوة والأنصار ما يساعده على ذلك، فجعل لحركته صبغة دينية : وادعى أنه سيظهر من أولاد أبي سفيان من يملأ الأرض عدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، ويعيد الخلافة إلى فرع أبي سفيان يعاضده في هذا «الكلبي المنتظر» لأن أخواله من كلب كانوا يؤازرونه في ادعائه هذا[١] .

والتنافس بين فرعي أبي سفيان وبني العاص على الخلافة كان بعد مقتل الخليفة عثمان بن عفان، فإن معاوية أخذ الخلافة بمطالبته بدم عثمان، وبايعته الأحزاب رغبة في عطائه، ورهبة من بطشه، ينافسه فيها أولاد أبي العاص، وخاصة أولاد عثمان، فهم أبناء الشهيد، وإن معاوية لم يأخذ الخلافة إلا بمطالبته بدم أبيهم فكانوا يدلون على الخليفة، ويتحكمون بأموال الدولة، يعاضدهم بهذا أولاد أبي العاص، وربما حرضوهم على أخذ الخلافة من معاوية، وقد تم لهم هذا بعد تنازل معاوية الثاني عن الخلافة سنة ٦٤ هـ، وانتقالها إلى مروان فحصرها في أولاده، وبذا انتقلت الخلافة إلى آل أبي العاص[٢] فوضع خالد بن يزيد حديث «السفياني المنتظر» وذكر ابن تغري بردي «وخالد بن يزيد هو الذي وضع حديث السفياني بالأصل، وأنه ليس بحديث، غير أن خالداً لما سمع حديث المهدي من أولاد علي في آخر الزمان، أحب أن يكون من بني سفيان من يظهر في آخر الزمان، فوضع حديث السفياني، فمضى على بعض العوام[٣]» .

روى صاحب الأغاني، عن مصعب الزبيري قال عن خالد بن يزيد : وزعموا أنه هو الذي وضع خبر السفياني وكبره، وأراد أن يكون للناس فيه طمع، حين غلبه مروان بن الحكم على الملك، وتزوج أمه أم هاشم[٤] .

وأن صاحب الأغاني - وهو أموي - فإنه يرد على مصعب الزبيري ويقول : وهذا وهم

---

(١) النجوم الزاهرة : ١ : ٢٢١، ابن عساكر : ١١ : ٢٨٠

(٢) خالد بن يزيد : ١٤ - ١٦ .

(٣) النجوم الزاهرة : ١ : ٢٢١

(٤) الأغاني : ١٦ : ٨٥ .

من مصعب الزبيري ، فإن خبر السفياني قد رواه غير واحد ، وتتابعت فيه رواية الخاصة والعامة ، وكذلك خبر امره أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين (عليهم السلام) وغيره من أهل البيت (صلوات الله عليهم) . ولا غرابة من ادعاء أبي الفرج الأصفهاني ، فإنه أموي يرى ما يراه الأمويون . هذا ما كان من أمر السفياني في عهد الدولة الأموية وهو من مظاهر النزاع بين فرعي : أبي سفيان وأبي العاص .

وأما بعد سقوط الدولة الأموية ، فإن العباسيين نكلوا بالأمويين شر تنكيل فجمعت المصيبة الأمويين ، ووحدت كلمتهم ، وصاروا يؤيدون فكرة السفياني المنتظر وأنه سيظهر من آل أبي سفيان من يعيد الخلافة إلى الأمويين ، لا إلى فرع أبي سفيان - كما كانت عليه قبل هذا ودخلت الدعوة في طور مغاير لما كانت عليه فصارت مظهراً من النزاع الذي كان بين الأمويين والعباسيين ، تدعو إلى مقاومة الدولة العباسية التي قوضت الدولة الأموية وزادوا في ادعائهم : أن السفياني سيقاوم الظلم والجور الذي يأتي به خلفاء بني العباس ، وسيقضي عليهم ، ويخلص الناس من جبابرة خلق الله ، وينشر العدل والسلم في البلاد .

ولأجل أن يزيدوا في صحة دعوتهم هذه : أسندوا خبراً إلى الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه لتلاقي الدعوة تأييداً وأنصاراً من العلويين ، وأنصارهم الذين اضطهدهم العباسيون ، وقتلوا منهم عدداً ، بعد أن أخذوا الخلافة باسم رجل من آل البيت - كما قدمنا - وما نسبوه للإمام علي عليه السلام هو تنديد ببني العباس ، وأن هلاكهم وتدمير عاصمتهم بغداد سيكون على يد السفياني المنتظر .

والخبر هو : سيكون لبني عمي مدينة قبل المشرق - بين دجلة ودجيل وقطربل الصراة - يشيد فيها بالخشب والآجر والجص والذهب ، يسكنها شرار خلق الله ، وجبابرة أمتي ، أما إن هلاكها على يد السفياني كأني بها والله قد صارت خاوية على عروشها[١] .

وذكروا عنه أيضاً : أنه يسير جيشه في ثلاثين ألفاً ، وعليهم رجل من بني كلب - وهم أخوال خالد كما تقدم - حتى يأتوا بغداد فيقتلون ثلثمائة كبش من ولد بني العباس ، ويبقرون بها ثلثمائة امرأة وأنه يفعل ذلك بما قدمت أيديهم ، وما الله بظلام للعبيد[٢] .

وبلغ من تعلق الأمويين وأنصارهم ، بهذا الخبر الملفق ، أنهم صاروا يدعون إليه سراً وجهراً ، ووضعوا الكتب التي تؤيد دعواهم .

روى المسعودي في حوادث سنة ٣٢٤هـ أنه رأى بمدينة طبرية - من بلاد الأردن - عند

---

(١) (٢) تاريخ بغداد : ١ : ٣٨ - ٤٠

بعض موالي بني أمية ، ممن ينحل العلم والأدب ويتحيز إلى العثمانية - كتاباً فيه نحو ثلاثمائة ورقة بخط مجموع مترجم : (كتاب البراهين في إمامة الأمويين) ونشر ما طوي من فضائلهم أبواباً مترجمة ، ودلائل مفصلة . . . ويذكر من بعد ذلك أخباراً من أخبار الملاحم الآتية والأنباء الكائنة مما يحدث في المستقبل من الزمان ، والآتي من الأيام ، من ظهور أمرهم ، ورجوع دعوتهم ، وظهور السفياني في الوادي اليابس من أرض الشام ، في غسان وقضاعة[1] ولخم وجذام ، وغاراته وحروبه ، وسير الأمويين من بلاد الأندلس إلى الشام ، وأنهم أصحاب الخيل الشهب ، والرايات الصفر ، وما يكون لهم من الوقائع والحروب والغارات والزحوف[2] .

فالسفياني صاحب الرايات الصفر ، ولذا قالوا : أشقى الناس بالرايات السود من أهل الشام ، أهل دمشق ، وأسعد الناس بالرايات الصفر[3] من أهل الشام ، أهل دمشق ، وأنهم سيعيدون الخلافة إلى دمشق ، وأهل دمشق ظاهرون على الحق إلى أن تقوم الساعة ، وأنه لا يغلب أهل الشام إلا شرار خلق الله[4] .

وثار الأمويون في بلاد الشام وغيرها عدة مرات باسم السفياني المنتظر ، ولكن العباسيين قضوا على ثوراتهم[5] .

أما العباسيون ؛ فإنهم أيدوا ظهور السفياني المنتظر ، ولكنهم جعلوه من أعداء المهدي : يسفك الدماء ، ويقتل النساء ، ويحلل ما حرم الله ، ويرتد عن الإسلام وأنه هو الدجال ، ولفقوا الأحاديث في هذا .

ومما رووه من الأحاديث الملفقة : أن السفياني يرتد عن الإسلام ويسفك الدماء ، ويحلل المحرمات ، وينبش قبر الرسول ﷺ وقبر فاطمة رضي الله عنها ويرسل أتباعه فيقتلون كل من اسمه محمد وفاطمة ، ويصلبونهم على باب المسجد ويفتكون بالنساء بغضاً ببني

---

(١) يقول المأمون : وأما قضاعة فساداتها تنتظر السفياني حتى يكونوا من أتباعه . الكامل (٦ : ١٥٩) .

(٢) التنبيه والإشراف : ٢٩١ .

(٣) والذي نراه : من تأثير هذه الدعوة الأموية في الأكراد ، اتخذ صلاح الدين الأيوبي رايته صفراء اللون .

(٤) ابن عساكر : ١ : ٢٤٠ - ٢٤٦ ، ٢٧٦ ، ٦٠٥ .

(٥) انظر من وقفنا على ذكر من ثار منهم في (خالد بن يزيد : ٢٠ - ٢١) وكان أبو ركوة من ذرية هشام بن عبد الملك لقب نفسه (الإمام القائم من بني أمية ، والثائر بأمر الله) ولاقت حركته إقبالاً في برقة وضرب السكة باسمه ثم قضى عليه الحاكم بأمر الله الفاطمي سنة ٣٩٧هـ (العبر : ٣ : ٦٢ - ٦٣) .

هاشم ، ثم يرسل الله عليه نقمته فيهلكه .

وأما الخطيب البغدادي فإنه بعد أن ذكر الأحاديث التي وضعها الطرفان قال : وكل هذه الأحاديث التي ذكرناها واهية عند أهل العلم والمعرفة بالنقل ، لا يثبت بأمثالها حجة ، وأما متونها فإنها غير محفوظة - إلا عن هذه الطرق الفاسدة وأمرها إلى الله العالم بها ، لا معقب لأمره ، ولا راد لحكمه ، يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد(١) .

واليزيدية يعتقدون برجوع الأموي المنتظر ، وأنه سيعيد الأمر إلى بني أمية ، فهم من أنصار الأمويين والمغالين في محبتهم والدفاع عنهم ، وقاموا في القرن السابع بحركة واسعة لإرجاع الأمر إلى الأمويين ، وكان يحركهم بهذا الشيخ حسن شمس الدين بن الشيخ عدي ابن الشيخ صخر الأموي ، وزاد في الطريقة العدوية أموراً تؤيد ما يذهب إليه ، فغالى في حب الشيخ عدي بن مسافر الأموي (مؤسس الطريقة) وصاروا يعتقدون برجوعه ، وأنه سيعيد الأمر إليهم - وهو الأموي المنتظر - وبلغ من شدة تعلقهم بالشيخ حسن ، أنه بعد قتله صاروا يعتقدون بأنه سيعود إليهم ، ويتولى أمرهم ، ويحارب أعداءهم ، ويعيد الأمر إليهم(٢) .

ذكر ابن شاكر الكتبي عن قتله على يد بدر الدين لؤلؤ - صاحب الموصل - : وفي الأكراد طوائف إلى الآن يعتقدون أن الشيخ لا بد أن يرجع إليهم ، وقد تجمعت عندهم زكوات ونذور ، ينتظرون خروجه ، وما يعتقدون أنه قتل(٣) .

ولم يزل اليزيدية على ما ذكر ابن شاكر الكتبي : يعتقدون أن أموياً سيعود ويعيد الأمر إليهم ، وعندهم طبقة من رجال الدين يسمونهم (خدام المهدي)(٤) وهم من حاشية المهدي

---

(١) تاريخ بغداد : ١ : ٣٩ - ٤١ ، تذكرة القرطبي : ١٤٥ خالد بن يزيد : ٢١ - ٢٢ .

(٢) انظر ترجمة الأولياء : ٦ - ٨

(٣) فوات الوفيات : ١ : ١٢٤

(٤) جاء في المضبطة التي قدمها اليزيدية للحكومة العثمانية سنة ١٢٨٩ رومي - ١٨٧٢م :

(يلزم على كل فرد من طائفتنا كل يوم يبوس (يقبل) يد أخيه في الآخرة - يعني خادم المهدي ويد شيخه وبيره ، وإذا لم يؤد ذلك يصير عليه كفر - (أي يكون قد كفر) .

ويذكر إسماعيل جول في (ص : ٧٨ - ٧٩) من كتابه : أن القوالين إذا ما نصبوا الطاووس للزيارة فإنهم مما يقولونه (دولتي خليفتي عصر زمان دايمي بي (أي تعيش دولة خليفة صاحب الزمان مدى الدهر) فالدعاء يكون لصاحب الزمان الذي ينتظره اليزيدية ويعيد إليهم الأمر - وهو - على ما نرى - مما وضعه الشيخ حسن شمس الدين يقولونه إذا ما عرضوا عليهم علم الثورة ، السنجق -

الذي سيظهر . والمهدي هو الأموي المنتظر : الشيخ عدي أو الشيخ حسن شمس الدين ، وهم لا يزالون يجمعون الصدقات والنذور للأموي المنتظر ، ويلقون ما يجمع منها في شق بجبل سنجار يسمى (كهف جلميرا)[1] ويدعون أن الأموي المنتظر يستعين بها في دعوته ، وهم دائبون على الإلقاء في هذا الشق إلى يوم عودة السفياني المنتظر .

٤ - اللعن

بعد انتهاء التحكيم في «أذرح» وما كان من أمره ، فإن الإمام علي بن أبي طالب صار يلعن معاوية وعمرو بن العاص ومن والاهما بعد كل صلاة ، وقابله معاوية بالمثل ، فكان يؤكد على عماله بلعنه في صلاة الجمعة ، واستمر الأمويون على هذا بعد خطبة صلاة الجمعة ، ولما تولى الخلافة عمر بن عبد العزيز رحمه الله أمر برفع هذه البدعة السيئة ، ووضع مكانها الآية الكريمة ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان﴾ . . . . الخ ولكن بعض أنصار الحزب الأموي - أهل حران - امتنعوا عن صلاة الجمعة ، وقالوا : لا صلاة إلا بلعن أبي تراب ، واستمروا على هذا بعد انقراض الدولة الأموية[٢] .

وكان أنصار العلويين والعباسيين يقابلون هذا اللعن بأشد منه ، يوجهونه إلى معاوية وابنه يزيد وبعض الصحابة الكرام ، وصاروا يجاهرون باللعن بعد انقراض الدولة الأموية ، ومن هذا التعصب : أن السيد الحميري الشاعر المشهور (المتوفى سنة ١٧٣هـ) وهو من أنصار العلويين ، كان يرى أن ابن الحنفية هو المهدي المنتظر وأنه في جبل (رضوى) ، بينما كان أبواه يسبان الامام علياً بعد كل صلاة فجر ، فلعنهما في شعره وقال :[٣]

لعن الله والديَّ جميعاً
ثم أصلاهما عذاب الجحيم

وبما أن معاوية أخذ الخلافة بمطالبته بدم عثمان ، ثم عهد بها لابنه يزيد ، وكانت واقعتا الحرة وكربلاء على عهده ، لذا فإن اللعنة أكثر ما كانت توجه إلى معاوية ويزيد ، ثم إلى الأمويين ، ولم يسلم منها ذو النورين .

ومن ذلك :

---

(١) يقع كهف (جلميرا) بين قريتي يوسفان والبكران في جبل سنجار

(٢) مروج الذهب : ٢ : ٢٠٥

(٣) الأغاني : ٧ : ٢٢٩ - ٢٧٨ ، فوات الوفيات : ١ : ١٩٠ .

في سنة ٢١٢هـ أمر المأمون بامتحان القضاة والمحدثين ، فنادى مناديه برئت الذمة ممن ذكر معاوية بخير ، وفضله على أحد من الصحابة ، ثم هم أن يكتب إلى البلاد بلعنه على المنابر ، فحذره يحيى بن أكثم عاقبة الأمر ، فكف [١] .

وفي سنة ٢٨٤هـ عزم الخليفة المعتضد على لعن معاوية بن أبي سفيان على المنابر ، وأمر بإنشاء كتاب طويل يقرأ على الناس ، وذكر في الكتاب يزيد وغيره من بني أمية ، فخوفه وزيره عبيد الله بن سليمان إضراب العامة ، وحذره الفتنة فلم يلتفت إلى قوله ، وعملت النسخ وقرئت في الجانبين في يوم الأربعاء لست بقين من جمادى الأولى ، وتقدم إلى الذين يسقون الماء في الجامع ألا يترحموا على معاوية ولا يذكروه[٢] .

وكان البويهيون من أنصار آل البيت ، وغالوا في الأمر كثيراً ، حتى أدى بهم الأمر إلى سب صحابة رسول الله ﷺ وخلفائه الطاهرين ، وجاهروا بهذا مما أدى إلى فتن كثيرة بين الشيعة والسنة أذكى نارها بنو بويه .

ففي سنة ٣٠١هـ أمر معز الدولة البويهي بأن يكتب عامة الشيعة ببغداد على المساجد : «لعن الله معاوية بن أبي سفيان ، ولعن من غصب فاطمة ، ومنع من يدفن الحسن عند قبر جده عليه السلام ومن نفى أبا ذر الغفاري ، ومن أخرج العباس من الشورى» ولما جن الليل حكه بعض الناس ، فأراد معز الدولة إعادته ، فنصحه الوزير أبو محمد المهلبي بالكف عن مثل هذا الذي يؤدي إلى الفتنة بين الشيعة والسنة ، وما يتبع هذا من سفك دماء ، وتلف أموال ، ونصحه بأن يكتب مكان ما محي : (لعن الله الظالمين لآل رسول الله ﷺ ولا يذكر أحداً في اللعن إلا معاوية) ففعل ذلك[٣] .

وبالضد من هذا ففي الوقت الذي منع فيه معز الدولة من ذكر الصحابة ، كان أبو بكر محمد بن عبد الله بن إبراهيم بن عبد ربه الشافعي البزاز المحدث (المتوفى سنة ٣٥٥هـ) يحدث بفضائل الصحابة في الجامع قربة إلى الله تعالى .[٤]

---

(١) مروج الذهب : ٢ : ٣٤١ ، بغداد لطيفور : ٥٤

(٢) الطبري : ١١ : ٣٥٤ ، الكامل : ٧ : ١٧٣ .

المنتظم : ٥ : ١٧١ ، العيون والحدائق : ٨٧ ، ٨٨

شذرات الذهب : ٢ : ٧

(٣) الكامل : ٨ : ١٩٥ ، شذرات الذهب : ٣ : ٧

(٤) الوافي بالوفيات : ٣ : ٣٧٤

ولم يكن هذا مقتصراً في بغداد ، وقد مر بنا ما كان من الحب والبغض عند الطرفين في عدة أقطار ، ومنها ما جاء عن الحاكم بأمر الله الفاطمي ، ففي سنة ٣٩٥هـ أمر الحاكم بأمر الله أن يكتب على المساجد والجوامع سب أبي بكر وعمر وعثمان وعائشة وطلحة ومعاوية وعمرو بن العاص - رضي الله عنهم أجمعين - ثم محاه سنة ٣٩٧هـ[١] .

وقد مر بنا أن السنة كانوا يسقون الماء على حب معاوية بن أبي سفيان وجعلوا يوم معاوية والترضي على الشيخين ، وغير ذلك من الأمور التي كانوا يقابلون بها من يلعن معاوية أو الصحابة الكرام[٢] .

هذه اللعنة بقيت كامنة عند الطرفين ، وإذا ما وجدوا مجالاً للنطق بها أرسلوها ، ليغيظوا بها الحزب المناوئ لهم .

أما الشيخ عدي بن مسافر (المتوفى سنة ٥٥٧هـ) فإنه أموي ، ولما وجد تفاقم اللعن عند الطرفين ، أمرهم بالكف عن اللعن ، فصار من المحرمات عند اليزيدية من بعده ، ثم غالوا في هذا فحرموا اللعن حتى على الشيطان وكان هذا من الكبائر عندهم[٣] .

٥ - كرسي المختار - تخت يزيد

المختار بن أبي عبيد الثقفي (المتوفى سنة ٦٧هـ) من الذين غرتهم الحياة الدنيا ، وباعوا دينهم بدنياهم ، فلم يفلح ، أراد الملك ، وتقلب في المعتقد : صار خارجياً ، ثم انحاز إلى عبد الله بن الزبير لما ثار على الدولة الأموية ، وبعد مقتل الإمام الحسين رضي الله عنه صار كيسانياً ، يدعو بإمامة محمد بن الحنفية ، بعد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وصار بعد هذا يدعو إلى أخذ الثأر من قتلة الحسين ، لأن ابن الحنيفة أنكر ما كان يدعو إليه المختار من البدع والضلال .

ثم ادعى أنه المهدي المختار ، وادعى بنزول الوحي عليه ، وصار يلقي الأسجاع التي زعم أنها أنزلت عليه ، وأنكر إمامة ابن الحنفية ، خوفاً من أن يجيء إلى العراق ويستأثر بالحكم دونه ، والتف حوله الغلاة من الرافضة وسموه (حجة هذا الزمان) وأيدوه في ادعاء النبوة ، ثم ثار به أهل الكوفة ، ولم يبق معه الا السبئية وعبيد أهل الكوفة ، وادعى أن الملائكة على

---

(١) النجوم الزاهرة : ٤ : ١٧٦ - ١٧٧ .

(٢) انظر الإمام علي ومعاوية

(٣) وسنعرض عن رأيه في الصحابة الكرام - رضوان الله عليهم أجمعين - وعن رأيه في اللعن ، وذلك عند كلامنا عن حياته .

الخيل البلق تحارب معه، وأن حمامات بيضاً تنزل لتنصره، وادعى أن عنده كرسياً قديماً، كان قد غشاه بالديباج، وزينه بأنواع الزينة، وقال لأصحابه: هذا من ذخائر أمير المؤمنين علي عليه السلام وهو عندنا بمنزلة التابوت لبني إسرائيل، فكان إذا حارب خصومه يضعه في البراح - براكاء - الصف ويقول: قاتلوا ولكم الظفر والنصرة، وهذا الكرسي محله فيكم محل التابوت في بني إسرائيل، وفي السكينة والبقية، والملائكة من فوقكم ينزلون مدداً لكم.

فحركة المختار كانت في سبيل الملك، ولكنه جعل لها صبغة علوية - وهم برآء مما كان يدعو إليه.[1]

ومما يشبه هذا ما ذكره ناصري خسرو:[2] إن مما يتبارك به في مسجد البصرة (عندما زارها سنة ٤٤٣هـ) عموداً من الخشب، طوله ثلاثون ذراعاً وسمكه خمسة أشبار وأربع أصابع، وكان أحد طرفيه أسمك من الطرف الآخر، قيل إنه من أخشاب بلاد الهند، استولى عليه أمير المؤمنين علي عليه السلام وأحضره للبصرة، وهذا بلا شك مما وضعه بعض المغالين في محبة آل البيت على مثال كرسي المختار.

وكان المختار قد دفع الكرسي إلى «حوشب البرسمي» (برسم بن حمير وهم في همدان)[3] فكان خازنه وصاحبه حتى هلك المختار، وكان أصحاب المختار يعكفون عليه ويقولون: هذا بمنزلة تابوت موسى، فيه السكينة ويستسقون به، ويستنصرونه، ويقدمونه أمامهم اذا أرادوا أمراً. وأن الفرس وضعوا مقابل هذا تخت شيرويه، يكون لنصرتهم وإعادة الملك إليهم، وهو يشبه كرسي المختار.

ووضع الأمويون - اليزيدية - مقابل هذا «تخت يزيد بن معاوية»: وهو تخت مقدس فيه من الأسرار ما لكرسي المختار، وتابوت بني إسرائيل. يزورونه كل سنة، ويترقبون النصر به إذا ما رجع إليهم مهديهم - السفياني المنتظر - وسنأتي على وصفه وكيفية زيارته إن شاء الله تعالى.

---

(١) انظر عن المختار: الفرق بين الفرق: ٣٥ - ٥١، اعتقادات المسلمين: ٦٢، الملل والنحل: ١٠٨ - ١١٠، ثمار القلوب: ٧٠ - ٧٢، الطبري: ٧: ٥٨ - ١٦١، رغبة الآمل: ٧: ٢١١ - ٢١٢.

(٢) سفر نامة: ٩٧.

(٣) قبيلة همدان من أنصار الإمام علي - ك - ويرى الشيعة: أن محبة همدان من المحبوب. صبح الأعشى: ١٣: ٢٣٤ ويروون للإمام علي قوله: فلو كنت بواباً على باب جنة لقلنا لهمدان ادخلوا بسلام.

٦ - تربة الامام الحسين - تربة الشيخ عدي

يتبارك الشيعة بتراب مرقد الإمام الحسين عليه السلام ويتخذون منه قطعاً مختلفة الأشكال يسجدون عليها في الصلاة .

ويتبارك اليزيدية بتراب مرقد الشيخ عدي بن مسافر ويستشفون به ، ويتخذون منه كرات صغيرة يسمون الواحدة منها - براءة - [1] يحمل كل يزيدي قطعاً منها إذا سافر إلى مكان ما ، وعند موته توضع في فمه ، وإذا تعاهد يزيديان أو قبيلتان فإن كلاً من الطرفين يقدم براءته للطرف الآخر ، فإذا انقطعت الصلات بينهما أعاد كل منهما براءة الطرف الثاني .

جاء في المضبطة التي رفعها اليزيدية للحكومة العثمانية : [2]

عندنا شيء يسمى بركات الشيخ عدي ، يعني تراب تربة الشيخ عدي قدس سره . لازم على كل نفر من طائفتنا يكون موجود عنده مقدار موضوع في جيبه ، ويأكل منه عند كل صباح ، وإذا ما أكل منه تعمداً يكفر ، وأيضاً لما يموت إذا لم يكن موجوداً من ذلك التراب المبارك تعمداً يموت كافراً .

٧ - المؤاخاة

كان الرسول عليه الصلاة السلام قد آخى علياً بن أبي طالب ، وآخى بين المهاجرين والأنصار ، وأن بعض الفرق الباطنية التي تنتسب للعلويين ، يؤاخون بعضهم بعضاً ، فيتخذ أحدهم له أخاً ، يسمى «أخ في الآخر» فيكون هذا أخاه في الدنيا والآخرة ، كما يتخذ بعضهم أختاً له تكون أخته في الدنيا والآخرة كما يفعل أهل الحق - وأخته هذه تتولى خياطة ثوبه .

ووضع اليزيدية مقابل هذا : أن يكون لليزيدي أخ في الآخرة ، وأخت في الآخرة ، وهي التي تتولى جيب ثوبه عند خياطته ، وتجعله مستديراً يسمونه «طوق يزيد» أي أن محبة يزيد تكون طوقاً في عنقه .

جاء في البند العاشر من المضبطة المذكورة .

---

(١) واليزيدية يلفظونها (براته)

(٢) نقلنا النص كما هو في المضبطة - في البند السابع منها - انظر الملحق رقم - ١ -

هذا وما سيتلوه (ص : ٦ : إلى : ١٣) مما وضعه اليزيدية - بعد هذا الدور - وبما أنه يمثل وجهة نظرهم في حب الأمويين ، ومناوأة آل البيت - لذا ألحقناه بهذا الباب - لأنه متمم له .

من خصوص ملبوسنا – مثل ما ذكرنا في البند الرابع – على أن كل فرد من طائفتنا له أخ الآخرة ، أيضاً له أخت الآخرة ، فبناءً على ذلك ، واحد منا إذا أراد أن يعمل له قميصاً جديداً ، يلزم أن المذكورة أخته في الآخرة تفتح زيقه بيدها ، أي ذلك القميص ، وإذا لم تفتح بيدها زيقه إذا لبسه يكفر .

٨ – الثياب البيض

يرتدي اليزيدية الثياب البيض ، وهي كما نعلم شعار الأمويين ، ويكرهون الثياب السود ، والزرق لأنها قريبة إلى السوداء شعار العباسيين .

جاء في المضبطة التي قدموها : البند : ١٢ : لباس الكحلي[١] ما نقدر نلبسه ، أي أن الثياب الزرقاء محرمة عليهم .

وبعد الانتهاء من سماط جلميرة – أيام الحج[٢] يتقدم وكيل الأمير ويعصب رأس كل حاج بعصابة بيضاء وهي بلا شك من شعائر الأمويين .

ومما يجدر ذكره : إذا ما غاضب يزيدي زوجته قال لها : أدعو عليك أن تلبسي ثياباً سوداء اللون ، وتسيري في شوارع الموصل . أما هي فقد تجيبه : أدعو عليك أن تصعد فوق المنارة وتؤذن في جامع المسلمين .

٩ – نسب أمير الشيخان

ينتسب أمير الشيخان إلى الشيخ حسن شمس الدين بن الشيخ عدي بن الشيخ صخر ، وهذا ابن أخي الشيخ عدي بن مسافر الذي يتصل نسبه بمروان بن الحكم الأموي . والشيخ حسن شمس الدين : هو الذي اتخذ من الطريقة العدوية الأموية ستاراً لحركته السياسية التي تهدف إلى تأسيس دولة أموية – وسيأتي الكلام عن هذا – وعند زيارة طاؤوس ملك ، يقول القوال على لسان الشيخ عدي (دولتي خليفتي عصر زمان دائم بي) أي تعيش دولة خليفة صاحب الزمان مدى الدهر – كما قدمنا – ويقول اليزيدية عن رئيسهم – ميرهم – «الجالس على عرش يزيد» .

---

(١) الأزرق الغامق

(٢) سيأتي الكلام عن هذا

١٠ - اليزيدية - الحسينيون

كان اليزيدية يسمون المسلمين الحسينية ، وأقدم نص عثرنا عليه بهذا يرجع إلى القرن الحادي عشر للهجري . جاء في الشرفنامة : عند كلامه عن عشيرة طاسني داسني قال[١] : أما عشيرة طاسني فأخذت للعداوة المتأصلة بين الحسينية واليزيدية تثأر لنفسها عن الاكتساف الذي عاناه اليزيديون المرتدون عن الإسلام .

ويريد بالحسينية المسلمين ، واليزيدية أتباع يزيد بن معاوية ، ومن أشياع الخلفاء المروانية ، كما ذكر في الشرفنامة ويسميهم المرتدين عن الإسلام[٢] .

وجاء أيضاً في الشرفنامة عند كلامه عن الأمير سيف الدين بن الأمير حسين بن بيسر بوداق ونزاعه مع الأمير حسين بك داسني قال : فأسفرت الخاتمة عن إخفاق حسين بك الداسني ، واندحار قواته اليزيدية ، وأصابتهم بخسائر فادحة في الأرواح ، ولا سيما مقتل خمسمائة نفر من وجهاء داسني وهكذا انتصر الحسينيون[٣] .

فاذا ما ذكر اليزيدية ، يُذكر المسلمون بالحسينيين أي محبو الإمام الحسين ، وأما اليزيدية فهم محبو يزيد بن معاوية . وأن محبة يزيد تكون طوقاً في عنق اليزيدي ، فهو يعترف له بالعبودية ما دام حياً ويرتدي القميص الذي فيه طوق يزيد ويموت على محبته .

---

(١) ص : ٢٨٠ - ٢٨١

(٢) ص : ١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٧٩

(٣) ولم يزل يزيدية سنجار إذا ما غضب أحدهم على آخر ، قال له : (هي حسني) أي أنه حسيني - مسلم -

وذكر أبو طالب في رحلته ومروره لسنجار سنة ١٢١٣هـ قال عن اليزيدية :

(كرد يزيد) فهذا الشعب يعد من الكفار والأعداء الرزق للمؤمنين برسالة محمد - ص - ولكنهم يدعون مؤكدين أنهم من القبيلة العربية (بني يزيد) أي بني أمية الذين اضطروا بسبب مشاغبة بني العباس لهم ، والإغراء بهم ، أن يتركوا جزيرة العرب ، ويلتجئوا في هذه الناحية من الصحراء وقد عظمت هذه القبيلة بهجرات تترى ، حتى صارت هائلة للدولة التركية وشؤماً عليها ، وذلك بغاراتها وقطعها الطريق على القوافل ، وقد اقتبست في تلك المواضع بأعيانها معلومات صحيحة جداً عنهم ، وذلك أرى واثقاً أن هذه القبيلة من المسلمين الصحيحي الإيمان ، وأن سيرتهم غير مليحة كما يدعى عليهم في القسطنطينية ورئيسهم اسمه حسين ، (ص : ٣٥٣ - ٣٤٥)

١١ - ما جاء في مصحف رش

جاء في كتابهم المقدس مصحف رش قصة طريفة تؤيد ما ذهبنا إليه من أن حركتهم أموية وهي بالضد لحركة آل البيت :

ولنعد الآن إلى محمد نبي الإسماعيليين ، فكان عنده خادم اسمه معاوية ، فنظر الله إلى محمد فرآه لا يسلك باستقامة ، فأوجع رأسه ، فقال محمد لمعاوية : تعال احلق رأسي - لتعاطي معاوية التزيين - فأتى معاوية وحلق رأس محمد بخفة ، فجرحه وجرى منه دم كثير ، فلما رأى معاوية الدم لحسه بلسانه خوفاً لئلا يقع على الأرض ، فقال له محمد : ماذا صنعت يا معاوية ؟ أجاب : إني لحسته بلساني لئلا يقع على الأرض ، فقال محمد : لقد أخطأت بذلك فإنك تجذب وراءك أمة عظيمة وتتخاصم مع أمتي . فقال معاوية : لا أتزوج ولا أقع في العالم قط ، ثم بعد زمان سلط الله على معاوية عقارب فلدغته ورشت سمها عليه ، فلما رآه الأطباء جزموا الزواج عليه ، وأتوه بامرأة يربى عمرها على الثمانين كي لا تحبل ، فلما عرفها معاوية أصبحت في الغد ابنة خمسة عشر سنة ، وذلك بقدرة الإله ، فحبلت وولدت إلهنا الذي يسمى يزيد» .(١)

وهذا نص صريح أنهم يؤلهون يزيد بن معاوية ، وهم خصوم آل بيت رسول الله ﷺ وأن الحركة التي قاموا بها لمناصرة الأمويين وإرجاع الأمر إليهم .

١٢ - عين زمزم

في مقام الشيخ عدي عين يسميها اليزيدية عين زمزم ، يتباركون بمائها عند زيارة مقام الشيخ عدي - يوم حجهم على زعمهم - .

ويذكرون عنها : أن بعض الشيعة جاءوا إلى هذا المكان ، ولم يجدوا ماءً ، فتقدموا إلى الشيخ عدي وطلبوا إليه أن يريهم بعض كراماته ، فأخذ عكازه وضرب صخرة كانت بجانبه وقال لها : «زم زم» فانبجست منها عين زمزم فكانت مباركة كعين زمزم التي في البيت الحرام . وهذا من مظاهر الخصام الذي كان بين العدويين والعلويين كما قدمنا .

١٣ - سبب تحريم القراءة والكتابة

ويذكر اليزيدية عن سبب تحريم القراءة والكتابة عندهم وحصرها في ذرية الشيخ حسن :

---

(١) نقلنا النص كما وجدناه .

ان يزيد بن معاوية لما نزل من السماء ، وحارب الحسين بن علي رضي اللّه عنهما وغلبه ، فإنه استقر بالشام مدة ثلثمائة سنة ، جمع فيها كافة الكتب والمدونات وأحرقها ، وحصر التعليم في ذرية الشيخ حسن ، وحرمها على من سواهم .

كل ما ذكرناه يؤيد أن اليزيدية أصلهم مسلمون ، وأن حركتهم كانت لإعادة الملك إلى بني أمية ، وتناوئ الهاشميين - العلويين والعباسيين - وسارت على نفس الطرق التي سلكها العلويون أو من قام باسمهم في تأييد دعوتهم .

الدور الثاني

الطريقة العدوية

في هذا الدور دخلت الدعوة في طور مغاير لما كانت عليه ، فإن الشيخ عدي بن مسافر الأموي ، انتقل إلى لالش ، وأسس الطريقة العدوية ، وخفف من غلواء القوم في المحبة والبغض ، فكانوا من خيرة المسلمين الذين دافعوا عن الشرق في الحروب الصليبية ، حتى قالوا عنهم :

للمسلمين الكرد ، وللنصارى الكرج «وصار يطلق على الشيخ عدي شيخ الأكراد وإمامهم» .

ويبدأ هذا الدور بمجيء المصلح الكبير الشيخ عدي بن مسافر الأموي الهكاري - إلى بلاد الهكارية - في جبل الألش [١] .

أقام في لالش ، وابتنى له تكية فيها ، وأسس الطريقة العدوية ، وبث الإصلاح والمحبة والتقوى بين أهل الجبال ، وجه القوم إلى عبادة الله وحده ، واتباع أحكام الدين الحنيف ، فدخلوا في طريقته - العدوية - فكانوا من أحسن الناس طاعة وهداية ، وصاروا يعرفون (بالأكراد العدوية) نسبة إليه .

وصار للشيخ عدي منزلة رفيعة عندهم ، وانقياداً لتعاليمه وإرشاداته القويمة ، التي تدعو إلى وحدة المسلمين ، لا فرق بين جماعة وأخرى ، وعدم تفضيل شخص على آخر إلا بالتقوى ، ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ وحذرهم من الطعن بالغير ، مهما كانت سيرته [٢] .

ثم سار خليفته ابن أخيه أبو البركات بن صخر بن مسافر الأموي ، ثم خلفه هذا ابنه عدي بن أبي البركات صخر من بعده ، فكانا على الطريقة المثلى التي سلكها الشيخ عدي ، وكانت لهما نفس المنزلة التي كانت لعمهما : عكف عليهما أهل الجبال ، وانقادوا لطريقتهما ، فكانوا في طليعة المسلمين الذين اعتصموا بحبل الله ، ودافعوا عن بلاد

---

(١) و (٢) من المصادر التي تبحث عن الشيخ عدي بن مسافر :

الكامل : ١١ : ١١٧

وفيات الأعيان : ١ : ٣١٦

المختصر في أخبار البشر : ٣ : ٤٠

تاريخ ابن الوردي : ٢ : ٦٤

مرآة الجنان : ٣ : ٣١٣

النجوم الزاهرة : ٥ : ٣٦١ - ٣٦٢

البداية والنهاية : ١٢ : ٢٤٣

شذرات الذهب : ٤ : ١٧٩ - ١٨٠

تحفة الأحباب : ١٩١ ، ٣٠٠

بهجة الأسرار : ١٥ ، ٩٧ ، ١٥٣

روضة الناظرين : ١٣١ ، ١٣٢

قلائد الجوهر : ١٦٠

جامع كرامات الأولياء : ٢ : ١٤٩

الإسلام ، فكانوا خير خلف لخير سلف .

ثم جاء الشيخ شرف الدين حسن بن عدي بن صخر ، وتبوأ مكانته ، وكان فصيحاً ذكياً ، ذا حنكة واقتدار ودهاء ، فاغتنم إخلاص الأكراد العدوية وتفاديهم وحبهم لأسرته ، فسولت له نفسه أن يستفيد من مكانته عندهم ، فاستغل الطريقة العدوية وسعى في تأسيس دولة أموية - كما كانت عليه الدعوة قبل مجيء الشيخ عدي بن مسافر - وزاد في الطريقة نظماً ونثراً ، وأدخل الغلو في محبة الشيخ عدي - مؤسس الطريقة فكان هذا أول انحرافهم عن الإسلام .

الشيخ عدي بن مسافر الأموي

هو عدي بن مسافر الأموي ، يتصل نسبه بمروان بن الحكم ، كان أبوه زاهداً صالحاً ، يسكن في «بيت فار» من أعمال بعلبك ، من سهل البقاع ، سلك طريق المجاهدة والسياحة ، ترك «بيت فار» وتنقل في البلاد ، فارق أهله ثلاثين عاماً [١] ، وبينما كان نائماً في إحدى الليالي ، رأى شخصاً يقول له : امض هذه الليلة إلى زوجتك وواقعها ، فإنها تحمل منك بذكر .

فعاد إلى بيت فار ، وأتى داره ليلاً ، وطرق باب داره ، وسألت زوجته من في الباب ؟ فأعلمها أنه زوجها مسافر ، وأنه جاء لما رآه بالليل .

كانت زوجته عاقلة تقية ، خشيت أن يرجع زوجها بعد هذا ، ولا يعلم أهل البلد بمجيئه ، فقالت لزوجها : اصعد هذا الكرم ، وناد في أهل البلد بما رأيت ، لكي يعلموا بما جئت إليه ، ففعل ، وحملت منه بعدي[٢] .

وسواء أكانت هذه القصة صحيحة أو موضوعة ، فإنها تدل على زهد والده ، وأنه كان منقطعاً في البراري كما تدل على صلاح والدته ورجاحة عقلها ، وأنها درأت عن نفسها الشبهات .

هذه القصة تروى أيضاً عن أبي عمرو عثمان بن مرزوق البطائحي - وكان معاصراً للشيخ عدي بن مسافر - واعتزل الناس إحدى عشرة سنة ، ثم رأى حلماً يؤمر بالرجوع إلى

---

(١) في قلائد الجواهر (ص : ٨٩) أربعين سنة

(٢) تحفة السنحاوي : ٣٠٠

زوجته ، وكان من أمر زوجته معه ما كان من أمر أم عدي مع زوجها مسافر[١] .

شب عدي في رعاية أمه ، وتولت تربيته وتنشئته على العلم والتقوى ، درس القرآن الكريم والفقه ومبادئ العلوم (في بيت فار) ، ولما كبر فكر في السياحة والاجتماع بالشيوخ الكمل ، والانقطاع إلى الله عز وجل - على ما كان أبوه عليه .

وقد أجمع الذين ترجموا له : أنه كان منذ صغره زاهداً عابداً منقطعاً إلى الله - عز وجل - بعيداً عن كل ما يشغله عن ذكر الله تعالى وعبادته ، يحب الاعتزال والتفكر في ملكوت السموات والأرض ، ينقطع في المغارات والجبال والصحاري ، مجرداً سائحاً ، يأخذ نفسه بأنواع المجاهدات .

لم يتزوج الشيخ عدي ، وآثر التفرغ إلى النصح والارشاد ، فكان يدعى : «عدي الأعزب» . وذكروا عنه : أنه دعا الله - عز وجل - أن يجعل البركة في ذرية أخيه صخر بن مسافر ، فاستجاب الله دعاءه . ساح في البلاد ، واجتمع بالشيخ عبد القادر الجيلاني وغيره من أهل العلم والإرشاد ، ورأى أنه صار أهلاً للنصح والإرشاد ، فاستقر في «لالش» من بلاد الهكارية التي كانت تتردد في خاطره[٢] .

يذكر التادفي في قلائد الجواهر : إنه لما بلغ مبلغ الرجال رأى في ليلة قائلاً يقول له : يا عدي قم إلى لالش فهو مقامك ، ويحيي الله على يديك قلوباً ميتة[٣] .

والذي نراه : أن بلاد الهكارية - ومنها لالش - كانت مركز دعاوي للأمويين ، وفيها كان شيخ الإسلام أبو الحسن علي بن أحمد الأموي وأولاده من بعده ،[٤] وكانت لهم منزلة سامية عند القوم وسار ذكرهم في البلاد ، وكان يتردد على لسان قومه في (بيت فار) ، وغيرها من البلاد ، مما جعله يرى في المنام ما قيل له .

يؤيد هذا ما جاء في الوصية الكبرى لابن تيمية (المتوفى سنة ٧٢٨ هـ) عن كلامه عن الشيخ عدي وتمسكه بالدين الإسلامي ، وأن عقيدته المحفوظة عنه لم يخرج فيها عن عقيدة

---

(١) بهجة الأسرار : ١٩٤ ، ١٩٥

(٢) النجوم الزاهرة : ٥ : ٣٦١ ، ٣٦٢ ، شذرات الذهب : ٤ : ١٧٩ قلائد الجواهر : ٨٥

(٣) ص : ٨٩

(٤) المتوفى سنة ٤٨٦هـ وهو من أولاد عتبة بن أبي سفيان ، تفرد بطاعة الله ، وابتنى عدة أربطة في بلاد الهكارية ، وخلفه أولاده من بعده (وفيات الأعيان : ١ : ٣٦٦ ، لسان الميزان : ٤ : ١٩٥ مختصر تاريخ الإسلام الذهبي ١ : ٣ : ٣٧٨)

من تقدمه من المشايخ الذين سلك سبيلهم ، كالشيخ الإمام الصالح أبي الفرج عبد الواحد ابن محمد بن علي الأنصاري الشيرازي ، ثم الدمشقي ، وشيخ الإسلام الهكاري ، ونحو هؤلاء المشايخ ، لم يخرجوا في الأحوال الكبار عن أهل السنة والدعاء إليها ، والحرص عليها[١] .

وعلى هذا فإنه كان يقتفي آثار بعض المشايخ الأمويين ،[٢] ويسير على طريقتهم المثلى ، التي ساروا عليها في هداية الناس ، وجمع كلمتهم على المحبة والتقوى ، وسكن مكاناً كان بعض الأمويين قد سكنوا فيه وصار لهم منزلة سامية عند القوم - وهي بلاد الهكارية - .

عكف عليه القوم ، وقصده أهل الجبال ، وذكر عنه ابن خلكان (٦٠٨ - ٦٨١هـ)[٣] : سار ذكره في الآفاق وتبعه خلق كثير ، وجاوز حسن اعتقادهم فيه الحد ، حتى جعلوه قبلتهم التي يصلون إليها ، وذخيرتهم في الآخرة التي يعولون عليها ، ومال إليه أهل تلك النواحي كلها ميلاً ، لم يسمع لأرباب الزوايا مثله وصار يعرف بشيخ الأكراد وإمامهم .

وهكذا كان أحد كبار المشايخ ، وأحد أعلام الطريقة فيها ، وتلمذ له خلق كثير من الأولياء ، وتخرج عليه غير واحد من ذوي الأحوال .

معيشته

لم يكن الشيخ عدي ممن يتكلون على غيرهم في معاشهم ، بل كان يعمل بنفسه ، ويسد حاجته من طعام وثياب ، فكان قدوة صالحة لمريديه في الجد والعمل بما ينفعهم ويسد عوزهم .

كانت له أرض يزرع بها الحبوب ، ويتولى بنفسه حصدها ، وتكون لمعيشته ، ولا يأكل من أحد شيئاً . كما كان يزرع من القطن ما يكفي لثيابه وثياب أصحابه ، وعلى هذا فقد كان - رحمه الله - مثالاً صالحاً للمؤمن الذي يعمل للدنيا والآخرة ، ولا يكون كلاً على غيره ، يتكل على ما يقدمونه له ، بل كان يعمل ليعيش . فهو رجل دنيا وآخرة ، اكتفى من الدنيا بما يسد حاجته ولم يشغله عن طلب علم ، أو مجلس وعظ ، أو حلقة ذكر ، وهذا ما جعله من أعاظم مشايخ عصره[٤] .

---

(١) مجموعة الرسائل الكبرى : ١ : ٤٧٣ ، ٤٧٤

(٢) ممن ألبسوه الخرقة : الشيخ أبو الحسن علي بن محمد بن يوسف القرشي الهكاري(نزهة الخاطر : ٤)

(٣) وفيات الأعيان : ١ : ٣٦١

(٤) قلائد الجواهر : ٨٩ - ٩٠

حجه

حج الشيخ عدي عدة مرات فكان منذ نشأته يقصد زيارة بيت الله الحرام .

روى الشيخ عبد القادر الجيلاني ﷺ فقال : حججت أول ما حججت -وأنا شاب على قدم التجريد - فلما كنت عند المنارة المعروفة بأم القرون ، لقيت عدي بن مسافر وحده - وهو شاب يومئذ - فقال لي : إلى أين؟ قلت : إلى مكة ، فقال : هل لك في الصحبة؟ قلت : إني على قدم التجريد . قال : وأنا كذلك .

وهذا - على ما يبدو لنا - أول اجتماع كان بين الشيخ الجيلاني ، والشيخ عدي ، جمعتهما رابطة التقوى والزهد والتجرد ، والانقطاع إلى الله عز وجل .

وجاء : أنه في سنة ٥٥٥هـ حج جماعة من الشيوخ الكمل ، فكانوا في الشام ، ومنها سافروا إلى بيت الله الحرام ، وفيهم : الشيخ عبد الملك بن حماد ، والشيخ أحمد الزعفراني ، والشيخ عدي بن مسافر الهكاري الأموي ، والشيخ عبد الرزاق الحسيني الواسطي ، والشيخ عبد القادر الجيلاني ، والشيخ أحمد الزاهد ، والشيخ حيوة بن قيس الحراني ، والشيخ عقيل المنبجي العمري ، والشيخ أحمد البدوي ، وجماعة غيرهم من مشاهير أولياء العصر ، ولما وصلوا المدينة المنورة ، ودخلوا الحرم النبوي الشريف ، وقف الشيخ أحمد البدوي تجاه قبر الرسول ﷺ والوقت بعد العصر وقد غص الناس بالحرم وأنشد :(١)

في حالة البعد روحي كنت أرسلها
تقبل الأرض عني وهي نائبتي
وهذه دولة الأشياخ قد حضرت
فامدد يمينك كي تحظى بها شفتي

علمه

كان الشيخ عدي على جانب من الفقه والحديث عالماً بالكتاب والسنة يسلك طريق السلف الصالح ، لم تشغله الدنيا وما فيها .

وقد ذكر الذين ترجموا له : أنه أحد الأعلام ، وله كلام على لسان أهل الطريقة في

---

(١) روضة الناظرين : ٥٤ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، العقود الجوهرية : ٥ - ٦ ، المعارف المحمدية : ٤٦ .

توحيد الله عز وجل[1] .

ويصفه ابن تيمية أنه : من أفاضل عباد الله الصالحين ، ويقول عنه الذهبي : كان على أهل الخير ناصحاً ، متشرعاً شديداً في الله تعالى ، لا تأخذه في الله لومة لائم[2] .

ويقول عنه الشطنوفي : أنه كان أحد أعلام العلماء ، وصدور الزهاد والمحققين ، فقيهاً عالماً فصيحاً ظريفاً متواضعاً ، حسن الأخلاق ، مع شدة الوضاءة وكثرة الهيبة[3] .

وكان يعقد مجالس الوعظ لأصحابه ، يعظهم بما ينفعهم ، ويحدثهم بما أخذه عن شيوخه ، يبصرهم بأمور دينهم ودنياهم ، كما كان يدرس في زاويته ، فهو عالم عامل مرشد فقيه محدث ، وعكف الأكراد عليه ، يأخذون عنه العلم ، وينقادون لتعاليمه ، فكان : شيخ الأكراد وإمامهم[4] ، وكان مذهبه الشافعي ، وهو مذهب الأكراد إلى اليوم .

ومن مؤلفاته التي وقفنا عليها ، رسالة في اعتقاد أهل السنة والجماعة[5] وهي رسالة صغيرة الحجم ، كبيرة النفع ، جمع فيها اعتقاد أهل السنة والجماعة ، وما يجب أن يكونوا عليه ، ويرد بها على الذين أرادوا أن يستغلوا الدين لمقاصدهم الدنيوية ، وعلى المتطرفين والغلاة ، الذين ابتدعوا في الدين ، مالا يتفق مع قواعده الأصلية ، مستنداً في هذا كله على الكتاب والسنة .

قال في أولها عن توحيد الله عز وجل : (الحمد لله الواحد الأحد ، الفرد الصمد ، الذي لا يغيره الأمد ، ليس له والد ولا ولد ، لا تجري ماهيته في مقال ، ولا تخطر كيفيته ببال ، جل عن الأنداد والأضداد والأمثال والأشكال ، صفاته قديمة كذاته ليس بجسم في صفاته ، جل أن يشبه بمبتدعاته ، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير . . . .) .

ويقول أيضاً : ومما دعوا إليه - الأنبياء - الإقرار والتصديق بأن صانع العالم واحد ، وهو

(١) النجوم الزاهرة : ٥ : ٣٦١ - ٣٦٢

(٢) قلائد الجواهر : ٨٩

(٣) بهجة الأسرار : ١٥٠ - ١٥٢

(٤) معجم البلدان : ٧ : ٣٤٧

(٥) نسخة منها في خزانة كتبي ، نقلناها عن النسخة التي في مدرسة الحجيات في الموصل- وله مجموعة رسائل في مكتبة جامعة برنستن تحت رقم ٢٦٦٧ وفيها : قصيدة له ، رسالة في آداب النفس ، رسالة في وصاياه للخليفة ، ووصايا لمريده قائد (اليزيدية للعزاوي ٣٤) .

الله الذي لا اله إلا هو، ولا شريك له (ولا ظل ولا ند ولا شبيه ولا وزراء)[1] ولا ولد ولا والد له، ولا زوجة له، كما قال تعالى: ﴿قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد﴾. لا خالق شيء غيره، خلق العباد وأعمالهم، وقدر أرزاقهم وآجالهم، فلا يكون في العالم خير ولا شر، ولا نفع ولا ضر، ولا ربح ولا خسران، ولا جهل ولا عرفان، ولا كفر ولا إيمان، إلا والله خلقه وقدره وحكم به وأراده. لكن هو لم يأمر بمعصية، بل نهى عنها وكرهها، وتوعد بالعقوبة على فعلها، لو اجتمع الإنس والجن والملائكة والشياطين على أن يحركوا في العالم ذرة، أو يسكنوها دون إرادته ومشيئته عجزوا عنه.

وقال فيها عند كلامه عن العلم بالله تعالى: وأما طريق العلم به، فمن وجهين: أحدهما طريق السمع منه، أو من سفير بينه وبين خلقه، وهو ما نطقت به كتبه وأخبرت به رسله - عليهم الصلاة والسلام - من صفاته وأسمائه بالتصديق وإقرار آيات الصفات، وأحاديث الصفات، كما وردت من غير تشبيه ولا تعطيل، ولا حمل على ظاهر، ولا تمثيل.

الوجه الثاني: طريق العقل والبرهان وهو البحث في المخلوقات، والاعتبار بالمصنوعات، والتدبر في الأخبار والآيات، وتفهم الحكم والأحاديث المسندات.

هذه الطريقة القويمة الدقيقة، التي سار عليها في وضع هذه الرسالة، فهو يتبع العقل السليم، والنقل الصحيح، ويقارن بينهما، ويخرج بحقيقة ناصعة يقبلها العقل، ويؤيدها النقل، فهي أدق طريقة في التأليف، وإثبات الحقائق.

وهو يرد على القدرية ويسميهم مجوس هذه الأمة، وينهى عن مخالطتهم وعيادة مرضاهم، ويذكر أنهم قالوا: للشر خالق، وللخير خالق، وقد أخبر الله تعالى أن الجميع مكتوب مخلوق له بلا شريك في ذلك، فقال: ﴿ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير﴾، ودليلنا بالسنة: قول النبي ﷺ: «سيكون في أمتي قوم يكفرون بالله وهم لا يشعرون» قيل: كيف يا رسول الله؟ قال: «لأنه يقولون: الخير من الله تعالى، والشر من الشيطان ومن أنفسنا، وهم يقرؤون القرآن». ودليل آخر: لما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لو أراد الله تعالى ألا يعصى ما خلق إبليس، وأن الله تعالى خلقني وأرسلني مبشراً ونذيراً، أي مبشراً بالجنة، ونذيراً من النار، وبعثني بالهداية، وليس لي من الهداية شيء وخلق الله تعالى إبليس عليه اللعنة وليس إليه من الضلالة شيء». قال الله تعالى: ﴿واجلب عليهم بخيلك

---

(١) وجدنا ما بين العارضتين في الحاشية

ورجلك وشاركهم في الأموال والأولاد﴾ وقوله ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين وإن جهنم لموعدهم أجمعين﴾ لأنهم فتكوا في الكفر، فجعلوا إرادة إبليس - لعنه الله - وأنفسهم، أقوى من إرادة الله تعالى، أراد إبليس المعصية فوجدت، وأراد الله ألا تكون فكانت، فجعلوا إبليس الملعون وأنفسهم أقوى من إرادة الله، والقائل بهذه المقالة مكذب بقوله تعالى ﴿إن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك قل كل من عند الله﴾ وقال تعالى: ﴿ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها﴾ وقال تعالى: ﴿من يهدِ الله فهو المهتدِ ومن يضللْ فلن تجد له ولياً مرشداً﴾ وقال تعالى: ﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً﴾ فجعل الضلالة والهدى بإرادته سبحانه وتعالى.

ونرى رده مستنداً على الكتاب والسنة، مؤيداً بالبراهين العقلية، وهو أسلوب علمي دقيق، لا يصدر إلا من عالم عاقل، يثبت الحق، ويرد على الباطل.

ويتكلم في فصل خاص بأنه يأخذ بالكتاب والسنة، ولا يتعرض للتأويل ويحذر من التشبيه والتعطيل الذي قالت به بعض الفرق، ويقول في هذا: ونؤمن بما ورد في الكتاب والسنة، ولا نعترض للتأويل، بعد أن نعلم أن الله عز وجل لا يشبه شيئاً من المخلوقات، ولا يشبهه شيء منها، فإن كل ما تمثل في الوهم فهو مقدره قطعاً، وخالقه، وهذا الذي اندرج عليه السلف قبل ظهور الأهواء، وتشعب الآراء، فلما ظهرت البدع، وانتشر في الناس التشبيه والتعطيل فزع أهل الحق إلى التأويل، وتقرير مذهب السلف كما جاء من غير تمثيل ولا تكييف ولا تشبيه ولا حمل على ظاهر.

وأما رأيه في الصحابة الكرام فإنه يقول: إن خير هذه الأمة بعد رسول الله ﷺ أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم أجمعين.[1]

وروي عن أمير المؤمنين كرم الله وجهه أنه قال على منبر الكوفة: أيها الناس سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن الله تعالى أمرني أن أتخذ أبا بكر والداً، وعمر مشيراً، وعثمان مسنداً، وأنت يا علي ظهراً، فهؤلاء الأئمة الأربع خلايف نبوتي، وحجتي على أمتي، لا يحبهم إلا مؤمن، ولا يبغضهم إلا منافق شقي، وصلى الله على سيدنا محمد، ورضي الله عنهم أجمعين) ويقول: لو كان التفضيل من طريق القرابة، لكان حمزة والعباس عما النبي

(١) في حاشية الرسالة: روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: (خير الناس بعدي: أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي).

ﷺ أولى بالتفضيل ، لأن العم أقرب من ابن العم وأن العشرة المبشرة بالجنة هم : أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنهم أجمعين[1] ، أماتنا الله على محبتهم ، وحشرنا في زمرتهم ﴿هو أهل التقوى وأهل المغفرة﴾ ويقول عن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه : خال المؤمنين ، رديف رسول الله ﷺ وكاتب وحي الله تعالى ، أمين الله على وحيه ، شهد له رسول الله ﷺ بالجنة ، ومات وهو عنه راض .

وأما رأيه فيما جرى بين الإمام علي ومعاوية فيقول : وهو وعلي كانا إمامين مجتهدين ، ولكن المصيب منهما علي ، رضي الله عنهما .

وأما رأيه في أصحابهما فإنه يقول عنهم : وأصحابهما أصحاب إمامين مجتهدين ، وقتالهم كان باجتهاده ، كان لطلب الحق ، لا لحظوظ الأنفس ، ولم يكن أحد منهم حريصاً على قتل أخيه وقتلاهم جميعاً في الجنة ، ونكف عما شجر بين أصحاب رسول الله ﷺ فإن الله تعالى قد غفر لهم ، وأعلم نبيه ﷺ بذلك : أنهم سيقتلون في سبيل الله ، قال النبي ﷺ : «سيجري بين أصحابي زلة ، يغفر الله تعالى لهم بسابقتهم معي» . ويقول عمن يتولى أمور المسلمين - الخليفة - : أن نسمع ونطيع لمن ولاه الله أمرنا ، لقوله ﷺ : «عليكم بالسمع والطاعة وإن كان عبداً حبشياً» .

قالوا يا رسول الله ﷺ : فإن أثموا؟ فقال عليه السلام : «عليهم إثمهم ، ولكم طاعتكم» .

فهو يوصي بالسمع والطاعة لكل إمام يلي أمر المسلمين ، ولا يجوز نقض بيعته ما لم يبتدع في الدين فإن بدر منه هذا فلا سمعاً ولا طاعة ، ولا يصلى خلفه ، لقول النبي ﷺ إن دعاكم داع إلى خلاف كتاب الله وسنة رسوله ﷺ لا تسمعوا له ولا تطيعوا ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق .

فهو يوصي بطاعة من يتولى أمور المسلمين - ولو كان عبداً حبشياً - ما لم يبتدع ، فالخلافة تكون لمن يوليه المسلمون أمرهم وأن يسير على ما جاء في كتاب الله ، وسنة رسوله ، فإن بدا منه بدعة أو ضلالة ، فلا بيعة له في رقاب المسلمين .

ويرى الشيخ عدي أن الجهاد يكون مع كل خليفة ما لم يبتدع ، فيقول : والجهاد ماض

---

(١) انظر عن العشرة المبشرة بالجنة ؛ كتاب خصائص العشرة الكرام البررة - رضي الله عنهم لجار الله محمود الزمخشري - بغداد سنة ١٣٨٨ .

مع كل خليفة براً كان أو فاجراً ما كان من البدعة بريئاً ، فإن آثامه لا تمنع من الجهاد معه ، ما لم يحدث بدعة في الدين .

وينهي رسالته بقوله : نسأل الله تعالى لنا ولكم الخاتمة بالخير ، والعافية إلى خير ، ثم المنقلب إلى خير ، والتثبت على الكتاب والسنة والجماعة ، فهذا اعتقادنا والذي نقلناه عن السلف وعن أئمة الدين ، وعن مشايخنا - رضي الله تعالى عنهم أجمعين - فإن اعتقادنا هذا نقله جبريل عليه السلام عن الله تعالى ، ونقله النبي عن جبريل عليه السلام ، ونقلته الصحابة عن النبي ، ثم نقله التابعون عن الصحابة أجمعين خلفاً بعد خلف ، وسلفاً بعد سلف ، إلى يوم القيامة ، ثم أخذ يذكر الصحابة الكرام ، والتابعين ، وتابع التابعين الذين يؤخذ عنهم من أهل مكة المكرمة والمدينة المنورة والشام ومصر والبصرة والكوفة والموصل والري . . . . الخ

فهؤلاء السادة المذكورون هم أئمة الدين - رضي الله عنهم أجمعين - ونسأل الله تعالى أن يتوفانا على مذهبهم واعتقادهم ، فمن خالف مذهبهم ، ورغب عن سنتهم ، فقد خالف الله تعالى ورسوله ﷺ وهو مبتدع لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً ، قال تعالى : ﴿ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً﴾ .

طريقته

ذكر الذين ترجموا له أنه : كان الشيخ عقيل المنبجي ، والشيخ أبو نعمة مسلة بن نعمة السروجي ، يتوسمان فيه الخير منذ صغره ، وأن الشيخ مسلمة كان يلفت نظر الشيخ عقيل إلى ما يتوقع عليه في هذا الطفل من التقوى والعبادة والذكر الحسن ، وكان هو إذ ذاك في سن السابعة من عمره ، وصار لهذا وقع حسن في نفس الطفل - عدي - فنشأ على العبادة والتقوى ، سالكاً طريق العلم والهداية ، مقتفياً طريق السلف الصالح ، والمشائخ الكمل ، جاهداً نفسه في الطاعات ، يرتاد حلقات العلم ومجالس الذكر ، يصغي إلى الرجال الكمل ، الذين يستفيد منهم دنيا وآخرة [١] اتصل بالشيخ عقيل المنبجي ، وألبسه خرقة التصوف ، وسلسلة هذه الطريقة هي :

لبس الخرقة من الشيخ عقيل المنبجي ، وهو لبسها من الشيخ مسلمة السروجي وهو

---

(١) تحفة الأحباب : ٣٠٠ - ٣٠١ ، روضة الناظرين : ٣٦

لبسها من الشيخ أبي سعيد الخرازي ، وهو لبسها من الشيخ محمد القلانسي وهو لبسها من الشيخ عليان الرملي ، وهو لبسها من الشيخ عمار السعدي ، وهو لبسها من الشيخ يوسف الفاني ، وهو لبسها من الشيخ يعقوب ، وهو لبسها من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، وهو لبسها من رسول الله ﷺ[١] .

وكان للشيخ عقيل ، ولشيخه مسلمة ، تأثير عميق في نفس الشيخ عدي ومنزلة سامية في قلبه ، وكان أصحابه إذا ما سألوه سراً لا يبوح به ، قالوا له : بحرمة الشيخ عقيل ، والشيخ مسلمة ، إلا ما أخبرتنا بكذا . . . .[٢]

وكان الشيخ مسلمة يقول عن الشيخ عدي ، وما له من مكانة في الطريقة والورع ما معناه : لازمه أربعون مريداً ولم يتخرج منهم مثل الشيخ عقيل المنبجي والشيخ عقيل له أربعون مريداً : منهم الشيخ عدي بن مسافر ، والشيخ موسى الزولي ، والشيخ رسلان الدمشقي ، والشيخ شبيب الشطي الفران - رضي الله عنهم أجمعين[٣] .

ومن أقواله الرائعة في التوكل على الله - عز وجل -

لا يخلو أخذك وتركك أن يكون بالله عز وجل ، أو له ، فإن كان به ، فهو يباديك بالعطاء ، وإن كان له فاسترزقه بأمره . واحذر ما فيه الخلق ، فمتى كنت معهم استعبدوك ، ومتى كنت مع الله حفظك ، ومتى كنت مع الأسباب فاطلب رزقك من الأرض ، فإنك لن تعطى من السماء ، ومتى كنت مع الإيمان فاطلبه من السماء ، فإنك لن تعطاه من الأرض ، وإن كنت مع التوكل : فإن طلبت بهمتك فلن يعطيك ، وإن أزلت همتك أعطاك ، وإن كنت واقفاً مع الله - عز وجل - صارت الأكوان خالية لك من المواطن ، وأنت في القبضة فان ، والكون كله فيك ولك[٤] .

وقال عن طريقته : أول ما يجب على سالك طريقتنا هذه ، ترك الدعاوي الكاذبة ، وإخفاء المعاني الصادقة .

وقال عما يجب أن يكون عليه الشيخ : الشيخ من جمعك في حضوره ، وحفظك في مغيبه ، وهذبك بأخلاقه ، وأدبك بإطراقه ، وأنار باطنك بإشراقه .

وقال يحذر أصحابه من الدجالين الذين يدعون الكرامة والولاية بأقوال كاذبة ، يغشون

---

(١) تحفة الأحباب : ٣٠٠

(٢) قلائد الجواهر : ٨٨

(٣ - ٤) بهجة الأسرار : ١٥٠ ، ١٥١ ، طبقات الشعراني : ١١٨

الناس بالتمويه والسفسطة من الكلام ، وهم جهلاء سفهاء ، بعيدون عن أوامر الله ، لا يحجمون عن فعل ما ينهون الناس عنه ، قد اتخذوا باسم الدين شباكاً يصطادون بها البسطاء من الناس :

(إذا رأيتم الرجل تظهر له الكرامات ، وتنخرق له العادات فانظروا كيف هو عند الأمر والنهي ، ومن لم يأخذ الأدب من المؤدبين ، أفسد من يتبعه ، ومن كان فيه أدنى بدعة ، فاحذر مجالسته ، لئلا يعود عليك شؤمها - ولو بعد حين - ومن اكتفى بالكلام في العلم دون الاتصاف بحقيقته انقطع ، ومن اكتفى بالتعبد دون فقه خرج ، ومن اكتفى بالفقه دون ورع اغتر ، ومن قام بما يجب عليه من الأحكام نجا) .

وقال فيما يجب أن يكون عليه المريد :

المريد من أنار نوره مع الفقراء بالأنس والانبساط ، ومع الصوفية بالأدب والارتباط ، ومع المشائخ بالخدمة والاغتباط ، ومع العارفين بالتواضع والانحطاط(١) .

وقال يوصي قائداً - أحد مريديه - مؤكداً عليه بالتزام أوامر الله في أفعاله وأقواله : يا قائد : أوصيك بمراعاة الأحكام الشرعية ، فلا تتجاوزها ، التزم الشرع وراع التقوى ، وجانب من يركض وراء الدنيا .

ويحذره من الغرور ، والفخر بالعبادة ، والادعاء الكاذب ، وأن يعرف قدر نفسه ، فلا يدعي ما ليس له فيقول :

«يا هذا : البدلاء ما صاروا بدلاء بالأكل والشرب والنوم والطعن والضرب ، وإنما بلغوا ذلك بالمجاهدات والرياضات ، لأن من يموت لا يعيش ، ومن كان لله تلفه كان على الله خلفه ، ومن تقرب إلى الله تعالى بتلف نفسه ، أخلف الله عليه نفسه :

ستـرمي النفـوس عن هولـها
فـإمـا عليـهـا ، وإمـا لـهـا
فـإن سلـمت ستـنـال المنـى
وإن تـلـفـت فـبـآجـالـهـا

يا هذا : إن قتلت فأنت من جندنا وإن تلفت كنت في تلك الحالة عندنا ، إن عشت فعيش السعداء ، وإن مت فموت الشهداء ، قال تعالى : ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم

---

(١) بهجة الأسرار : ١٥٠ - ١٥١ ، طبقات الشعراني ١١٨

سبلنا وإن الله لمع المحسنين﴾[1]

ثم أنشد :

تـريديـن إدراك المعـــالـي رخـــيـــصـــة

ولا بـد دون الـشـــــهـــــد مـن إبـر الـنـحـل

ومن أقواله الرائعة في حسن الخلق :

حسن الخلق : معاملة كل شخص بما يؤنسه ولا يوحشه ، فمع العلماء بحسن الاستماع والافتقار ومع أهل المعرفة بالسكون والانتظار ، ومع أهل المقامات بالتوحيد والانكسار[2] .

شعره

للشيخ عدي شعر سلس النظم ، واضح المعنى ، كشعر الصفوة الطيبة من زعماء الطرق الصوفية ، كالشيخ عبد القادر الجيلاني (٤٩١ - ٥٦١ هـ) ، والشيخ قضيب البان الموصلي(٤٧١ - ٥٧٣هـ) والشيخ محيي الدين بن عربي (٥٦٠ - ٦٣٨هـ) والشيخ أحمد البدوي (٥٩٦ - ٦٧٥هـ) ، وغيرهم .

ومن جميل قوله في الحب الإلهي على لسان القوم :

ذو اللوم والتـــعنيف في الحب لا تلحـــا

ودعني فـــإني فـــيك لا أقـــبل النصـــحـــا

لأني أرى شـــرب الصـــبـــوح فـــريضـــة

فـــعش والهـــاً نشـــوان سكران لا تصـــحـــا

ســقــاني بكاســات الهــوى خــمــرة الصــفــا

فـأصــبــحت فــرداً ليس يثــبت مــا أمــحــا

وذكر صاحب قلائد الجواهر أن الشيخ عدي كان ينشد هذه الأبيات :[3]

شـــربنا على ذكـــر الحــــبـــيب المهـــفـــهف

وجــــاد لـنـا الســـــاقي بغـــــيــــــر تكلف

(١) قلائد الجواهر : ٨٥

(٢) طبقات الشعراني : ١٠ : ١١٨

(٣) ص : ٨٨

فلما شربناها ودب دبيبها
إلى موضع الأسرار قلت لها : قفي
مخالفة أن يبدو علي شعاعها
وتظهر جلاسي على سري الخفي

ولا ندري هل أنها من نظمه؟ أم أنها لغيره .

وذكر صاحب القلائد : أن مما أوصى به أتباعه قوله : (١)

إذا ما أردت جوار الصمد
وملكاً يدوم وعز الأبد
فلا تفطرن على شهبة
ولا ترقد الليل مع من رقد

وله قصيدة أولها :

شربت بكأس الحب من قبل نشأتي
سكرت بها من قبل توجد خلقتي

عارض بها قصيدة الشيخ عبد القادر الجيلاني التي تسمى «الوسيلة» والتي مطلعها :

شهدت بأن الله والي الولاية
وقد من في التصريف في كل حالة

ونجد تأثير القصيدة الجيلانية في القصيدة العدوية ، من حيث الروي والمعنى ، ولا غرابة في هذا ، فإن وحدة الغرض عند الشيخين ، وتمسكهما بالحب الإلهي جعل التشابه قوياً بين القصيدتين . وقد عارض القصيدة الجيلانية غير الشيخ عدي من المشايخ ومنهم الشيخ أحمد البدوي (٥٩٦ - ٦٧٥هـ) فإنه عارضها بقصيدة مطلعها :

شربت بكأس الحب من طيب خمرتي
فلذ لي المشروب في خير خلوتي

وهذا التشابه الكبير بين شعري الجيلاني والعدوي حمل البعض أن ينسب بعض قصائد الجيلاني إلى العدوي وبالعكس .

وقد نسب إلى العدوي بعض أتباعه قصائد هو بريء منها ، خاصة وأن الذين ترجموا له ذكروا : أن أتباع الطريقة العدوية غلوا في الشيخ عدي ، ونسبوا إليه أشياء باطلة - نظماً

---

(١) ص : ٨٩

ونثراً - خلاف ما كان عليه .

ومن القصائد التي نسبوها إليه قصيدة مطلعها :

علمي أحـــاط حـــقـــيـــقـــة الأشـــيـــاء

وحـــقـــيـــقـــتي قـــد مـــا زجت آيائي

نجد في هذه القصيدة من الغلو ما يؤدي إلى الكفر ، وحاشا أن يصدر هذا من شيخ كامل كالشيخ الزاهد عدي .

ومما جاء في هذه القصيدة :

وأنا الذي أنزلت حـــقـــاً صـــادقـــاً

مني كـــتـــاباً أهدي الشـــقـــلاء

وأنا الذي أشـــرعت شـــرعـــاً حـــاكـــمـــاً

لما شـــرعـــت فـكـان مـن إعـطـائـي

فهل يعقل أن يقول الشيخ عدي هذا ؟ وهو الذي يحث في رسالته على التمسك بالكتاب والسنة ، وحذر من التأويل والخروج عن النص الصريح .

وهل يتصور أن الشيخ الزاهد العابد المنقطع إلى الله عز وجل - عدي - يقول :

وأنا عـــدي الشـــام ابن مـــســـافـــر

قـــد خـــصـني الرحـــمن بالأســـمـــاء

والعـــرش والكرسي وســـبع والثـــرى

في طي علـــمـي ، لا إلـــه ســـوائـي

ففي البيت الأول يفخر بأن الرحمن قد خصه بالأسماء ، وفي البيت الثاني ينقض قوله هذا ويذكر : أن لا إله سواه .

وهكذا نجد في القصيدة من الغلو وادعاء الألوهية ما يؤيد لنا أن أحد أتباع الطريقة العدوية المغالين - قد انتحلها ، ونسبها إلى الشيخ عدي ، وهو بريء مما نسب إليه : ومما جاء فيها :

من مـــات فيَّ مـــغـــرمـــاً ألقـــيـــتـــه

وسط الجنان مـــشـــيـــئـــتي ورضـــائي

وأنا الذي من مـــات عني غـــافـــلاً

يلقى العـــذاب بذلـــة وعـنـــاء

سبحان ذاتي ، والأمور مشيئتي
والكون قد أشرق ببعض عطائي
إني أنا الملك المعظم شأنه
وجميع رزق الخلق تحت يدائي

نجد في القصيدة أخطاء لغوية ونحوية ، كما أن بعض الأبيات غير مستقيمة الوزن .[١]

ويقول عن العين التي في زاويته :

وأنا الذي أظهرتها بتلطفي
وبقدرتي سميتها البيضاء

هذه العين يقدسها اليزيدية ، ويدعون أنها كبئر زمزم ، وأنها تنبع من مكة المكرمة وهم يتبركون بمائها كما يتبارك المسلمون بماء بئر زمزم - وهذا مما ابتدعوه بعد القرن الثامن للهجرة . كل ما قدمناه يؤيد لنا انتحال القصيدة على لسان الشيخ عدي - وحاشا أن يصدر منه هذا .

وفاته :

اختلف المؤرخون في السنة التي توفي فيها الشيخ عدي بن مسافر . وقد تقدم أنه حج سنة ٥٥٥هـ مع المشائخ[٢] . ونقل صاحب بهجة الأسرار : أن الشيخ الصالح أبا محمد يوسف بن المظفر بن الشيخ شجاع العاقولي يقول :

قصدت زيارة الشيخ عدي بن مسافر ﷺ في أوائل سنة ست وخمسين وخمسمائة . فقال من أين أقبلت ؟ فقلت : من بغداد . . . . الخ[٣] فقد كان حياً في سنة ٥٥٦ هـ .

وإننا نرجح أنه توفي سنة ٥٥٧ هـ كما ذكر ابن الأثير[٤] .

ذكر المؤرخون أنه عاش تسعين سنة ، فتكون ولادته في سنة ٤٦٧هـ . ودفن في زاويته بلالش ، وقبره لم يزل ظاهراً يزوره اليزيدية - وسنعرض له إن شاء الله .

---

(١) اعتمدنا في نشر ما في هذه القصيدة من أبيات على ما نشره الدملوجي في كتابه ، وعلى نسخة أخرى عثرنا عليها في مدرسة اسبندار التابعة لقضاء العمادية - في خزانة المدرس فيها الشيخ حسين .

(٢) ص : ٣٢ .

(٣) ص : ٩

(٤) الكامل : ١١ : ١١٧ : وذكر ابن الوردي في تاريخه أنه توفي سنة ٥٥٨ هـ (تتمة المختصر : ٢ : ٦٤)

٢ - الشيخ أبو البركات صخر بن صخر

الشيخ أبو البركات صخر بن الشيخ العارف بالله صخر بن مسافر الأموي .

ولد في بيت فار - قبل أن يهاجر منها عمه الشيخ عدي - ولما فارق الشيخ عدي «بيت فار» كان أبو البركات صغير السن ، وأبوه العارف بالله صخر على قيد الحياة ، وكان - كأخيه عدي ووالده مسافر - تقياً زاهداً في الدنيا ، نشأ على الطاعات والعبادة ، وسلك طريق والده في الزهد والانقطاع إلى الله تعالى وعرف بالشيخ العارف بالله صخر بن مسافر الأموي .

في هذا البيت الطاهر نشأ أبو البركات على طريقة أهله في التقوى والعبادات ، وشب في طلب العلم والحديث على علماء بلده ، وكان يحضر مجالس الوعظ التي يعقدها والده لإرشاد أهل بيت فار ، ويستمع إلى نصائحه وتوجيهاته كما يحضر حلقات الذكر التي يقيمها لأتباعه ومريديه .

توفي والده وهو في بيت فار ، وقد اشتهر أمر عمه الشيخ عدي بن مسافر في بلاد الهكارية ، وتعداها إلى بلاد الجزيرة والعراق والشام فاشتاق السفر إليه فقصد «لالش» ولما قابل عمه ، عرفه بعلامات كان يعرفها به منذ صغره فأواه وقربه ، وأعلمه الشيخ أبو البركات بوفاة والده الشيخ العارف بالله صخر ، وبموت جماعة من أهل بيت فار .

تولى الشيخ عدي إرشاده وتعليمه ، وتوجيهه إلى العبادة ، وتهذيب النفس ، وتصفيتها من أدران الدنيا ومباهجها الخلابة ، ودربه على سلوك طريق القوم في الطاعات والمجاهدات .

وزوجه عمه بفتاة من قرية «زوق البوريه» وذهب بنفسه مع جماعة من أصحابه - ومعهم الشيخ محمد بن رشاد - إلى القرية ، وزفوا زوجته إلى لالش[1] .

كان عمه يرى الخير في أبي البركات لما رآه عليه من التقوى والمجاهدة والانقطاع إلى الله تعالى ، وأنه خير من يخلفه - في زاويته - في التدريس والوعظ والإرشاد ، وتربية المريدين ، وأهل الجبال ، فقال فيه ، «أبو البركات حقيقياً» وعلى هذا اتخذه خليفته ، وأوصى أصحابه بقوله : «أبو البركات يخلفني» وأكد هذه الوصية بقوله «أبو البركات ممن دعي في الأزل» .

وبعد وفاة عمه - رحمه الله - رجع أصحابه كلهم اليه ، وقدموه ونصبوه مكان عمه - كما أوصى - وكان المشائخ بالجبل ينقادون إليه ، ويستمعون لإرشاده ووعظه - على ما كانوا عليه زمن عمه - ويقولون عنه : إن سر الولاية انتقل إليه بعد وفاة عمه . وكان حبهم له

---

(١) جامع كرامات الأولياء : ٢ : ١٤٩ ، ولعل محمد بن رشاد هو المدفون في قرية (مام رشان) الواقعة قرب قناطر (جروانة)

وانقيادهم لإرشاده لا يقل عما كانوا مع المرحوم الشخ عدي بن مسافر .

كان أبو البركات خير خلف لخير سلف ، في زعامة الطريقة العدوية ، والإرشاد والعلم والتقوى . وصار المرجع الأعلى لأهل الجبال ، في أمورهم الدينية والدنيوية ، وتربية المريدين السالكين طريقة عمه ، يرشدهم إلى ما أمرهم الله به ، ويحذرهم مما نهى عنه ، ويعقد مجالس الذكر ، ويجمع قلوبهم على طاعة الله ومحبة عباده ، والنصح للمسلمين والتضحية في سبيل الدين الحنيف .

وكان – مع هذا كله – يدرس من يقصده من الطلبة ، وتخرج عليه جماعة من المشائخ والعلماء ، منهم ولده أبو المفاخر عدي ، وأبو الفضل معالي بن نبهان بن فضلان التميمي الموصلي[١] .

ذكر الذين ترجموا له : «انتهت إليه رئاسة هذا الأمر في وقته ، في تربية المريدين السالكين وكشف مشكلات أحوالهم ، وتبيين مهام أمورهم بجبل الهكار وما يليه ، وتخرج بصحبته غير واحد من الصلحاء ، وتخرج به ولده الشيخ الجليل الأصيل أبو المفاخر عدي ﷺ وانتمى إليه جماعة من ذوي الأحوال ، وقال بإرادته خلق كثير ، وقصد من كل جهة ، واشتهر ذكره في الآفاق ، وكان كامل الآداب ، حسن الأخلاق ، ظريف الشمائل ، ذا سمت وبهاء ، وصمت وحياء ، محباً لأهل الدين ، مكرماً لأهل العلم ، وافر العقل كثير الكرم ، شديد التواضع .[٢] قال أبو الفضل معالي بن نبهان بن فضلان التميمي الموصلي : «صحبت سيدي الشيخ أبا البركات ﷺ سبع سنين ، وما رأيت أكثر هيبة وجلالة منه ، ولا رأيت أحفظ لمراعاة الأوقات منه ، كان أمره كله جداً»[٣] .

وقال الشيخ أبو حفص عمر بن محمد المعدني : «كان الشيخ أبو البركات بن صخر الأموي ﷺ ظاهر التصريف ، كثير الكرامات ، شديد الحياء من الله تعالى ، دائم المراقبة والرعاية لأنفاسه وأوقاته ، ملازماً لطريق السلف من المجاهدة والآداب ، كثير الشفقة والحنو على خلق الله تعالى ، مجاب الدعوة ، وكان الغالب عليه ترك التدبير ، والاختيار لنفسه ولغيره[٤]» .

وكان له كلام على لسان أهل الحقائق أمثاله من المشائخ الكمل ، وشعر يتمثل به ، ومن قوله في محبة الله تعالى :

المحبة : لذة في نغصة ، ومواضع التحقيق منها : الدهش والحيرة ، ويلزمها الشوق ، وهو

(١ – ٤) بهجة الأسرار : ٢١٣ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ، قلائد الجواهر : ١٠٩ – ١١٠

توق النفس إلى رؤية المحبوب ، وذلك يتولد من امتلاء القلب بذكر الحبيب ، وامتزاج الكرب باللهيب ، إلى مشاهدة القريب ، فإذا امتلأ القلب من حب حبيبه ، وضايقته الأشجان على أكثر من نصيبه ، التجأ إلى الذل والخضوع وانفجرت الشآبيب بالدموع ، واتقدت في السرائر جمرات إرادة المحبوب على قلة الصبر ، فالشوق يقع على الرؤية ، والمحبة تقع على الذات ، والقلب الجزوع هلوع ، والسر الممنوع فجوع ، ومن سكر بكأس المحبة ، لا يصحو إلا بمشاهدة محبوبه ، فإن السكر ليلة صباحها المشاهدة ، كما أن الصدق شجرة ، ثمرتها المجاهدة ، ثم تزايد بكاؤه وأنينه وأنشد :

إذا جاز ركب الشوق في ربع لوعتي
جعلت له بادي الاثنين دليلا
وقد عاد ليل العتب أقمر بالرضى
وعوضني منه الكثير قليلا
فما بال خيل الحب في حلبة الوفى
تطرق للبلوى إليَّ سبيلا
سأعتب للأيام فيك لعلها
تبلغني بالعتب فيك قبولا

ويقول أيضاً في هذا : (ومن علامات أهل الخصوص ، أن كلامهم يكون ذكر المحبوب ، وصمتهم تفكراً فيه ، وعلمهم طاعة له ، ونظرهم عبرة في صنائعه ، وأصل ذلك كله التعيين بما عنده ، والإياس مما سواه (١) .

ويقول في المحبة : أصول المحبة في ثلاثة أشياء : الوفاء والأدب والمروءة . فأما الوفاء : انفراد القلب بفردانيته ، والإثبات على مشاهدة وحدانيته ، والمؤانسة بنور أزليته .

وأما الأدب : فمراعاة الخطرات ، وحفظ الأوقات ، والانقطاع عن المقاطعات . وأما المروءة : فالمقام على الذكر بالصفاء قولاً وفعلاً ، وصيانة السر عن الأغيار ظاهراً وباطناً ، وحفظ الأوقات لما هو آت ، واستدراك ما فات ، فإذا وجدت هذه الخصال في العبد ، وجد لذة الوصال ، وخالف حرقة البين ، وهاج في سره نار الاشتياق .

ومما أوصى به مريدي طريقته : ينبغي للمريد الصادق أن يستعمل عشر خصال ، ويتجنب عشر خصال . فأما التي يستعملهن : فالعلم والحلم والمكارم والعفو والجود والخلق

---

(١) انظر من أقواله : بهجة الأسرار : ٢١٣ ، ٢١٤ ، قلائد الجواهر : ١٠٩ .

والشكر والذكر والإيثار والورع وقانون هذه الخصال : الزهد في غير المحبوب ، معاً إيثار طاعة المحبوب .

وأما التي يتجنبها : فالكبر والبخل والفضول والهوى والنفس والدنيا والإرادات وأنا وأنت ولي .

وقانون هذه الخصال : رؤية البلاء إعطاء من الحبيب مع استعمال الرضا والتسليم ورعاية حال الخدمة حذراً على حال القربة من حال الفرقة ثم لا يكون العبد متحققاً بحال الرضا في مقام الحقيقة حتى يلزم الوفاء ، بالعهود ، والحفظ بالحدود ، والرضا بالموجود ، والصبر على المفقود ، والموافقة للمعبود ، وإفناء النفس في المجهود .

كان شديد التمسك بالكتاب والسنة ، منكراً على من يدعي التشبيه أو التعطيل ، وتأويل النصوص لمصالحه الدنيوية ، ومنهم من يدعي المشيخة ويستغلونها فأوصى مريديه محذراً إياهم ممن يدعي الصلاح والتقوى ، وهو أبعد الناس عنهما ، فقال :

من رأيته يدعي مع الله تعالى حالاً أو مقاماً ، وهو يجوز في اعتقاده على الله – عز وجل – تشبيه أو تمثيل أو تحديد ، فاعلم أنه كاذب ، وكما أن الله تعالى لا يجوز في حقه تحديد ولا تشبيه ، كذلك صفاته ، ولو لم يرد الشرع بذلك ، لكان العقل يوجبه بالضرورة ، وينفي ما سواه ، وكما أن الزيادة على الحق كفر ، كذلك النقص منه ، وكما أن التشبيه جحود ، كذلك التعطيل ، وكما أن الزيادة على معالم السنة بدعة ، كذلك التأويل في صفات الله سبحانه ، إلا بما ورد به نص ، أو لجأ إليه برهان . والحق في نفسه أقوى من أن يقوى بباطل ، والعروة الوثقى : الوقوف عندما جاء عن الله تعالى ورسوله ﷺ من غير زيادة ولا نقص ، وما رأيت أحداً من المشائخ الذين يقتدى بهم إلا على هذا السبيل .

وقد كنت أعرف رجلاً ممن ظهرت له كرامات ومكاشفات ، وكنت أعرف منه الميل إلى التشبيه والتحديد ، فما مات حتى سلب الله جميع ما كان له ، وسقط من دائرة المباح ، وخرج إلى حمى المحرمات .

أما شعره فقليل جداً ، وما وقفنا عليه فإنه سلك به طريق القوم في الحب الإلهي والوجد ، وكان ينشد :

حقيقة الحق في سر سرائره
مكشوفة بين معنائي ومولائي
إذا تلألأ شعاع الحق في خلدي
فنيت عني ، فناداني بأسمائي

أفنيـــتني عن بلادي يا منى شـــغـــفي
يا ســـر ســـري ، ويا أنسي ومـــعنائي
يا شـــاهدي يا أنيـــسي يا رضـــا أملي
يا نور عـــيني ويا صـــدقي ودعـــوائي

وكان ينشد هذه الأبيات :

فـــأنت للعين عين عند نظرتهـــا
تسمـــو إليك كـــما تسمـــو إلى النظر
وأنت للقلب قلبٌ - في تقلبـــه -
يعلو اليك لدى العليـــاء والفكر
وأنت للوجد وجـــدٌ - في توجـــده
بسطوة القـــهـــر لا تبـــقي ولا تذر

لم نقف على السنة التي انتقل بها إلى جوار ربه ، والذين ترجموا له ذكروا أنه مات مسناً ، ودفن في التكية العدوية بلالش ، عند قبر عمه الشيخ عدي بن مسافر ، وقبره ظاهر يزار .

وممن كان يخدمه الشيخ أبو العشائر .

٣ - الشيخ عدي بن الشيخ أبي البركات صخر الأموي الهكاري المولد والدار

ولد في بلد الهكارية ، وشب في هذه الديار ، وتعلم لغة القوم - الكردية - ولذا كانوا يطلقون عليه (الشيخ عدي الكردي) .

لا نعلم السنة التي ولد فيها ، وقد عثرنا على نص يذكر أنه كان بالغاً مبلغ الرجال في حياة عم والده ، الشيخ عدي بن مسافر الهكاري (المتوفى سنة ٥٥٧ هـ) جاء في (بهجة الأسرار :) ما يأتي :

أخبرنا الشيخ أبو المفاخر عدي بن ا لشيخ أبي البركات صخر ، قال : قلت لعمي الشيخ عدي بن مسافر ﷺ أعلمت أحداً من المشائخ المتقدمين قال : قدمي هذه على رقبة كل ولي . غير الشيخ عبد القادر ؟ قال :

لا . قلت : فما معناه ؟ قال الخ ....[1]

وهذا ما يوضح لنا أنه كان يعلم من العلم والتصوف ما حمله أن يسأل الشيخ عدياً عما أشكل عليه فهمه .

وجاء في بهجة الأسرار ما يستدل أيضاً أنه كان في سنة ٦١٨ هـ بجبل الهكارية ، وروى عنه الشيخ أبو البركات يونس بن أبي النجا بن أبي الحسن علي العدوي[2] .

وجاء في نفس المصدر ما يذكر أنه كان قد حدث بالموصل سنة ٦٢٠ هـ بما أخبره أبوه أبو البركات عن عمه الشيخ عدي بن مسافر ﷺ وله غير ذلك من الأخبار والأحاديث التي رواها عن أبيه عن جده .[3]

وعلى هذا فإنه أدرك الشيخ عدي بن مسافر ، وأخذ عنه التصوف ، كما أخذ عن والده ، ولقي الكثير من مشائخ عصره ، واستفاد من صحبتهم ، فنشأ ذا صمت وحياء ، محباً لأهل الدين مكرماً لأهل العلم ، وافر العقل ، شديد التواضع ، كان من أعيان المشائخ .

تصدر في الزاوية العدوية بعد وفاة والده ، يعقد مجالس العلم والوعظ ، وحلقات الذكر والإرشاد ، فكانت منزلته في قومه لا تقل عن منزلة والده ، وقالوا عنه :

انتهت إليه تربية المريدين بجبل الهكارية ، وما يليه ، وتخرج بصحبته غير واحد من المشائخ الذين ساروا على طريقته ، في نشر العلم والتقوى بين الناس وأجمع المشائخ على تبجيله والانقياد اليه لما رآه من زهده وورعه ، وانقطاعه إلى خدمة المسلمين بالوعظ والإرشاد فكثر أتباعه ومريدوه ، فكان القطب الذي اجتمع حوله أهل الجبل ومن جاورهم .

قلنا : إنه كان في الموصل سنة ٦٢٠ هـ ، فهل أنه قصد زيارة الموصل؟ أم أنه اتخذ تكية للطريقة العدوية فيها ؟ كما كان فيها تكايا للطرق الأخرى؟

والذي نراه : أنه ربما اتخذ له تكية فيها ، لأن الذين تكلموا عن أبي البركات ذكروا : أن أولاده كثروا وانتشروا في البلاد ، وسكن بعضهم الموصل وأن الشيخ عدي اتخذ لهم فيها تكية ليجمعهم على التقوى فيها ، وتكون محل اجتماعهم وعبادتهم . ولم نقف على سنة وفاته .

(١ - ٣) ص : ١٠ ، ١٧ ، ٧٥

الدور الثالث

دور الصراع بين العدويين وأرباب الحكم

في هذا الدور كثر أبناء صخر وأحفاده ، وانتشروا في البلاد ، والناس معهم على ما كانوا عليه زمن الشيخ عدي الكبير من جميل الاعتقاد ، وتعظيم الحرمة ، فتطلعوا إلى الحكم ، وتزعم الحركة الشيخ شمس الدين حسن بن أبي المفاخر عدي الهكاري ، فإنه رأى ضعف الخلافة ، واستبداد المماليك في البلاد ، وكثرة أمراء الأطراف . وتفاني الأكراد في حب العدويين ، فاتخذ من الطريقة العدوية ستاراً لحركة سياسية عنيفة تهدف لإعادة الملك إلى بني أمية ، فكما أن العباسيين اعتمدوا على الشعب الفارسي أكثر من غيرهم في طلب الخلافة لأنه شعب لم تتقاسمه الأهواء والنحل - إذ ذاك - كذلك العدويون اعتمدوا في دعوتهم على الأكراد الذين تفانوا في محبتهم ، ولم تتقسمهم الأهواء والنحل فركزوا دعوتهم بين الأكراد في الموصل والجزيرة وسوريا .

الشيخ شمس الدين حسن بن الشيخ أبي المفاخر عدي بن أبي البركات بن صخر بن مسافر الأموي - تاج العارفين أبو محمد شيخ الأكراد (٥٨١ - ٦٤٤هـ = ١١٨٤ - ١٢٤٦م)

خلف أباه الشيخ عدي في زعامة الطريقة العدوية ، بزاويتهم في «لالش» وعكف عليه الأكراد ، وذكر الذين ترجموا له : أنه كان من رجال العلم دهاءً ورأياً وحزماً ، وله فضل وأدب ، وتمكن من أصحابه بدهائه وفصاحته حتى صار قطبهم الذي يدورون حوله ، فهو رئيسهم الديني والدنيوي وإليه المرجع في كل أمورهم ، ولم يعترفوا بسلطة لغيره[١] .

ومما يؤيد لنا ما كان عليه الأكراد العدويون من التفاني في حب الشيخ حسن ، ما رواه ابن العماد عن الذهبي ، عند كلامه عنه قال : وأتباعه يتغالون فيه إلى الغاية . . . وبلغ من تعظيم العدوية الأكراد له ، ما حدثني الحسن بن أحمد الأربلي ، قال : قدم واعظ على الشيخ حسن فوعظه ، فرق قلبه وبكى ، وغشي عليه ، فوثب الأكراد العدوية على الواعظ فذبحوه ، فلما أفاق الشيخ حسن رآه يتخبط في دمه ، فقال : ما هذا؟ فقالوا : وإلا أيش هو هذا الكلب ، حتى يبكي سيدنا الشيخ ، فسكت الشيخ حسن حفظاً لحرمة نفسه .

هذه منزلة الشيخ حسن عند أصحابه الأكراد العدويين ، فإنهم ذبحوا الواعظ لأنه أبكى سيدهم الشيخ .

وأما الشيخ حسن فإنه لم يبدر منه كلمة عتاب أو لوم على ما فعلوه وإنما سكت تعظيماً لنفسه وحفظاً لمنزلته عندهم .

هذا المقام الرفيع الذي كان الشيخ حسن عليه ، حمله على أن يستغل الطريقة العدوية للوصول إلى الملك .

وكيف لا يطمع في الملك ، والخلافة العباسية في منتهى الضعف ، وسلطة الخليفة لا تتجاوز أسوار بغداد ، وقد اكتفى من بعض الملوك بذكر اسمه على المنابر ، وضرب اسمه على النقود ، والبلاد مقسمة بين ملك وملوك وأمير وصعلوك ، واستقل في بعض البلاد من بيع بدريهمات معدودة ، وصار صاحب الحول والطول ، يتحكم في أموال الناس ورقابهم .

---

(١) انظر عن الشيخ حسن : فوات الوفيات : ١ : ١٢٣ - ١٢٤ ، العبر : ٥ : ٨٣ ، الوافي بالوفيات : ٤ : ١٧٤ ، شذرات الذهب : ٥ : ٢٢٩ - ٢٣٠ ، الحوادث الجامعة : ٢٧١ ، تحفة السنحاوي : ١٩١ ، بهجة الأسرار : ١٧ ، ١٠٠ ، ١٥١ ، ترجمة الأولياء : ٦ - ٩ ، قلائد الجواهر : ٢٩ ، الموصل في العهد الأتابكي : ١٤١ - ١٤٤ .

وفي الموصل مملوك أرمني ، اشتراه نور الدين أرسلان شاه الأتابكي[1] واتخذه مربياً لأولاده ، فقتلهم - بعد موت أبيهم - واحداً بعد الآخر ، وأخرج أبناء الأتابكة من الموصل ، واستقل بالملك وصار يدعى صاحب الموصل ، ولقبه الخليفة بالملك الرحيم .

فكيف لا يطمع الشيخ حسن في الملك ، وهو صاحب الكلمة النافذة في البلد ، وقد انتشر العدويون أتباعه في الهلال الخصيب ، ولهم قوة ومنزلة في كل البلاد التي حلوا فيها .

انتقل الشيخ حسن إلى الموصل ، ليكون قريباً من أرباب الحكم ، بصيراً بما يجري في البلاد ، ويسهل عليه الاتصال بدعاته الذين انتشروا في الهلال الخصيب ، يدعون لشيخ الطريقة العدوية - حفيد بني أمية .

والشيخ حسن من دهاة عصره ، طلق اللسان ، قوي الحجة ، يستهوي القلوب في حديثه وفصاحته . وله شعر رقيق على لسان القوم في وحدة الوجود ، والحب الإلهي ، والحنين إلى «لالش» ومن فيها . يظهر لأصحابه الذين هم فيها أنه لن ينساهم - وإن بعدوا عنه - وإن قلبه متعلق بهم : يشتاقهم ويحن إليهم ، وإلى «لالش» منبت عزه وجاهه ، وفيها قبر زعيم الطريقة العدوية ، ومؤسسها الشيخ عدي بن مسافر ، ومن ذلك قوله :[2]

خليلي إني للغرام حمول
عن العهد والميثاق لست أحول
وقد خانني دهري ولم أر مسعدا
وقل اصطباري ، والزمان طويل
ولا أحد أشكو إليه صبابتي
وما نال قلبي من جوى وغليل
فبالله يا حادي إذا جزت «لالش»
سلامي على تلك الرسوم حمول
وعاينت أقماراً بدوراً طوالعاً
وحسن قدود ، كالغصون تميل

---

(١) تولى الملك سنة ٥٨٩ - ٦٠٧هـ = ١٢١٠م (الموصل في العهد الأتابكي : ٣٥ - ٣٨)

(٢) اعتمدنا في نقل الأبيات على مجموعة خطية في خزانة كتبنا ، وعلى كتاب اليزيدية - للدملوجي وعثرنا على نسخة قديمة فيها قسم من ديوان شعره وهو عند أحد ملالي قرية همدان في سنجار ، وحاولنا أن ننقل منها فلم يسمح لنا .

عسى يرحمون اليوم صباً متيماً

صريعاً بأسياف الغرام قتيل

وله قصيدة غزلية يظهر بها حنينه إلى الوادي – وادي لالش – وأهله فيقول :

تجلت لنا يا ليلى ونحن على الركب

وأول قلب هام في حبها قلبي

تجلت معانيها ، وحسن صفاتها

وقد علمت ما بي ، ولم يعلموا صحبي

وإن كان ذنبي يا عواذل حبها

خذوا حسناتي ، واتركوني على ذنبي

على جانب الوادي بمنعرج اللوى

غزال كحيل الطرف مسكنه قلبي

وإني لمشتاق إلى من أحبه

كما اشتاق يعقوب إلى ساكن الجب

هذه ، الأبيات الرقيقة كانت تزيد في تعلق أصحابه به ، وبأهل بيته كيف لا يحبونه؟ وهو يشتاقهم كاشتياق يعقوب إلى ساكن الجب – يوسف – .

وله قصائد أخرى ، قالها عند احتجابه عن أصحابه ينوه فيها بمنزلته عندهم : إنه «فرد بلا ثان» وليس في عصره من يدانيه في النسب والعلم والتقوى ، حتى صارت «الأفلاك تفخر به» فإن احتجب عن أصحابه ، وغاب عنهم ، فإنه غير محتجب عنهم ، بل هو معهم ، يطلع عليهم وعلى كل ما يقومون به ، فقال في هذا :

كم قلت لما شربت مصطحباً

لمن ألوم؟ وفرط السكر يلعب بي

وصرت فرداً بلا ثان أقوم به

وأصبح الكون ، والأكوان تفخر بي

أليس منشأ ذات الخال – ويحكموا –

مني ، ومجمعنا في ذروة النسب

فإن ظهرت ، فذات الخال ظاهرة

وإن خفيت ، فإني غير محتجب

وكل معناي معناها ، وصورتها
كصورتي ، وهي تدعى : ابنتي وأبي

هذا ما زاد في تعلق أصحابه به ، ومغالاتهم في محبته ، حتى صاروا ينسبون إليه خوارق العادات .

وهكذا ظل الشيخ حسن منقطعاً عن أصحابه ، متفرغاً إلى تنظيم الدعوة ، متخذاً من الطريقة ستاراً لها ، ومن أتباعه المتفادين في إطاعته أنصاراً وأعواناً ، يبذلون النفس والنفيس في تحقيق ما يسعى إليه شيخهم وزعيمهم .

أرسل دعاته في الجبال ، وإلى بلاد الجزيرة وبلاد الشام - البلاد التي انتشر فيها العدويون- وأعطى الدعاة أعلاماً - سناجق - للثورة ، في رأس كل سنجق منها تمثال طاووس من نحاس أصفر ، واتفق مع أخيه فخر الدين أن يختلي ست سنين ، وينوب عنه أخاه فخر الدين ، فكان الواسطة بينه وبين أصحابه ، فيتصل به أصحابه ، ويتلقون عنه التعاليم .

وكان الشيخ فخر الدين يذكر لأتباعهم : أن الشيخ حسن قد انقطع إلى العبادة والخلوة ، وأنه يتوقع أن يخرج إليهم بعلم وأسرار خفية لم تكن معلومة عندهم .

وصار الشيخ فخر الدين خليفته في الأمور الدينية ، ومرجع القوم في الفتاوي ، وشرح الأسرار التي كان يلقيها إليه أخوه الشيخ حسن من وراء ستار ، ويقربها إلى عقولهم ، وهي الغلو في الشيخ عدي ، ومحبة الشيخ حسن ، وأنه صاحب أسرار وخوارق عادات رفعته عن مستوى أصحابه ، مما يزيد في تعلق أصحابه به ، وأنهم يتوقعون رجوعه .

بعد انقضاء السنوات الست ، ظهر الشيخ حسن لأصحابه ، وقد أودع أسراره في كتب ثلاث :

١ - الجلوة لأرباب الخلوة[١]

٢ - محك الإيمان .

٣ - هداية الأصحاب .

لم نقف على هذه الكتب ، وآخر من ذكرها صاحب هداية العارفين[٢] فلا ندري هل

---

(١) كان الشيخ محيي الدين بن عربي في الموصل سنة ٦١١هـ ومكث فيها سنة ، ألف خلالها كتابه (التنزلات الموصلية) وله كتاب اسمه (الخلوة) فلعل الشيخ حسن استفاد من كتبه ، وجعل أحد مؤلفاته (الجلوة لأرباب الخلوة) المسامرات : ١ : ٤٨ ، فهرس المخطوطات المصورة ١ : ١٨٠ .

(٢) ص : ٢٨١

أنه اطلع عليها ؟ أم أنه نقل أسماءها عن من تقدمه .

ولا شك أن هذه الكتب لها صبغة صوفية عن أحوال القوم ومشاربهم ، ولا تخلو من غلو في الشيخ عدي ويزيد ، والشيخ حسن ، وفيها ما يؤيد دعوته في الملك ، وأنه أحق من غيره في هذا .

ذكر الذين ترجموا له : أنه زاد أشياء في الطريقة العدوية نظماً ونثراً ، وذكر عنه ابن شاكر وله أدب وشعر ، وتصانيف في التصوف ، وله أتباع ومريدون ، يبالغون فيه[1] .

وعلى هذا فإن الشيخ حسن ظهر لأصحابه بتعاليم جديدة خطيرة ، فيها الغلو في الشيخ عدي ، والانقياد التام لخلفائه مشائخ الطريقة العدوية وتأييد ما يذهب إليه الشيخ حسن - زعيم الطريقة العدوية - وتصديق ما يصدر عنه من خوارق العادات ، وأنه - كما يدعي - فوق مستواهم .

تحولت الطريقة العدوية ، إلى حركة دنيوية لها صبغة دينية ، ولاقت الحركة إقبالاً شديداً من أتباع الطريقة العدوية فكانت حركة عنيفة ، تسير تحت ستار من الطريقة وتهدف إلى إعادة الملك إلى البيت العدوي - الشيخ حسن وأسرته - .

يؤيد هذا ما نقله ابن العماد عن الذهبي ، عند كلامه عن مقتل الشيخ حسن ، فقال : له تصانيف في التصوف ، وشعر كثير ، وأتباع يتغالون فيه إلى الغاية ، وبينه وبين الشيخ عدي من الفرق ، كما بين القدم والفرق ، وهو يستنكر ما أتى به الشيخ حسن من التعاليم والمغالاة في عدي وفي نفسه[2] ، ويقول عن هذا : هذه طريق الجنة ؟ فأين طريق النار !

اصطدم الشيخ حسن ببدر الدين لؤلؤ - صاحب الموصل (٦٣١ - ٦٥٧ هـ= ١٢٣٣ - ١٢٥٨م) وكان بدر الدين من دهاة عصره ، مكيافيللي السياسة ، يقدم على كل أمر في سبيل توطيد ملكه .

والذي نراه : أنه وإن أظهر الإسلام ، وحب آل البيت ، إلا أن الإسلام لم يجد إلى قلبه

---

(١) فوات الوفيات : ١ : ١٢٣

(٢) ومما زاده أنه أدخل اسمه في كلمة الشهادة - كما نجدها اليوم عند اليزيدية فهم يقولون في الشهادة : شهدي من يك الله ملك شيخ حسن حبيب الله أي : أشهد أن الله واحد . وأن الملك شيخ حسن حبيب الله . والذي نراه أنها كانت أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمد رسول الله ، وأن الشيخ حسن حبيب الله - وهو ما نجده عند بعض أصحاب الطرق الصوفية .

وأن اليزيدية بعد انحرافهم عن الإسلام رفعوا منها (وأشهد أن محمداً رسول الله)

سبيلاً ، قاسي القلب ، كثير القتل والتشويه ، نكل بكثير من رجال الموصل الذين أنكروا أفعاله ، وأوجس منهم خيفة .

كان بدر يراقب الشيخ حسن بتيقظ وحذر ، ويقف على أخباره في الدعوة ، وهو يعلم مكانته عند الأكراد العدويين ، فإن إشارة منه تكفي أن يخربوا بلد الموصل ، ويقضوا على ملك بدر الدين لؤلؤ ، وعلى هذا فإنه قاوم الدعوة ، بدعوة اتخذ لها صبغة دينية ، هي حب آل البيت ، ونشر المذهب الشيعي في الموصل ،لعل هذا يحد من عنف العدويين - دعاة الأمويين[1] .

فأقام مراقد لأبناء آل البيت في بعض المدارس التي كان قد شيدها السلاجقة والأتابكيون . فاتخذ في المدرسة النظامية قبراً لابن الحنفية ، وفي المدرسة العزية قبراً للإمام عبد الرحمن ، وفي المدرسة النورية قبراً للإمام محسن ، كما أنشأ مقاماً لأم التسعة ، ومقاماً للإمام الباهر . وأنشأ مراقد فخمة لبعض الأئمة من أبناء آل البيت وزينها بأنواع الزخارف والكتابات ، واتخذ فيها قبوراً جميلة ، مثل مشهد الإمام يحيى بن القاسم أنشأه سنة (٦٣٧هـ = ١٢٣٩م) بجانب مدرسته البدرية ، ومشهد للإمام عون الدين - ابن الحسن سنة (٦٤٦هـ = ١٢٤٨م) وكان يزور المراقد أمام الناس ، ويظهر الخشوع والتضرع إذا ما زارها ، وأعلن للناس : أنه نذر أن يقدم لمرقد الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في كل سنة من حكمه قنديلاً كبيراً بألف دينار ، وشمعداناً مطعماً بالذهب والفضة بألف دينار أيضاً .

وكلف بعض العلماء بتلاوة سيرة الإمام علي بن أبي طالب ، ومقتل الإمام الحسين في المراقد والمشاهد ، وكان يحضر هو ورجال دولته وصدور البلد والنقباء والعلماء هذه المجالس ، لكي يضعف الحركة العدوية الأموية بنشر حركة ضدها هي حب آل البيت ، وقد مر بنا ما كان بين الطرفين من النزاع والتخاصم .[2]

وإن حركة بدر الدين لؤلؤ - على ما فيها من بذل وترغيب وترهيب - لم تلاق إقبالاً من أهل الموصل ، بل إنهم قاوموها ، وكان بعض العلماء يندد بما يقوم به لؤلؤ من اضطهاد خصومه ، ومصادرة أموالهم وإرهابهم ، ونشر المذهب الشيعي في الموصل ، ومنهم (موفق الدين أحمد بن يوسف الكواشي الزاهد المفسر (٥٩١ - ٦٨٠هـ = ١١٩٤ - ١٢٨١م) فإنه

---

(١) بحثنا عن المشاهد التي أقامها بدر الدين لؤلؤ في الموصل : الموصل في العهد الأتابكي ، ترجمة الأولياء ، منهل الأولياء ، مجموع الكتابات المحررة في أبنية مدينة الموصل ، سومر : ١٣ : ١٠١ - ١١٨ .

(٢) مقدمة كتاب كفاية الطالب ، والموصل في العهد الأتابكي : ٧٧-٧٨

كان من أشد المعارضين له ، والمنكرين على ما يقوم به من هذه الأعمال[١] .

كما أن أهل البلد لم يكونوا مرتاحين من مجالسه التي كان يعقدها في المشهد - كما جاء في مقدمة كفاية الطالب - وأنهم كانوا يعترضون على بعض ما يتلى فيها .

وأن أهل الموصل لم يغيروا مذهبهم الشافعي ، وأن مساعي بدر الدين لؤلؤ لم تنجح في نشر المذهب الشيعي فيها .

ثم أراد أن يستميل نصارى أهل الموصل ، فأمر بالاحتفال بعيد الشعانين ، وأظهر فيه من أسباب الخلاعة والمجون ما نفر أهل البلد منه .

قال الذهبي في أعلام النبلاء عند كلامه عن بدر الدين لؤلؤ : وهو الأرمني الأصل ، وكان يحتفل بعيد الشعانين - لبقايا فيه من شعار أهله - فيمد سماطاً عظيماً إلى الغاية ، ويحضر المغاني وأواني الخمر ، فيتفرج وينثر الذهب عن القلعة ، ويتخاطفه الرجال ، فمقت لإحياء شعار النصارى .

وعلى هذا فإنه أراد أن يستميل النصارى بإعادة عيد لهم ، ويستميل الخلعاء من أهل البطالة الذين يفرحون بمثل ما كان يفعله ويقدمه لهم من الخمور والمغاني ، وإظهار الخلاعة والمجون ، ليكسب ودهم وتعلقهم به ، ولكن الأمر كان خلاف هذا ، فإن أهل الموصل أنكروا فعله وانتقدوه .

كما أنه تقرب إلى الخليفة والملوك المجاورين له وكسب ودهم بما قدمه من الهدايا والتحف ، فإنه راسل المغول ، وأعانهم على حرب المسلمين ، وساعدهم بجيوش وعدد ، وأرسل على رأس جيش وساعد هولاكو في حصار بغداد وتدميرها .

هذا يدلنا ما كان عليه لؤلؤ من الحيلة والمكر ، وأنه لا يتقيد بمبدأ إله ولا دين ، إلا ما يطمع به من الحكم والملك .

كان بدر الدين ينظر إلى الحركة العدوية بعين بصيرة ، وصار يترقب الفرصة للتنكيل بالشيخ حسن وأنصاره ، فكان يضايقهم بالضرائب ، ويكلفهم بما لا يطيقون ، يريد بهذا استفزازهم ، لكي يجد له طريقاً إلى الفتك بهم ، خاصة وأنه قد احتاط بكل ما يتطلبه هذا العمل الخطير .

صمم على أن يقضي على الحركة وشيخها ، فيكون قد خلص من خصم قوي . . . فاحتال على الشيخ حسن فأحضره عنده في القلعة ، وحبسه بها وخنقه بوتر سنة (٦٤٤ هـ

---

(١) نكت الهميان : ١١٧ ، شذرات الذهب : ٥ : ٣٦٦ .

= ١٢٤٦م) وخلص منه ، وبذا قطع رأس الحركة وعمادها ، وشتّت أصحابه ونكل بهم شر تنكيل[١] .

ولكن الأكراد العدويين لم يهدأ لهم بال بعد هذا الحادث المؤلم ، وصاروا يعتقدون أن الشيخ حسن لم يمت ، وأنه سيرجع إليهم ، وقد تجمعت عندهم زكوات ونذور ينتظرون خروجه[٢] ، ويعيد الأمر إلى ما كان عليه ، وأطلقوا ألسنتهم في بدر الدين لؤلؤ ، وثاروا عليه عدة مرات .

وفي سنة (٦٥٢هـ = ١٢٥٤م) جرد إليهم حملة قوية ، فتكت بهم فتكاً ذريعاً ، ونبشوا قبر الشيخ عدي وأحرقوا عظامه ، ذكر هذا صاحب الحوادث الجامعة قال :

وفي هذه السنة جرت بين أصحاب الشيخ عدي بن مسافر ، وأصحاب بدر الدين لؤلؤ - صاحب الموصل - محاربة ، كان سببها : أن بدر الدين كان كثير التثقيل على أولاد الشيخ عدي ، ويكلفهم مالاً على وجه المساعدة ، فأطلقوا ألسنتهم فيه ، فأرسل طائفة من عسكره إليهم ، فقاتلوهم قتالاً شديداً ، فانهزمت الأكراد العدوية ، وقتل منهم جماعة كثيرة ، وأسروا منهم جماعة ، فصلب بدر الدين لؤلؤ منهم مائة ، وأمر بتقطيع أعضاء أميرهم ، وتعليقها على أبواب الموصل ، وأرسل من نبش قبر االشيخ عدي من ضريحه وأحرق عظامه[٣] .

هذا ما كان من أمر الحركة العدوية مع بدر الدين لؤلؤ ، فإنه سلك مختلف الطرق في القضاء عليها ، ونجح في القوة والقسوة : من قتل وصلب وتقطيع أعضاء وحرق عظام أجل الشيوخ ، فأوقف الحركة التي لو قدر لها النجاح ، لخلصت البلد من ظلم العبيد والمماليك .

خفتت الحركة في الموصل ولالش ، ولكنها كانت نشيطة في جبال الهكارية ، وفي بلاد الجزيرة وسورية ومصر ، وظل أبناء العدويين يترقبون الفرص لنيل الحكم ، ولاقوا اضطهاداً وعذاباً في سبيل هذا . يقول ابن تيمية عن هذه الحركة التي أدت إلى المغالاة في الشيخ حسن وعدي ويزيد :

ويروون عن الشيخ حسن بن عدي أنه كان كذا وكذا ولياً . ووقفوا على النار لقولهم في يزيد ، وفي زمن الشيخ حسن زادوا أشياء باطلة نظماً ونثراً ، وغلوا في الشيخ عدي ، وفي يزيد بأشياء مخالفة لما كان عليه الشيخ عدي الكبير قدس الله روحه ، فإن طريقته كانت

---

(١) فوات الوفيات : ١ : ١٢١ ، العبر : ٥ : ٨٣

(٢) فوات الوفيات ؟ : ١ : ١٢٤

(٣) ص : ٢٧١

سليمة ، ولم يكن فيها من هذه البدع ، وابتلوا بروافض عادوهم وقتلوا الشيخ حسناً ، وجرت فتن لا يحبها الله ورسوله .[1] إن الشيخ حسن ركز دعوته في الجبال بين الأكراد ، وفي الموصل وبلاد الجزيرة ، وفي بلاد الشام . أما بلاد الأكراد والجزيرة : فإنه درس طبائع الأكراد وميولهم وأخلاقهم : شعب لم تتقسمه الأهواء والنحل ، شديد التمسك بتعاليم دينه ، يتبعون مذهباً واحداً - المذهب الشافعي - مخلصون لمشائخهم ، يحسنون الظن بهم والطاعة لهم ، خاصة إذا كانوا من أهل التقوى والصلاح ، ينقادون لأقوالهم ، ويتفادون في نصرتهم ، وهم أقوياء أشداء ، وكانوا في طليعة الجيوش الإسلامية التي دافعت عن بلاد المسلمين في الحروب الصليبية .

هذه الصفات حملت الشيخ حسن على أن يركز دعوته بينهم ، مستفيداً من منزلة أسرته عندهم . كما أن بلاد الأكراد - وخاصة جبال الهكارية - كانت من البلاد التي لجأ إليها الأمويون بعد زوال حكمهم .

وكانت بلاد الجزيرة من مراكز الخوارج الحرورية - كما جاء في وصية محمد بن علي لدعاة الدعوة العباسية - ، وهم يحاربون كل حاكم لا يرى رأيهم - ومنهم بنو شيبان - واستمرت ثوراتهم حتى القرن الرابع للهجرة ، وكلما ضاقت بهم السبل لجؤوا إلى الجبال ، فيلاقون أنصاراً من الحزب الأموي - الأكراد المؤيدين لهم - كما كان هذا في سنة (٣٦٩هـ = ٩٧٩م)[2] ولما انهزم سليمان بن هشام الأموي من الخليفة السفاح العباسي ، لحق ببلاد الجزيرة ، فناصروه وحاربوا جيش السفاح[3] .

وقد تقدم الكلام عن أكراد الجزيرة أنهم كانوا يمقتون أحمد بن محمد الجزري ، لأنه كان شيعياً فكانوا يكفرونه ، وكان خطيبهم يقول : اللهم ارض عن معاوية الخال ، ويزيد المفضال[4] .

وبلغ من تأثير الأمويين على الأكراد وتعلقهم بهم ، ما حمل بعض الأكراد أن ينتسب إلى الأمويين في اختلاف العصور .

فذهبت قبيلة الهكارية أنهم من ولد مروان بن الحكم بن العاص . وادعى بعضهم أنهم

---

(١) الوصية الكبرى

(٢) تجارب الأمم : ٢ : ٣٩٨ ، الطبري : ٧ : ١٦٩ الكامل : ٨ : ٢٥٩

(٣) الإمامة والسياسة : ٢ : ١٢٤

(٤) الخزانة الشرقية : ١ : ٣١

من أولاد عتبة بن أبي سفيان . وهذا ما حملهم أن يلتفوا حول شيخ الإسلام أبي الحسن علي بن أحمد الأموي الهكاري(٤٠٩ - ٤٨٦هـ = ١٠١٨ - ١٠٩٣م) وهو من أولاد عتبة بن أبي سفيان ، سكن جبال الهكارية ، وابتنى فيها عدة أربطة ، ورحل إلى بغداد وأخذ عن علمائها ، وصار شيخ بلاد الهكارية في التصوف والعبادة ، وكثر أتباعه ومريدوه وعكف عليه الهكاريون وغيرهم من الأكراد . وكان يتبع مذهب الإمام أحمد بن حنبل ، والحنابلة - كما قدمنا - كانوا في خصام مع الشيعة في بغداد ، وصار لأولاده بعده منزلة رفيعة عند الأكراد . وفيهم زعامة الهكاريين ، وتقلدوا المناصب عند ملوك فمنهم فقهاء ومنهم أمراء(١) .

وذكر أبو دلف عند كلامه عن شهرزور : وهم موالي عمر بن عبد العزيز وجرأهم الأكراد بالغلبة على الأمراء ومخالفة الخلفاء(٢) .

ويذكر الفارقي : أن في الدربند عرب من بني أمية ومن كندة وقبائل أخرى ، وهم من قتلة الإمام الحسين بن علي عليهما السلام هربوا من وجه المختار الثقفي الذي طاردهم إلى الموصل ، ثم إلى جبال الجزيرة ، ثم إلى ميافارقين ، ثم إلى جبل السناسنة ، وأقاموا عند سنحاريب ملك السناسنة ، وهم يتكلمون العربية ، وأن طائفة أخرى هربوا إلى جهات غير معلومة(٣) .

وذكر القلقشندي وغيره عند كلامه عن جولمرك : يقال إنهم طائفة من العرب - من بني أمية - اعتصموا بهذه الجبال عند غلبة بني العباس عليهم ، وأقاموا بين الأكراد ، فانخرطوا في سلكهم ، وهم الآن في عدد يزيد على ثلاثة آلاف(٤) .

ونجد في الأناضول بعض السكان كانوا ينتسبون إلى بني أمية . ذكر ابن بطوطة عند

---

(١) وفيات الأعيان : ١ : ٣٤٦ . وقبره في قرية «دارس» وهي التي تعرف اليوم باسم «ديرش» تقع جنوبي شرقي العمادية .

(٢) رحلة أبي دلف : ١٨

(٣) تاريخ ميافارقين : ٤٣ ، ٤٤

(٤) صبح الأعشى : ٧ : ٣٧٨ ، السلوك : ١ : ٤ ، خطط المقريزي : ٣ : ٣٨ وفي القرن السابع الهجري فإن فخر الدين أبا محمد ابراهيم بن ميكائيل بن إسماعيل بن علي العثماني شيخ مشايخ الجبال ودرتنك وباوه ، له نسب يتصل بأمير المؤمنين ذي النورين عثمان بن عفان الأموي ، وقدم ولده قطب الدين ميكائيل إلى بغداد ، وكتب له ابن الفوطي نسبه ، وهو بأيديهم (معجم الألقاب : ٣ : ٦٦)

كلامه عن مدينة كوتاهية : فيها طائفة يقال لهم الجرميان ، يذكرون أنهم من ذرية يزيد بن معاوية ، وأنهم يفعلون في يوم عاشوراء ما كان يفعله الأمويون[1] .

وأما مدينة الموصل : فهي مدينة أموية ، عني بها الأمويون مدة حكمهم واتخذوها قاعدة لبلاد الجزيرة وكانوا يولون عليها أقدر الولاة وأكثرهم حباً بالإصلاح ، وأثروا فيها آثاراً كثيرة ، حتى صارت من أمصار الدولة الأموية . وهذا مما زاد في حب أهل الموصل للأمويين ، حتى بعد انقراض الدولة الأموية ، وهو ما حمل السفاح أن يفتك بالمدينة سنة (١٣٣هـ = ٧٥٠م) فتكاً ذريعاً ، وقتل من أهلها ثلاثين ألف نسمة ، فلجأ من سلم من الأمويين وأنصارهم إلى الجبال القريبة من الموصل ، ومنها جبل مقلوب[2] وجبل لالش وجبال الهكارية ، فكانت من المراكز الأموية .

كانت هذه الدعوة الأموية تلاقي مقاومة في بلاد الجزيرة والموصل من بعض الذين حكموا البلاد .

وقدمنا : لما كانت الدولة الحمدانية ، واتخذوا الموصل قاعدة لها ، وناصروا المذهب الشيعي ، وحاولوا نشره في الموصل ، فلم يلاق إقبالاً من السكان . ولما أراد أبو عبد الله سعيد ابن حمدان أن يبني قبة فوق قبر الصحابي عمرو بن الحمق الخزاعي - وهو ممن ثبتوا على حب الإمام علي بعد وفاته - جرت فتنة بين الشيعة والسنة في البلد .

وخلفهم العقيليون في حكم البلد ، وكانوا من المغالين في التشيع ، حتى أنهم خطبوا للخليفة الفاطمي فيها سنة ٤٠١هـ . ولما جمع «قرواش» أهل الموصل وأظهر لهم طاعة الخليفة الحاكم بأمر الله الفاطمي ، أجابوه وفي القلوب ما فيها ، ولم تلاق دعوته تأييداً في البلد[3] .

هذه المقاومة من جانب الحكام ، جعلت المنافسة مستمرة بين الحزبين : الأموي والهاشمي ، واستمرت إلى القرنين السادس والسابع للهجرة ، وقد ذكرنا ما كانت عليه زمن بدر الدين لؤلؤ[4] .

أما في الشام ومصر فقد حدثنا الوهراني المتوفى سنة (٥٧٥هـ = ١١٧٩م) . وكان هذا

---

(١) تحفة النظار : ١ : ١٨٤

(٢) وكانت قرى جبل مقلوب من أملاك الحر بن يوسف الأموي الذي تولى الموصل (سنة ١٠٦ - ١١٣هـ) سومر : ٧ : ٢٢٩ - ٢٣٥ منهل الأولياء : ١ : ٧٤ .

(٣) انظر (ص : ٢١) من هذا الكتاب .

(٤) الموصل في العهد الأتابكي : ٧٦ - ٧٨ ، ١٦٦ - ١٧٦ .

قد ساح في بلاد مصر والشام، ووصف ما كانت عليه الحالة من التنازع والمنافسة بين أنصار العلويين وأنصار الأمويين - في مصر والشام - واعتماد حزب بني أمية على الأكراد الذين كانوا يفرطون في محبتهم[1]، وهم الذين قضوا على الدولة الفاطمية، ومحو آثارها ونشر المذهب الشافعي في مصر والشام.

يقول عن الدولة الفاطمية: عجوز محتالة، وطفلة مختالة، وكاعب فتانة، وغادة مجانة.

تفـــانى الرجـــال على حـــبــــهـــا
فـــمـــا يحـــصلون علـى طائـل

رباها السلطان في الحجور، بين الفسق والفجور، حتى إذا هرمت سعودها وذوى عودها، رميت بالرواعد، فأتى الله بنيانهم من القواعد.

وإن الجـــرح ينفـــسر بعـــد حين
إذا كـــان البـناء علـى فـــســـاد

ثم استطرد بذكر فضائل صلاح الدين فذكر قضاءه على هذه الدولة، وأنه اتخذ في مسجد الإمام الشافعي زاوية للفقه والتدريس، ونشر مذهب ابن إدريس وأمر بذكر العشرة المبشرة على المنابر، وأرغم بهم أنف الحسود المكابر.

ويذكر عن أهل الشام ومناصرتهم دعوة الأمويين ويسميهم (عبيد يزيد) لغلوهم في حب يزيد.

ويذكر عن بني أمية وما كان عليه أنصارهم - الأكراد وغيرهم - وتعلقهم في حبهم وما كانوا يخاطبونهم به من التعظيم: «هؤلاء السادة والقادة من بني عبد شمس».

وتقدم أحدهم إلى معاوية وقال له: يا خال المؤمنين، يا كاتب وحي رب العالمين، نحن قوم من محبيكم، وقد طردنا عن الحوض لأجلكم، ونحن هالكون من شدة العطش بسببكم، ولنا جماعة من ثقاة شيعتكم يشهدون لنا. فقال له معاوية: ما تحتاجون إلى شهادة، أنتم عندنا من الصادقين، فيقول يزيد ابنه ومن بينكم؟ فقال له: القاضي صدر الدين عبد الملك بن درباس[2]- قاضي مصر - يشهد لنا، فقال يزيد: أحضروه فإن هذا

---

(١) انظر ما جاء عن الوهراني: مناماته: ٤، ٧، ٤٠، ٤٤، ٤٥، ٥٢ - ٦٠، ١٢٨ - ١٢٩، ١٤٠ - ١٤٢.

(٢) عبد الملك بن درباس قاضي القضاة صدر الدين عبد الملك بن عيسى الماوراني الشافعي المتوفى سنة ٦٠٥هـ(العبر: ٥: ١٣)

القاضي الكردي من عجائب الزمان .

وما كان بأسرع من أن حضر القاضي في جماعة من الأكراد ، ومعه الفقيه عيسى راكب على نجيب من نور ، والبقية يمشون في ركابه ، فتقدموا إلى معاوية فسلموا عليه ، ثم التفتوا إلى ابنه يزيد فقالوا له :

السلام عليك يا امام العدل ، والسلام عليك يا خليفة الله في الأرض ، السلام عليك يا ابن عم رسول الله ، السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ، نفعنا الله بطاعتك ، وأدخلنا في شفاعتك ، ورفع درجتك في الجنة ، كما رفعها في الدنيا .

فرد عليهم رداً حفياً ، وقال للقاضي صدر الدين : الحمد لله الذي جعل في أصحابي وشيعتي من يصلح أن يكون قاضي قضاة المسلمين . . . .

ثم يقول له معاوية : ليهنك يا فقيه لقد عرض لك اليوم من أعمال الخير ما غبطك عليه النبيون والملائكة المقربون .

ثم يقول يزيد بن معاوية للقاضي صدر الدين : أوصيك بأصحابك الأكراد خيراً ، فإنهم أولى بحسن تدبيرك من سائر الناس .

وفي منامات الوهراني فصول ممتعة لما كان عليه القوم من التنافس ، ويتجلى لنا فيما ذكره عن نزاع الأمويين والعلويين وأشياعهما على الحوض - يوم القيامة - وإن كلاً من الفريقين كان يستعين بالقبائل والأشخاص الذين نصروهما في الدنيا .

ومما يجدر ذكره أن أنصار العلويين كانوا يقولون لأنصار الأمويين في الخصام الذي جرى بينهما « يا بقر الشام ، يا شيعة الطاغوت ، يا عبيد الطلقاء ، هذا الأنزع البطين ، بين أيديكم ، إلى أين تذهبون؟»

وله من رسالة كتب بها إلى أبي القاسم الأعور يتهكم به ويقول له : فنسأل الباري جلت قدرته ، أن ينفعك بالإيمان ، وأن لا يوقعك يوم القيامة في يد علي بن أبي طالب عليه السلام ، وأن يستنقذك من أهل الهاوية ، بشفاعة أمير المؤمنين معاوية . ونجد في منامات الوهراني فصولاً ممتعة يشرح لنا بها ما كان عليه الطرفان من المنازعة والمنافسة - حتى في يوم القيامة على ما يرى هو - وأن أهل الشام يغالون في حب بني أمية هم والأكراد المناصرون لهذا الحزب ، ولمعاوية ولابنه يزيد .

٢ - الشيخ فخر الدين بن الشيخ أبي المفاخر عدي

اعتمد عليه أخوه الشيخ حسن في تنظيم الحركة ، لما كان يعهده فيه من العلم والتدبير ، وقوة الحجة ، فكان يدبر معه أمور الدعوة ، - خاصة عندما اختلى الشيخ حسن - فكان الشيخ فخر الدين مرجع القوم في الأمور الروحية ، وإصدار التعاليم التي تؤيد دعوتهم ، وتكسبها صبغة دينية ، تزيد من تعلق الأكراد العدوية بها .

فكان الوسيط بينهم وبين الشيخ حسن ، الذي اختلى وانقطع عنهم ، ينظم ما يرى أن يقوم به ، ويشرح لهم الشيخ فخر الدين ما يتلقاه من الشيخ حسن ، ويوضح لهم ما أشكل عليهم فهمه ، وما يلقي إليه من أسرار الدعوة فهو خليفة الشيخ حسن ، ولسانه الناطق ، وصاحب أسراره ، ولذا عده اليزيدية الإله السابع في تسلسل آلهتهم ، جاء عنه في (مصحف رش) : إنه المخلوق يوم السبت ، وهو خالق الإنسان والحيوان والطير والوحش ، وسموه «نورائيل» أي إنه مصدر النور ، لأنه يشرح لهم أقوال وتعاليم الشيخ حسن ، وما يلقيه إليه من أسرار الدعوة ، وصار لأولاد الشيخ فخر الدين - من بعده - مكانة رفيعة عند اليزيدية ، فحصروا منصب «بابا شيخ» في ذريته .

ولبابا شيخ تولية الأمور الدينية ، وإليه المرجع فيها ، وله الحق في إصدار الفتاوى التي تشكل على القوم .

فكان الشيخ حسن الرئيس الدنيوي[1] ، وانحصر هذا المنصب في ذريته ، والشيخ فخر الدين هو الرئيس الديني ، ويتولاها أبناؤه بالوراثة .

٣ - الشيخ شرف الدين محمد بن الشيخ شمس الدين حسن

بعد مقتل والده بقي في الموصل ، وتولى زعامة الطريقة العدوية ، وكان يحذر من بدر الدين لؤلؤ ، خاصة بعد أن فتك بأبيه والعدويين .

إن عز الدين السلجوقي كان يحذر من جيش المغول ، فوجه مملوكاً له سنة (٦٥٥ هـ = ١٢٥٧م) إلى نواحي ملطية وخرتبرت ليستخدم له عسكراً من الأكراد والتركمان والعرب ، فوصل هذا المملوك واستعان بالعدويين ، فقدم عليه شرف الدين أحمد بن بلاس من بلد

---

(١) ذكر الدملوجي في كتابه اليزيدية (ص : ١٠٠) أن امارة اليزيدية بقيت في ذرية الشيخ حسن إلى منتصف القرن الحادي عشر للهجرة ، ثم أخرجها منهم أولاد الشيخ أبي بكر ، الذي لم نتوصل إلى معرفة درجة قرابته من هذه الأسرة ، وهم لا يزالون يحتفظون بها .

الهكار ، وشرف الدين محمد بن الشيخ عدي من بلد الموصل الكرديين ، فأقطع ابن بلاس ملطية ، وابن الشيخ عدي خرتبرت .... فرحل ابن الشيخ عدي من خرتبرت ليتصل بالسلطان عز الدين فأدركه (انكورك نوين) وقتله ومن معه[١] .

إن شرف الدين لم يقم بحركة ضد بدر الدين ، لأنه رأى ما فعله هذا السفاك بأبيه ، وثم بالعدوية ، لذا أراد أن يبتعد عنه ، فطلب السلام فأدركه أجله على أيدي المغول سنة ٦٥٥ هـ .

٤ - تقي الدين عمر بن الشيخ شمس الدين حسن

ومن أولاد الشيخ حسن بن أبي المفاخر عدي (تقي الدين عمر) كان أديباً له مجموعة أدبية جمع فيها مختارات أدبية قديمة . وهي من المجاميع الأدبية النافعة[٢] ، وليس فيها شيء من الغلو الذي أدخله والده الشيخ حسن ، وهي تبدأ بالحمد لله والصلاة على النبي وآله وصحبه .

وعلى هذا فالذي نراه أن أبناء الطائفة العدوية لم يكونوا كلهم قد اتبعوا طريقة الشيخ حسن في الغلو ، وأن أقرب الناس إليه ولده لم يسلك طريقته في الغلو ، بل كان ميالاً إلى العلم والأدب .

٥ - الشيخ زين الدين العدوي

ذكر المؤرخون أخباراً متضاربة عن الشيخ زين الدين ، الذي ينتهي نسبه إلى أبي البركات الأموي .

وقد ظهر لنا من تدقيق الأخبار : أنه كان في العدويين شخصان باسم زين الدين ، أحدهما الشيخ أبو المحاسن زين الدين يوسف بن الشيخ شرف الدين محمد بن الشيخ شمس الدين حسن ، ويتصل نسبه بالشيخ أبي البركات صخر الأموي[٣] . والثاني هو الشيخ زين الدين من أحفاد الشيخ عيسى بن الشيخ أبي البركات صخر الأموي .

---

(١) تاريخ مختصر الدول : ٤٦٦

(٢) نسخة منها في خزانة الأستاذ عباس العزاوي وهي على ما ذكر - أصل هذه النسخة - من مجلد ضخم يرجع إلى زمن جامعها .

(٣) تحفة الأحباب : ١٩٠ - ١٩١ ، خطط المقريزي : ٤ : ٣٠٥

أ - الشيخ زين الدين يوسف بن الشيخ شرف الدين محمد :

حفيد الشيخ حسن ، رحل إلى مصر بعد نكبة أسرته ، وترك ما كان عليه جده من الغلو ، ولزم جانب العلم والتقوى ، وأثنى عليه من كتبوا عنه .

فإنه رأى ما حل بأبيه وجده من القتل والتمثيل ، وما آل إليه أمر العدويين من التشريد في البلاد ، سلك طريق أجداده الشيوخ الكمل ، الذين لم تغرهم الحياة الدنيا ، ولزم العبادة والتقوى والانقطاع إلى الله تعالى .

نقل السخاوي عن الأزهري قال : كان له بداية ونهاية وسياحة وتجريد وتحقيق وتدقيق ، ومعرفة تامة عن طريق القوم ، وكان من كبار الصالحين في عصره ، وقيل : إنه يعرف (بصاحب الحورية) أيضاً[1] .

ومما يؤيد لنا مانعتته به الأزهري ، هو ما كتبه أتباعه على باب القبة التي دفن بها في التكية العدوية بالقاهرة «هذا مقام القدوة شيخ شيوخ الإسلام شيخ الطريقة ، ومعدن الحقيقة ، فريد عصره ، شرفت بأقدامه مصر - أوحد شيوخ المسلمين ، زين الدين يوسف بن الشيخ محمد بن الحسن بن الشيخ عدي بن أ بو البركات بن صخر بن مسافر الأموي ، نفع الله ببركاته المسلمين وذلك في ربيع الأول سنة خمس وعشرين وسبعمائة»[2]

ومكتوب على ضريحه :

«هذا ضريح السيد الإمام العالم العارف الشيخ زين الدين يوسف بن السيد الشيخ شرف الدين محمد بن السيد الشيخ شمس الدين حسن بن السيد الإمام شرف الدين عدي بن أبي البركات بن صخر بن مسافر بن إسماعيل بن موسى بن مروان بن الحسن بن مروان بن الحكم الأموي ، قدس الله روحه ونور ضريحه . انتقل إلى رحمة الله يوم الاثنين ثالث عشر ربيع الأول سنة سبع وتسعين وستمائة» .

وعلى هذا فإن المدفون في الزاوية العدوية بالقاهرة هو : الشيخ زين الدين حفيد شمس الدين حسن ، وإنه كان من مشائخ الإسلام المنقطعين إلى الزهد والإرشاد ، وتوفي بمصر ودفن بزاويته .

---

(١) تحفة الأحباب : ١٩٠ - ١٩١ ، خطط المقريزي : ٤ : ٣٠٥

(٢) هذا تاريخ بناء القبة ، أما وفاته فكانت سنة ٦٩٧هـ - كما هو مكتوب على باب الزاوية ، انظر عنها وعن الزاوية العدوية وما فيها من كتابات (تيمور : ٢٦ - ٣٦)

ب - الشيخ زين الدين - المطالب بالملك

وأما الشيخ زين الدين الذي طلب الملك، واعتقل في مصر، فهو أيضاً من أبناء العدويين من ذرية الشيخ عيسى بن الشيخ أبي البركات.

جاء عنه في حوادث سنة (٦٨١ هـ = ١٢٨٢م) ما يأتي : (وفي يوم عرفة قبض على زين الدين من ذرية الشيخ عيسى بن أبي البركات، وأبو البركات أخو سيدنا عدي بن مسافر - رحمة الله عليه - وسير إلى الديار المصرية، وصحبته أميران من أمراء دمشق، مقبوض عليهما حسب ما ورد مرسوم الملك سيف الدين قلاوون من الديار المصرية[١].

فالشيخ زين الدين هذا طالب دنيا، والشيخ زين الدين حفيد الشيخ حسن - الذي تقدم ذكره - طالب آخرة. والفرق بينهما ظاهر.

وقد التبس أمرهما على بعض المؤرخين، فجعلوهما شخصاً واحداً ونقلوا أخبار الشيخين المذكورين متداخلة مع بعضها.

وخلاصة ما ذكره المؤرخون عن زين الدين هذا : أنه ترك الموصل خوفاً من التهديد، ولجأ إلى سورية موطن الأمويين، فأكرم وأنعم عليه بأمرة كبيرة، ثم تركها، وانقطع في قرية (بيت فار) موطن أجداده، وفيها البيت الذي ولد فيه الشيخ عدي الكبير، والذي كان يقصد ويزار. وانغمس في الترف والنعيم وملاذ الدنيا، وعاش عيشة الملوك بما اتخذه من آنية الذهب والفضة والملابس الفاخرة، والرياش النفيس والخيول والسلاح، كان مما يقدمه إليه الأكراد العدوية، لحسن اعتقادهم فيه.

ومن ذلك أن بعض نساء الطائفة «القيمرية» افتتنت به، وبالغت في تعظيمه، وبذلت له أموالاً عظيمة وحاشيتها تلومها، فلا تصغي إلى قوله، فاحتالوا حتى أوقفوها عليه وهو عاكف على المنكرات، فما زادها إلا ضلالاً، وقالت أنتم تنكرون عليه هذا، إنما الشيخ يتدلل على ربه[٢].

ومما يدلنا على سمو مكانته في الشام، وما كان عليه من الترف والبذخ، ما ذكره «ابن فضل الله العمري» قال : (حكى لي شيخنا شهاب الدين أبو الثناء محمود الحلبي الكاتب - رحمه الله - قال : بعثت مع الأمير الكريم علم الدين سنجر الدوادار ليحلفه في أول الدولة الأشرفية، فأتيناه - وهو في قريته مثل الملك - في قلعته للتجمل الظاهر، والحشمة

---

(١) ذيل مرآة الزمان : ١ : ١٤٨، خطط المقريزي : ٤ : ٣٠٥ - ٣٠٦ السلوك : ١ : ٧٠٩.

(٢) خطط المقريزي : ٤ : ٣٠٥، ٣٠٦

الزائدة ، والفرش والأطلس وآنية الذهب والفضة والغضار الصيني ، وأشياء تفوت العد ، إلى غير ذلك من الأشربة المختلفة الألوان ، والأطعمة المنوعة . فلما دخلنا عليه لم يحتفل بنا ، وأتاه الأمير علم الدين فقبل يده وهو جالس لم يقم له ، فبقي الدوادار قائماً قدامه يحدثه ، وزين الدين يسأله ، لا هو يجلس ، ولا زين الدين يقول له : اجلس ، ثم أمره بالجلوس ، على ركبتيه متأدباً بين يديه ، ثم لما حلفناه أنعم علينا بجملة طائلة ، تقارب خمسة عشر ألف درهم[1] .

هذه منزلة الشيخ زين ا لدين العدوي يقف أمامه أمير كبير من أمراء الدولة ، فلا يعبأ به ولا يجلس الأمير إلا بعد أن يأذن له الشيخ بالجلوس .

وهو الذي التبس على المقريزي ونقل عنه وعن غيره أنه (قدم زين الدين أبو المحاسن يوسف إلى بلاد الشام ، فأكرم وأنعم عليه بأمرة ، ثم تركها وانقطع على هيئة الملوك ، من اقتناء الخيول المسومة والمماليك والجواري والملابس والغلمان ، وعمل الأسمطة فخاف على نفسه فترك ولده عز الدين هناك ودخل إلى القاهرة وأقام بها ، فأكرم بها) .

فالمقريزي جعله زين الدين يوسف ، وخلط أخبارهما ، فالتبس الأمر عليه ، وعلى من نقل عنه .

والمتأمل فيما ورد عنهما من أخبار ، يجد أن زين الدين هذا - طالب ملك- هو غير زين الدين يوسف - الزاهد في ا لدنيا - والمدفون في التكية العدوية في القاهرة .

وعلى كل فإن زين الدين هذا هو من أحفاد العدويين من أبناء صخر ، رحل إلى الشام مكرماً معززاً ، وأقبل الناس عليه - العدويون وأهل الشام - وأهل الشام هواهم مع بني أمية كما نعلم - وأغدقوا عليه الأموال ، فعظمت حاله ، وسمت منزلته ، فطمع في الملك ، وانقطع في (بيت فار) قرية أجداده ، متخذاً من البيت الذي ولد فيه مؤسس الطريقة العدوية الشيخ عدي الكبير محجاً لأصحابه ، وأخذ يستعد للمطالبة بالملك ، والأكراد العدويون عاكفون عليه ، يقدمون له صفوة أموالهم ، وأهل الشام يؤازرونه ، وخافه الحكام ، فأرسل الملك الأشرف إليه من يحلفه بالطاعة كما تقدم .

واتسعت دعوته في الشام ، وتعدتها إلى مصر ، وصار خطراً يهدد الدولة ثم إنه انتقل إلى دمشق ، واتصل بأرباب الحكم فيها ، وأخذ يمنيهم بالإقطاعات ، ويجزل لهم الهبات ، فاستمال منهم الأمير عز الدين أيبك كرجي أمير علم ، والأمير ناصر الدين محمد بن عز

---

(١) اليزيدية - تيمور : ٢٥

الدين أيدمر النائب ، وعلى هذا فأوعز الملك سيف الدولة قلاوون[1] إلى نائبه في الشام ، باعتقال الشيخ عز الدين مع الأميرين المذكورين ، وإرسالهم إلى مصر .

ولا ندري هل أنه سجن في مصر إثر وصوله ، أم أنه اعتقل في قلعة ليكون تحت مراقبة أولي الأمر . ثم سجن بعد هذا . والذي نراه أنه لم يسجن أول أمره ، لأن الذين تكلموا عن تسفيره إلى مصر ، ذكروا أنه ترك ولده عز الدين في الشام ، ثم سكتوا عما آل إليه أمره .

ومهما يكن من أمر فإنه سجن في مصر ، سواء كان أول وصوله إليها أو بعده ، وأنهم ضيقوا عليه في سجنه .

وفي شعره يصف ما كان عليه السجن من الأحكام ، وشدة المحافظة ، وقسوة الحراس في معاملته في الكلام وفي المكان والطعام ، وفي السجن حشرات وهوام تؤذيه ، حتى صار يفضل الموت على هذه الحياة التعسة ، فيقول :

وسجن يكل الوصف عنه لأنه
حصين منيع لم تنله البطارق

شنيع به قمل وبق وبرغش
وفار لما أدخره من الأكل سارق

وقد جمعوا فيه جنوداً كثيرة
وما فيهم من يدعي الصدق صادق

سوى قائل هذه القصيدة (يوسف)
مقيم على عهد الحبيب مفارق

وله قصيدة أخرى يتشفع بالنبي والخلفاء الراشدين ، أن يمن الله عليه بالخلاص مما هو فيه ، أو يقضي عليه بالموت فيقول :

فإن لم تجد لي بالخلاص تكرماً
بحق النبي الهادي ، عجل منيتي

وفي شعره وصف صادق لما لاقاه في سجنه من العذاب ، وحنين إلى (لالش والهكار) وفيهما أهله وأنصاره فيقول :

---

(١) السلوك : ١ : ٣ : ٧٠٩ ، ذيل مرآة الزمان : ٤ : ١٤٨ خطط المقريزي ٤ : ٣٠٥ - ٣٠٦

قــف عـــلـــى لا لـــش وحـــي الــطـــلـــولا

وأخــــبـــــراهم عني ، وسلم وقــــولا [1]

أنتم ســـادتي ومـــالي ســـواكـــــم

حـــاشـــا لله أن أحـــيـــد عنكم بديلا

هل ترى مــــخـــبـــراً لأولاد عـــمي

عن غـــريب في الســجن أضـــحى ذليـــلا

ويقول في قصيدة أخرى :

قـــد بقـــيت مـــضنى ، وجـــســـمي نحـــيل

ســــاهراً باكـــــيـــــاً وليلـي طويل [2]

تائه حـــائـــر بمصـــر كـــئـــيـــب

أســـــأل الله وهو نعم الوكـــــيـــل

طال شـــــوقي إلى عــــدي وربعي

فـي حـــــمـــى لالش ونحن نزول

شـــتت البين بيننا فـــافـــتـــرقنـــا

بعـــد مـــا كـــان جـــمـــعنا مـــوصـــول

هل أرى ســـادتي بلالـش جـــمــــعـــاً

فلعل الهـــمـــوم منـــــي تزول

وله قصيدة أخرى يحن إلى أهله وقومه ، ويندب سوء حاله الذي آل إليه ، ويتوسل بالشيخ عدي مما هو عليه من الضيق والإرهاق فيقول :

يقـــول ابن صـــخـــر الذي بات مـــا غـــفـــا

وعـــيناه من حـــر الدمـــوع همـــول

أيا راكـــبـــاً مني على متن ضـــامـــر

مـــحـــملة تطوى الفـــلاة عـــجـــول

---

(١) انظر هامش ص : ٩٩

(٢) التبس على الدملوجي فجعلهما قصيدة واحدة ، وإنا نقلنا الأبيات عنه ، وبعض الأبيات غير مستقيمة الوزن كما في البيت رقم (٢) من الصحيفة رقم ٩٨ غيره من الأبيات

إذا جـــزت لـلـهكـار تلقـي قـــبـــيلة
كـــرامـــاً وهـم بين الجـــبـــال نـزول
فـــأقـــرئهمُ مـني الـســلام وخص مـن
يكـنـى عـــديـــاً وابتـــدره قـــؤول
ألا يا كـــريم الأصل جـــئــتـك قـــاصـــداً
من أرض بهــا ســجن الـغــريـب يطول
تحـــمـلت من خـل إلـيـك رســـالـة
تصح ، ومـــا يخـــفي الحـــديث رســـول
ويشـــهـــد الـلـه والأقـــوام كـلـهـم
بأني مـــحب والبـــيـــان يطـــول

ويقول أيضاً يندب سوء حاله ، ويتوسل بالله وبالشيخ عدي أن يفك أسره ويعيده إلى لالش :

طـرقـــتـنـي طـرائق الحـــدثـان
ورمـــتـنـي بـالـصـــد والـهـــجـــران
ورمـــوني في مـــصـــر بالســجن وحـــدي
ليس لي مـــســـعـــد ســـوى أجـــفـــاني
ليس لي مـــســـعـــد ســـوى دمع عـــيني
وأنـيـنـي قـــد أقـلـق الـســـجـــان
كـنـت أرجـــو الوصـــال مـنـهـم دوامـــاً
لا بلى الـلـه مـــسـلـمـــاً مـــا بـلانـي
يا إلـهي بالمصطفى ســـيـــد الـرسل
وبعـــدي صـــاحـب الـبـــرهـان
هل عـــسى؟ هل عـــسـاك تجـمع شـمـلي
في حـــمى لالـش ، وعـــيـــشي هانـي؟

ويتضح لنا من بعض قصائده : أن العدويين - بعد نكبتهم - انقسموا على أنفسهم ، فنبذ بعضهم ما أدخله الشيخ حسن من البدع والغلو في طريقتهم ، فنراه ينصح العدويين أن يتركوا التقاطع ، ويتجنبوا البغضاء والخلاف ، وأن يجمعوا كلمتهم ، ويتبعوا تعاليم الشيخ حسن . ويتضرع إلى الله عز وجل أن يحل بأرضهم ولياً عدوياً ، يخفف عنهم بؤسهم

وشقاءهم ويذكرهم بشيخهم حسن صاحب الدعوة ومؤسسها ، ويشرح لهم أسرار الدعوة ، ويجمعهم عليها ، ليعودوا إلى ما كانوا عليه من الوفاق والمحبة والتفادي ، في تحقيق ما كان يرمي إليه الشيخ حسن لعل هذا يعيد الأمر إلى أهله ، وينجي السجين من سجنه ، فيعود إلى ما كان عليه من عز ومجد . فبعد أن يصف ما كانت إليه الحالة وما آل إليه الأمر يقول :

فـأسـأل ربي أن يحل بأرضكم
وليـاً يسليكم عن الأهل والشجن
ويوضح ما قـد غـاب عن كل عارف
تحـفظه ميـراث من جـده حسن
ويكشف عن أسرار قـوم تقـدموا
رمـتـهم يد الأقـدار في أعظم المحن
ويشـرح منهـا كل مـا هو ظاهر
ويوضح من أسـرارهم كل مـا بطن
فـإن كنتم تمحـو الذي كـان بينكم
وإلا فـلا قـيس يرد ولا يمن
فـعـودوا إلى العهد القديم من الوفا
فـصـدق الولا حق إلى اللحد والكفن
كـفى مـا جـرى منكم ومنهم جهالة
فـلا خيـر في الأحـقاد والضرب والفتن
وأنتم بحـمـد الله في الدين إخـوة
وشيخكمو الشيخ الذي اسمه حسن
وأنتم همـو أنصـاره وحـمـاته
يقـوم بأمـر الله وهو لكم سكن
وبعـضكم قـد زاغ عنه جـهالة
ومـال إلى قـول الأباطيل وافـتتن
فـيـا رب وفـقـهم لطوعك دائمـاً
بأمـوالهم والروح والنفس والبـدن
وعـجل لهم منك الخـلاص تكرمـاً
من السجن إن السجن للعظم قـد وهن

عسى فرج يأتي من الله بغتةً
فإن الرجا بالله للعبد مؤتمن

فالشيخ زين الدين من رجال عصره، تزعم الحركة العدوية بعد نكبات قوية لاقتها أسرته، ولاقى من التأييد والاحترام ما حمله على أن يطالب بالملك، ومع أنه سجن، وضيق عليه، وأذاقوه العذاب الأليم، فإن قناته لم تلن ولم يذل لهم، بل كان يرسل القصائد إلى قومه، يستنهضهم، ويذكرهم بما كانوا عليه من التعاضد والتكاتف في تحقيق أهداف دعوة الشيخ حسن، ويدعوهم إلى نبذ الأحقاد، وأن يكونوا يداً واحدة. ويبين لهم سوء حاله، وما هو عليه من الإرهاق والتضييق، ويشرح لهم شوقه إليهم، لعل هذا يستفزهم فيلتفوا حول زعيم عدوي - مهدي - يبصرهم بالتعاليم التي كانوا عليها أيام الشيخ حسن، فيجمعون عددهم وعديدهم، ويخلصون السجين من سجنه فيعود إلى ما كان عليه.

٦ - الشيخ عز الدين بن الشيخ زين الدين

خلف الشيخ عز الدين أباه في الشام، وتولى زعامة قومه، فكان من عظماء الأمراء، ولقبوه (أميران عز الدين) أي (أمير الأمراء).

أخذ عز الدين يجمع أصحابه ويتصل بالعدويين، يحثهم على جمع الكلمة والاستعداد إلى المطالبة بالملك، وصارت الدولة تحذر منهم، وتخشى جانبه، فولوه إمرة دمشق مدة، ثم نقلوه إلى صفد، ثم أعيد إلى دمشق مرة أخرى، ولما رأى هذا من الدولة، وانهم لا يبقونه في ولاية اعتزل الحكم وأقام بالمزة متفرغاً إلى الدعوة، متصلاً بدعاتها، فأقبل إليه الأكراد، وقدموا له صفاء أموالهم.

أمر أصحابه أن يعدوا ما يقدرون عليه من خيل وسلاح، فهبوا لهذا، وباعوا كل غالٍ وثمين بأبخس الأثمان، واشتروا ما أمرهم به الشيخ عز الدين، واجتمعوا في «الجون» ولم يتعرضوا لأحد في نفس أو مال بل سلكوا طريقة سليمة في تجمعهم هذا[1]. واتصل بالعدويين الذين هم في مصر، وكانوا قد اتخذوا الزاوية العدوية مركز دعاوة لهم، وحرضهم على الثورة إذا ما ثار هو في الشام.

---

(١) تحفة الأحباب: ١٩١، ١٩٢

وقد فصل المقريزي هذا : فقال[1] في خططه :

. . . . وترك الإمرة وانقطع ، وتردد إليه جماعة من الأكراد ، من كل قطر وحملوا إليه الأموال ، ثم أنه أراد أن يخرج على السلطان بمن معه من الأكراد ، واشتروا العدد والسلاح والخيول ، ووعد رجالاته بنيابات البلاد ، ونزل بأرض الجون فبلغ ذلك السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون فكتب إلى الأمير (تنكز) - نائب الشام - فكشف أخبارهم ، وأمسك السلطان من بهذه الزاوية - العدوية - من الفقراء العدوية ، واختلفت إليه الأخبار في خروجهم فقيل يريدون سلطنة مصر وقيل يريدون اليمن ، وحصل للسلطان من ذلك قلق عظيم ، ثم جاء الخبر بعد عدة أيام بأن الأمير تنكز نائب الشام ، قبض على عز الدين المذكور سنة ٧٣٣هـ وسجنه إلى أن مات ، وتفرقت الأكراد .

أما ابن حجر العسقلاني : فيذكر عنه أنه هو الذي أوعز إلى تنكز أن يعتقله ، لعل الأكراد الذين يريدون الثورة أن ينفضوا من حوله ، فيخلص نفسه من الموت - كما فعل بأجداده العدويين - فقال عن هذا :

«أميران عز الدين الكردي من بيت الشيخ عدي[2] قدم دمشق فولي بها الإمرة ، ثم آثر الانقطاع بالمزة ، وكان قومه يأتونه من كل فوج ، ويتقربون إليه بالأموال ، ثم شاع أنهم يريدون الخروج على السلطان ، فأمسك الناصر من كان منهم «بالقرافة» وكتب إلى تنكز بكشف أحوالهم ، فأرسل إلى عز الدين المذكور فسأله عنهم فقال : يريدون أن ينفردوا بالمملكة ، فقال : وما السبب ؟ فقال هذا شيء تخيلوه في نفوسهم ، فقال : لم لا تمنعهم ؟ قال : هم يعتقدون في ، وفي جميع أهل بيتي ، ولكن حطني في القلعة يتفلل جمعهم ، ففعل ، فتفرقوا وصاروا بعد ذلك يجيئون إلى البرج الذي هو فيه محبوس ، فيسجدون له ، وكان حبسه في سنة ٧٣١هـ وكان حسن الشكل ، تام القد صبيح الوجه[3] .

والذي نراه أن الشيخ عز الدين استعد ما أمكنه للثورة ، وتهيأ لها في سورية ومصر ، ولكن أعين السلطان كانت له بالمرصاد ، فاعتقلوا أصحابه في مصر ، وأوعزوا إلى «تنكز» أن ينكل به وبأصحابه في الشام ، ولما علم بهذا ، تيقن أن لا نتيجة للثورة ، وربما أودت بحياته

---

(١) ٤ : ٣٠٥ - ٣٠٦

(٢) في الأصل : ابن بنت الشيخ عدي - وهو خطأ - ونبه إلى هذا المرحوم العلامة أحمد تيمور باشا ، في كتابه اليزيدية (ص : ٢٧)

(٣) الدرر الكامنة : ١ : ٤١٤

وحياة الكثيرين من أتباعه المخلصين للبيت العدوي ، أشار إلى «تنكز» أن يعتقله ، فيخلص نفسه وجماعته ، وينفض الأكراد عنه - وهو رأي صائب من الشيخ عز الدين - .

ولكن هذا الحل السلمي زاد من اعتقاد القوم به ، حتى أنهم كانوا يسجدون حول البرج الذي هو محبوس فيه .

وهكذا انفض أصحابه من حوله ، وانتهت الحركة بهدوء ، وهي آخر حركة حاول العدويون القيام بها ، وتفرقوا في البلاد .

انتهى هذا الدور - دور تنظيم الحركة ، ومحاولة الثورة على أرباب الحكم - ولم يحصل العدويون على نتيجة ، بل إنهم لاقوا القتل والتشريد في البلاد ، وضربهم الحكام ضربات قوية متتابعة ، شلت حركتهم وقضت عليها - . والأسباب التي جعلتهم يخفقون في مسعاهم هي :

١ - اتخاذ مراكز الدعوة قرب أرباب الحكم ، ولو أن الشيخ حسن - رأس الحركة - بقي في «لالش» وهو محل منقطع عن الدولة ، وتحصن بها ، يحف به أتباعه ، لما لاقى حتفه عندما كان في الموصل ، فكان بوسعه أن يتحصن بلالش إذا ما هم أحد بمعارضته أو مقاومة دعوته .

٢ - عدم كتم الدعوة - ولو أن الشيخ حسن كتم أمر دعوته ، وجعلها سرية ، وكتم أمر تفادي العدويين في سبيل الدعوة ، وإطاعتهم التامة له ، ولم يظهر أمام خصمه اللدود - بدر الدين لؤلؤ وغيره - بمظهر الزعيم المطاع ، وما عليه من المنزلة السامية بين أتباعه ومناصريه ، والأموال الطائلة التي كانوا يقدمونها إليه ، والوفود المتتالية التي كانت تقصده في الموصل ، وتقدم إليه طاعتها وتفاديها في سبيل الدعوة العدوية ، وما علم عن إطاعتهم له : إن اشارة واحدة منه تجعلهم يخربون بلاد بدر الدين لؤلؤ ، ولو أنه كتم هذا كله وادخر الأمر ليوم الثورة ، لكان أقوم له ، ولكنه نافس بدر الدين لؤلؤ في الأموال والأتباع ، بل إن أتباعه كانوا ينظرون إليه نظر الزعيم الديني والدنيوي ، فرع السلالة العدوية التي كان مؤسسها شيخهم ومرشدهم «عدي بن مسافر الأموي» ، كل هذا ما حمل بدر الدين لؤلؤ أن يتحين الفرصة ، ليفتك بخصم قوي منافس له ، وكان له ما أراد .

٣ - كان الشيخ حسن هو المرجع الوحيد للدعوة ، ولم نقف على أسماء نقباء أو عرفاء كان لهم كلام مسموع في تنظيم الدعوة ، كما كان عند العباسيين مثلاً .

كان كلام الشيخ حسن لا يناقش ، لأن له أسراراً لا يفهمها أتباعه ، فكان أخوه الشيخ

فخر الدين يوضح لهم هذه الأسرار بقدر ما يسمح له الشيخ حسن ، عليه فإن أتباعه لم تكن لهم الحرية في مناقشة ما يلقى عليهم من أمر الدعوة ، وبيان ما يبدو لهم من السبل التي تؤدي إلى نجاحها ، بل كان كلامه هو الفصل لا يقبل التبديل ولا النقاش ، وأتباعه يطيعونه بهذا إطاعة عمياء ، بتأثير الصبغة الدينية التي أسبغها على الدعوة ، فكان إخلاصهم واندفاعهم في نصرة الدعوة عاطفياً ، يعملون ما يؤمرون به بلا اعتراض مهما كان وقد مر بنا أنهم قتلوا الواعظ لأنه أبكى سيدهم وشيخهم حسن ، وشيخهم لم يبد أي اعتراض على هذه الجريمة النكراء .

وما يقال عن الشيخ حسن يقال عن العدويين الذين أتوا بعده ، فإنهم سكنوا بجانب أرباب الحكم ونافسوا الملوك والأمراء في الفخامة والترف ، والناس تترى إليهم يقدمون إليهم صفوة أموالهم ويطيعونهم إطاعة عمياء . فكانوا يراقبون أينما حلوا ، وكان نصيبهم السجن والعذاب والقتل .

والخلاصة : أن الدعوة لم تنجح لأنها لم تسلك سبيلاً هادئاً سرياً بعيداً عن أرباب الحكم ، ولو أنهم اتخذوا مركز الدعوة في مكان منعزل عن أرباب الحكم ، واستجمعوا قوتهم ، وبثوا دعاتهم في البلاد ، واعتمدوا على دعاة عقلاء مديرين ، يجتمع معهم الشيخ كل مدة من الزمن ، ويناقشهم في أعمالهم ، ويستمع إلى ما يرونه من الأمور . وما لاحظوه من نوايا الملوك وأرباب الحكم ضدهم ويشيرون بتبصر وتعقل يدعون إلى رجل غير معلوم كما فعل العباسيون في دعوتهم ، لكان خيراً لهم . فإن إبراهيم الإمام اتخذ قرية «الحميمة» سكناً له ومركزاً لدعوته ، ونظم دعاته في البلاد ، وجعل لهم نقباء وعرفاء ودعاة ، يتصلون ببعضهم ، ويتصل النقباء بالإمام - ورجل من آل البيت - وهكذا نجحت دعوتهم بالكتمان والتنظيم ، والدعوة لرجل غير معلوم .

ولكن الشيخ حسن - ومن جاء بعده - فإنهم ساروا بالضد مما قام به العباسيون : سكنوا بجانب رجال الدولة ، وظهروا لهم بمظهر السيد المطاع ، والشيخ صاحب الكلام الفصل وكلامه كلام مقدس ، ألقاه الشيخ حسن على أخيه فخر الدين ، وهذا يفسره لهم بقدر ما يسمح به الشيخ حسن ، والدعوة معلومة للشيخ ، كل هذا ما جعل رجال الحكم ينظرون إلى الدعوة بحذر وتيقظ ، ويراقبون أعمالهم بتحفظ ويتربصون الفرص للإيقاع بهم ، ففشلت حركاتهم ، ولم ينالوا سوى التنكيل والتشريد والقتل .

انتهى طموح العدويين بموت الشيخ عز الدين - في القرن الثامن للهجرة - وتفرقوا في سورية وبلاد الجزيرة وبلاد الهكارية ومصر وغيرها من البلاد ، وإن بعضهم يئس مما آل إليه

أمرهم ، فعادوا إلى الإسلام ، ونبذوا ما كانوا عليه من بدع ، وانبرى بعض علماء المسلمين بنقد البدع التي أدخلها الشيخ حسن في الطريقة العدوية ، والتي سببت فتناً وانحرافاً عن مبادئ الدين[1] مما أدى إلى زيغ جماعة منهم ، وانحرافهم عن الإسلام ، بينما كانوا قبل هذا من أقوى أنصار الإسلام ، ومن خير من دافع عنه في الحروب الصليبية .

ومن العدويين الذين التزموا جانب العلم والتقوى والدين ، وعادوا إلى حضيرة الإسلام :

١ - أحمد بن رجب بن محمد بن عثمان بن جميل بن محمد بن أحمد بن عثمان بن سعادة بن عيسى بن موسى[٢] بن أبي البركات - أخي عدي بن مسافر - برهان الدين بن الشرف البقاعي الدمشقي الشافعي مات في فتنة التتار سنة ٨٠٣هـ[٣] .

٢ - إبراهيم بن أحمد بن رجب «ويعرف بابن الزهري لكونه سبط الشهاب الزهري ، بل يجتمع معه أيضاً في عثمان بن أحمد(٧٧٧ - ٨٤٠هـ) ، تولى عدة وظائف في البلاد من قضاء وخطابة ونيابة وكتابة ، وكان جيد العقل ، كثير المداراة ، محبباً في الطلبة ، مساعداً لهم في حشمة وكرم ، وتحمل الدين بسبب هذا[٤] .

٣ - أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن رجب - شهاب الدين البقاعي ثم الدمشقي الشافعي الأعرج ، ابن أخت القاضي تاج الدين ، ويعرف بابن الزهري (٨٠٦ - ٨٧٨هـ) ، ولد ببقاع العزيز ، وانتقل مع والده إلى دمشق ، وتنقل في البلاد ، وأخذ عن عدة شيوخ ، وتنقل في القضاء ، ولم تحمد سيرته ومات عقيماً[٥] .

٤ - الشهاب الزهري ، - جد إبراهيم بن أحمد بن رجب لأمه - وقد تقدم قول السخاوي : إنه مجتمع معه أيضاً في أحمد بن عثمان ، وعثمان هذا ابن سعادة بن عيسى بن موسى بن أبي البركات بن صخر بن مسافر ، ولم نقف على ذكر له غير هذا[٦] .

٥ - أحمد بن محمود بن عبد السلام بن محمود ، خطيب صرفند العدوي نسبة إلى أبي البركات بن مسافر ، أخي عدي البقاعي البيت الفاري (والد الشمس محمد الذي

---

(١) تقدم الكلام عما ذكره ابن تيمية في رسالته التي أرسلها إلى العدويين

(٢) لم يرد اسم موسى في نسب الشيخ زين الدين من أولاد عيسى بن أبي البركات

(٣) درر العقود الفريدة : ١ : ١٣ ، اليزيدية - لتيمور : ٣٩

(٤) الضوء اللامع : ١ : ١٣ ، ١٤ ، اليزيدية - لتيمور : ٣٩

(٥) الضوء اللامع : ١ : ١٩٢ ، ١٩٣ ، اليزيدية - لتيمور ٣٩

(٦) اليزيدية - لتيمور : ٤٠

سيأتي ذكره بعده) ، ويعرف بالشهاب العدوي(٧٨٢ - ٨٦٨هـ) ولد بصرفند ، ونقله أخوه إلى دمشق - وهو صغير - وأخذ عن عدة شيوخ وتولى القضاء ، واشتهر بخطابة جامع «صرفند» وتنقل في البلاد ، وكان ديناً متمكناً من عقله ، مجانباً للناس ، مسالماً لهم ، شجاعاً يقظاً ، له ثروة ورياسة ، توفي بدمشق ، وكانت له جنازة حافلة[١] .

٦ - محمد بن أحمد بن محمود بن عبد السلام بن محمود بن عبادة الشمس بن شهاب العدوي الدمشقي الشافعي (تقدم ذكر أبيه في رقم : ٥) نسبة لأبي البركات بن مسافر أخي عدي ، نظم الشعر ، وكان من وجوه الناس وأعيان الشاميين ، ولي نظر قلعة دمشق مدة ، ثم أعرض عنها ، بل عرض عليه غيرها فأبى[٢] .

٧ - صلاح الدين محمد بن عبد الجمال عبد الله بن عبد السلام بن محمود بن عبد السلام العدوي - وكيل السلطان في دمشق - ذكره السخاوي بهذا ، ولم يتكلم عنه أكثر من هذا[٣] .

٨ - شمس الدين محمد بن موسى بن محمد العدوي «نسبة إلى آل عدي بن مسافر من قبل جده لأمه» ، كان من علماء القرن العاشر للهجرة ، لبس خرقة التصوف العدوية من ابن طولون ، وكان أحد العدول القاطنين بمحلة الجسر الأبيض من صالحية دمشق[٤] .

٩ - أحمد بن عبد الله بن محمد بن محمد الشهاب الأموي الدمشقي المالكي ، نشأ بدمشق ودرس على شيوخها ، وتقلد القضاء بعدة بلاد ، وهرب مع شيخ سنة ٧١٦هـ إلى بلاد الروم ، ثم تنقل في القضاء وكان سيئ السيرة توفي سنة ٧٣٦هـ[٥] .

١٠ - أحمد بن أبي بكر بن أحمد الشهاب أبو العباس الهكاري الكردي الشافعي نزيل مكة ، أخذ عن عدة شيوخ في القاهرة ودمشق والإسكندرية ، وسكن مكة ، آخر عمره برباط العز الأصبهاني . وله أصحاب من ذوي الاعتبار بديار مصر يصل إليه منهم أو من بعضهم كل سنة ما يستعين به ، توفي سنة ٧١٨ هـ[٦] .

---

(١) الضوء اللامع : ٢ : ٢٢١ - ٢٢٢

(٢) الضوء اللامع : ٧ : ١٠٦ ، ١١ - ٢١٥ ، اليزيدية - لتيمور : ٤٠

(٣) الضوء اللامع : ١١ : ٢١٥ ، ٢٥٩

(٤) اليزيدية - لتيمور : ٤١

(٥) الضوء اللامع : ١ : ٣٦٩ - ٣٧٠

(٦) الضوء اللامع : ١ : ٢٥١

١١ - محمد بن عبد الله بن محمد بن أحمد بن قاسم بن عبد الرحمن بن أبي بكر التقي أبو الفضل بن العفيف بن التقي القرشي العدوي الغمري الحراري الملكي - عني بالعلم فتنبه ودخل اليمن والهند طلباً للرزق - أدركه أجله بكلبرجة ببلاد الهند سنة ٧١٤هـ عن نيف وثلاثين سنة[١] .

---

(١) الضوء اللامع : ٨ : ١٠٢ ، ١٠٣

الدور الرابع

دور الابتعاد عن الإسلام ثم الانفصال عنه

يئس العدويون من الحكم بموت الشيخ عز الدين ، فتجمعوا في مراكز لهم ، وكتموا عقائدهم التي وضعها الشيخ حسن وأحفاده ، وعلى مر السنين صاروا يبتعدون عن الإسلام بما وضعه رؤساؤهم من تلفيقات ومغالاة حتى صاروا ما هم عليه اليوم .

انتهى طموح العدويين بموت الشيخ عز الدين ، لما لاقته الحركة من العنف والشدة ، كما أنه لم يكن من يتولى الحركة من أهل الرأي والمقدرة ، فتجمع اليزيدية في عدة أماكن : في بلاد الهكارية وما جاورها من البلاد ، وفي بلاد الجزيرة وبلاد الشام وبعض نواحي الفرات وغيرها .

كتموا عقائدهم التي كان الشيخ حسن قد سنها لهم ، وما زاده عليها خلفاؤه من بعده على مر السنين ، ولزموا جانب الهدوء والسكينة والاعتزال بقدر ما تسمح به الظروف .

ففي بلاد الهكارية والجبال التي تجاورها كان لهم فيها جموع كثيرة واتخذوا قبر الشيخ عدي قبلة لهم ومحجاً ، ولهم فيها رئيس يرجعون إليه في أمورهم[1] وقام منهم بعض رجال نالوا رضا الدولة العثمانية ، وعهدوا إليهم بإدارة بعض الولايات .

ومن ذلك أنهم ولوا حسين بك الداسني ولاية إربل ، ذكر عنه البدليسي أن السلطان سليمان القانوني[2] ولى «مدينة إربل» حسين بك الداسني ، الذي كان من سلالة إحدى الأسر اليزيدية الآمرة ، ثم أضاف إليه ولاية (سبران) - كلها ، فأضافها إلى ولاية إربل .

وأن حسين بك بير بوداق لم يرض بولاية حسين بك اليزيدي على ملك آبائه ، فجمع عشائر سهران ونهج نهج أبي مسلم «الخراساني» في القضاء على المروانيين ، وحمل الشعار العباسي ، واشتبك الفريقان ، وخسر حسين بك الداسني خمسمائة قتيل من وجهاء الداسنية ، وغنموا أمواله وأثقاله ، وهكذا انتصر الحسينيون .

ثم حاول حسين بك الداسني استعادة ما فقده فأخفق في محاولته ، ثم استدعته الحكومة العثمانية إلى إستانبول وقتلته . ثم صارت الداسنية تثأر بعد ذلك للعداوة المتأصلة بين الحسينيين واليزيدية .[3]

وولى العثمانيون مرزا بك الداسني الموصل سنة ١٠٦٠هـ وهو الذي كان يعرف أيضاً (بميرداسني) من سلالة الأمراء كان شجاعاً بطلاً وفي سنة فتح بغداد[4] قام بخدمات مهمة

---

(١) هو مير اليزيدية (أمير اليزيدية) ومقره في قرية باعذرا في قضاء الشيخان ، في لحف جبل الشيخ عادي(عدي)

(٢) فتح السلطان سليمان القانوني بغداد في ٢٤ جمادى الأخرة سنة ٩٤١هـ = ٣١ كانون الأول سنة ١٥٣٤م تاريخ الدولة العلية العثمانية : ٩٠

(٣) الشرفنامة : ٢٧٨ - ٢٨١

(٤) فتح السلطان مراد الرابع بغداد في ٢٣ شعبان سنة ١٠٤١ هـ

وبسالة فائقة ، فمنح إيالة الموصل في صدارة مراد باشا وصار يعرف (بمرزا باشا) ثم صرف عنها بعد «سنة ١٠٦١هـ» فسافر إلى إستانبول ولم يولوه منصباً ، وصار يقطع الطرق فقتلوه سنة ١٠٦١هـ(١) .

واشتهر من اليزيدية في ولاية حلب الشيخ عز الدين بن يوسف الكردي العدوي المتوفى سنة (٩٤٨هـ = ١٥٤١م) تولى إمارة حلب في أواخر الدولة الجركسية وأوائل الدولة العثمانية ، وصار له نفوذ كبير في البلاد ، وقصده اليزيدية من أنحاء سورية ، والتفوا حوله وغالوا كثيراً في محبته وأطاعوه ، وذكروا أنه ربما قيل للواحد من أتباعه : أنت من أكراد ربنا أو من أكراد عز الدين؟ فيقول : أنا من أكراد عز الدين .

وأن الشيخ عز الدين هذا هو من أحفاد «الشيخ مند» الذي كان معروفاً : أن من لدغته حية أطعمه من خبز رقي عليه ، فيأكله فيبرأ بإذن الله تعالى ، وكان الشيخ عز الدين يفعل هذا أيضاً ، مع أنه كان مدمناً لشرب الخمر وقتل النفوس .

وعرف الشيخ عز الدين بعدائه لبيت «جانبولاد» - رؤساء الأكراد الجانبولادية «بكلس» - ويعرفون أيضاً «ببيت عربو» نسبة إلى جدهم .

نقل الطباخ من كتاب در الحبب - للرضي الحنبلي - من أهل القرن العاشر - سبب هذا العداء فقال : كان بين الأمير عز الدين وبين أولاد عربو - طائفة معتبرة من أمراء القصير - عداوة بينة من جهة الدنيا ، ومن جهة الدين ، لأن «بيت عربو» كانوا من أهل السنة والجماعة ، «وبيت مند» كانوا يزيدية . وأيد البدليسي هذا فقال : إن أمراء كلس كانوا من سلالة العباسيين - وهم من السنة - وأن الشيخ عز الدين كان يسعى ضدهم ونكل بهم للعداوة المذهبية التي بينهما فنكل بحبيب بك وبأخيه قاسم بك .

وأن جانبولاد بن قاسم بك ثأر لأهله منه وفتك باليزيدية : فسفك دماءهم وسجن بعضهم في بئر ، وكاد يقضي عليهم ، وتمكن من أسر عز الدين فاستولى على دوره التي بناها في كلس ، وأخذ زوجته ، وفرق أصحابه(٢) .

وعلى هذا فإنهم في القرنين - العاشر والحادي عشر للهجرة - لم يخرجوا كلهم عن الإسلام ، نجد الكثير منهم كانوا مسلمين . ولكنهم يغالون كثيراً في محبة الأمويين ، ومفرطون في بغض الهاشميين ، فما حدث بين الشيخ عز الدين وبيت عربو - جانبولاد -

---

(١) منية الأدباء : ٧٤ ، ٧٥ ، العراق بين احتلالين : ٥ : ٤٣

(٢) انظر عن هذا النزاع : خلاصة الأثر : ٢ : ٨٤ : ٨٧ ، تاريخ حلب : ٣ : ٢٢٥ - ٢٢٦ ، ٥ : ٥٢٥ .

للعداوة المذهبية بينهما ، ولم تكن للعداوة الدينية .

يؤيد هذا ما نقله الأستاذ العزاوي عما كان عليه يزيدية جبل الشيخان من تمسكهم بأركان الدين الإسلامي ونقلناه في كتابنا هذا[١] .

وأن اليزيدية في بعض البلاد تركوا ما كانوا عليه من التطرف والمغالاة وعادوا إلى الإسلام ، متمسكين بأركانه وشعائره .

ومن ذلك ما ذكره البدليسي عن أمراء دنبلي : وكان أمراء دنبلي كقبائلها ينتحلون في بدء عهدهم النحلة اليزيدية المستنكرة ، ثم تطورت بهم الحال فرجعت الأسرة الحاكمة المعروفة «عيسى بكين» وبعض العشائر من غيهم ، وثابوا إلى الرشد ، وتمذهبوا بمذهب أهل السنة والجماعة – وظل نفر من العشيرة المذكورة مستمرين على تلك العقيدة الفاسدة[٢] .

وذكر أيضاً عن أمارة السليفانية : أكثرها على مذهب أهل السنة ، ومنهم يزيديون[٣] .

وذكر عن حكام الجزيرة – جزيرة ابن عمر – أن حكام الجزيرة كانوا ينتحلون في بدء عهدهم النحلة اليزيدية ، ثم اهتدوا بنور الإسلام فرجعوا عن غيهم[٤] .

وسبب انفصالهم عن الإسلام ، وابتعادهم عن المسلمين هو استغلال رؤسائهم لهذا الشعب المطيع ، وقسوة الحكومة العثمانية في معاملتهم .

فرؤساء اليزيدية سخروا هذا الشعب البسيط لمصالحهم حرموا عليهم القراءة والكتابة ، وجعلوهم يتخبطون في الجهل ، وزادوا في معتقداتهم التي كان الشيخ حسن قد وضعها هو وخلفاؤه من بعده ، وكتموا هذه المعتقدات عن غيرهم ، وحرصوا على عزل اليزيدية عن غيرهم – المسلمين والنصارى واليهود – لئلا يطلع غيرهم على ما كانوا يلقونه عليهم من العقائد التي تسخرهم لمصالحهم الشخصية ، وجعلوهم أداة طيعة في أيديهم يستغلونهم كيفما أرادوا ، وكان هذا يزيد من تعلقهم برؤسائهم وإخلاصهم لهم ، فكانوا طوع إرادتهم ، لا يعترفون لغيرهم بسلطان .

ومما جاء في كتابهم الجلوة مؤكداً عليهم إطاعة رؤسائهم قوله : أرشد من غير كتاب ، أطيعوا واصغوا لخدامي بما يلقونه عليكم من علم الغيب الذي هو عندي .

وجاء في كتاب الجلوة أيضاً : إن علومهم الدينية ، هي غير مدونة ، بل هي في صدور

---

(١) ص : ٣٢ ، ٣٣

٥٢٦ ، ٦ : ٨٧ ، الشرفنامة : ٢٣٠ ، ٣٣٠ – ٣٣٤

(٢ – ٤) الشرفنامة : ٣٢٢ – ٣٢٣ ، ٢٦٤ – ٢٦٦ ، ١٤٧ .

الرؤساء، وهي تكون مطابقة للحال والزمان الذي يلقونها إليهم - .

ويؤكد على أصحابه أن يتحدوا ويكتموا معتقداتهم عن كل الطوائف غير اليزيدية فإنهم خوارج، وعليهم أن يتجنبوا كل ما يخالف تعاليمه ووصاياه وأن الخوارج كلهم قاوموا الديانة اليزيدية .

ويحذرهم من الكتب السماوية بقوله : كتب الأجانب من اليهود والنصارى والإسلام اقبلوا منها ما يوافق ويطابق سنني، وما يخالف منها لا تقبلوه لأنهم غيروه .

وإن طاووس ملك هو قد اختص باليزيدية دون غيرهم، وإنه قد حل عندهم، وسلم لهم الحقائق والآيات والقوانين، فصارت تنتقل بالوراثة من الأب إلى الابن ولا يجوز تدوينها في كتاب .

وهكذا نجد رؤساء اليزيدية ضيقوا الخناق على أتباعهم، فلا يخرجون عن طاعتهم ورغباتهم .

وأن الدولة العثمانية - وإن اعتمدت على بعضهم في أول احتلال هذه البلاد - وبعد أن تمكن أمرها في البلاد، وشاهدت ما فعله رؤساء اليزيدية بهذا الشعب المطيع، وجعلوهم يبتعدون عن الإسلام، فإنها لم تحسن معاملتهم، وصارت تنظر إليهم نظرها إلى المرتدين عن الإسلام، ولو أنها أحسنت معاملتهم وسلكت معهم باللين والرفق بهم، لكان خيراً للطرفين، ولكنها عاملتهم بالضد من هذا، فتسرعت في سلوك العنف والقوة والقسوة في إرجاعهم إلى الإسلام، وحرضت العلماء بإصدار الفتاوي بكفرهم[1]، وألبت الإمارات المجاورة لهم عليهم : كإمارة راوندوز، وإمارة العمادية، وإمارة الموصل وغيرها - وشنوا عليهم حملات تكاد تكون متتالية، وضربوهم ضربات قوية شتتوا شملهم وأجلوهم عن بعض البلاد التي كانوا قد سكنوها .

هذا العنف الذي سلكته الدولة العثمانية في تأديب اليزيدية لإرجاعهم إلى الدين الإسلامي - ولو أنه أرجع بعضهم إلى الإسلام - فإن أكثرهم ابتعد عن الإسلام كلياً، لأن الحكومة حاربتهم باسم الدين، فزاد نفورهم عن الدين، وزادوا في كتمان عقائد دينهم الذي وضعه لهم رؤساؤهم واتخذوا لهم قبلة (لالش) - غير قبلة الإسلام - وصار لهم : صوم وصلاة وحج وزكاة وهي مما ابتدعه لهم رؤساؤهم الذين أضلوهم، وأبعدوهم عن الإسلام .

والذي نراه : لو أن الدولة العثمانية سعت في تعليمهم وتهذيبهم، وعاملتهم معاملتها

---

(١) انظر الملحق رقم (٢)

لغيرهم ، وسعت بإعادتهم إلى الإسلام بالتي هي أحسن ، من شفقة ورفقة ولين ، لكانت نجحت ، وجعلتهم يشعرون بما يشعر به غيرهم من المحبة والألفة والطاعة لأوامر الدولة ، والدفاع عن الدين الذي دافعوا عنه في أقوى هجوم كان عليه - في الحروب الصليبية - .

ولكن ضرباتها القوية التي كانت باسم الدين ، أبعدتهم عن الدولة والدين ، فصاروا ينفرون من الدولة ودينها وابتعدوا عنهما - حتى أن بعض اليزيدية كان يحجم عن السفر إلى بعض المدن لما يلاقيه من رجال الدولة من إهانة وسوء معاملة .

وعلى هذا فإن الدولة العثمانية - في معاملتها اليزيدية - أساءت إليهم ، وإلى نفسها فبعد أن كانوا أصحاب مذهب فيه غلو وتطرف في معتقداتهم ، صاروا ينفرون من الدولة العثمانية ودينها ، وهي التي عاملتهم بما عاملتهم به باسم الدين - والدين بريء من هذا **﴿وجادلهم بالتي هي أحسن﴾** .

وقد شاهدنا بعض الفرق الباطنية التي كانت مغالية في الإمام علي ﷺ فإنهم لما اتصل بهم علماء عقلاء بينوا لهم طريق الحق ، وبصروهم بما هم عليه ، وما يجب أن يعتقدوه ، فإنهم ثابوا إلى رشدهم ، وعادوا إلى دين الإسلام الحق ، فاعتنق بعضهم المذهب السني ، واعتنق اكثرهم المذهب الشيعي ، وصاروا ينظرون إلى ما كانوا عليه بعجب واستغراب ، ويعترفون بفساد ما كانوا عليه ، كان هذا بفضل من أحسن تفهيمهم مبادئ الدين ، ووضح لهم ما كانوا عليه من الانحراف في العقيدة ، وأرجعوهم بحكمة ورفق ولين إلى الطريق المستقيم ، فانقادوا إلى الحق ورجعوا إلى الإسلام فرحين مستبشرين .

الألوهية عند اليزيدية

يعتقد اليزيدية أن الله عز وجل هو الخالق، وأنه خلق ما في السموات والأرض، «في البداية الله خلق الدرة البيضاء من سره العزيز وخلق طيراً اسمه أنفر وجعل الدرة فوق ظهره وسكن عليها أربعين ألف سنة». [١]

ثم يذكرون بعد هذا أن الله تعالى خلق سبعة آلهة، تعاقبوا في إدارة العالم، وأن رئيسهم المتسلط اليوم في إدارة العالم، وإليه تدبير كل ما في الكون هو (طاووس ملك) ومما يقوله طاووس ملك: «أنا كنت موجود الآن وليس لي نهاية، ولي التسلط على كل الخلائق، وإليّ تدبير مصالح كل الذين تحت حوزتي وقبضة يدي، وأنا حاضر سريعاً عند الذين يثقون بي، ويدعونني وقت الحاجة، لا يخلو عني مكان في الدنيا كلها، أنا مشترك بكل الوقائع التي يسميها الخارجون شروراً، لأنها ليست حسب مرادهم. لكل زمان مدبر وذلك بمشورتي، كل جيل يتغير حتى أن رئيس هذا العالم والرؤساء يكون كل واحد منهم بنوبته وهجعته لتكميل وظيفته. جميع الآلهة ليس لهم مداخلة في شغلي». وأما الآلهة السبعة فهم على ما نرى مشائخهم الذين أخلصوا في محبتهم وغالوا فيهم حتى أدى بهم الأمر إلى عبادتهم[٢] (انظر الفصل الأول من مصحف رش).

وهم يعبدون الشيخ عدي بن مسافر، وربما جعلوه شريكاً لله تعالى، وأنه قد يملك ما لا يملكه الله - تعالى الله عن ذلك - كما سيأتي ذكره. ويعبدون يزيد بن معاوية، إلههم الذين ينتسبون إليه، وتخته عندهم من الأشياء المقدسة، يزورونه ويتباركون به كل سنة.

فنجد فكرة الألوهية متداخلة عندهم - كما هم عليه اليوم - والذي نراه أنهم يعتقدون بالله الواحد الأحد الذي خلق وقدر، وهو على كل شيء قدير، وهو ما يعتقد به المسلمون - وهم ما كانوا عليه - ولكن مغالاتهم في حب عدي ويزيد، أدى بهم على مر العصور، وتفشي الجهل بينهم، واستغلال رؤسائهم، أن يتخذوهما إلهين، وكذا المشائخ الذين تولوا أمر تدبير الحركة - الشيخ حسن ومن جاء بعده - فإن شدة محبتهم لهم أدت بهم إلى العبادة - كل ذلك كان في عصور متأخرة باستغلال رؤسائهم الذين حرموا عليهم القراءة والكتابة، وعزلوهم عن غيرهم من أهل الكتب السماوية، وسخروهم لمصالحهم بما ألقوه إليهم من التعاليم ومنها تعدد الآلهة.

ولكن الإله المتسلط على العالم - كما تقدم - هو (طاووس ملك) وقد اختص بالأمة

(١) انظر الفصل الأول من «مصحف رش»

(٢) الفصل الثاني من «الجلوة»

اليزيدية ، لأنهم صدقوا ما قاله لهم ، ولم ينكروا عليه ما أنكره أصحاب الأديان السماوية ، الذين بدلوا دينهم وابتعدوا عن تعاليم طاووس ملك ، فهو لا يحبهم ، وإنما قد سلط عليهم شروره ، فابتلاهم بمصائب كثيرة ، عقاباً على ما أنكروا من قدرته وسطوته[1] ، فصار طاووس ملك هو الإله المقدم عند اليزيدية ، يسجدون لتمثاله ، ويتباركون به ، ويقدمون له كل غال وثمين ، ويفدونه بأرواحهم وأموالهم .

طاووس ملك

وفكرة تقديس طاووس الملائكة هي فكرة صوفية - كما سيأتي ذكرها . دخلها الغلو حتى اتخذه اليزيدية الإله المتسلط على الآلهة .

ومع هذا فهم لم يتطرقوا إلى علاقة طاووس ملك مع يزيد- إلههم الذي ينتسبون إليه - وإلى الشيخ عدي بن مسافر ، مما يدلنا أن اعتقادهم بسبعة آلهة كان بعد مغالاتهم بيزيد والشيخ عدي - وهي لا تعدو أربعة قرون - فمغالاتهم في مشائخهم ، وفي شعار الثورة الذي اتخذوه كان هذا بعد القضاء التام على الثورة ، وانقطاعهم في أماكن تجمع لهم .

وهم في الوقت الحاضر مع اعتقادهم بتعدد الآلهة وأن طاووس ملك رئيس الآلهة ، فإنهم يعترفون بأن الله هو الخالق - خلق إبليس وغيره - ويشركون معه عبادة طاووس ملك ، وأن إليه إدارة العالم كله في الوقت الحاضر .

ويرون أن (طاووس ملك) له سلطة مطلقة على العالم ، وأنه يفعل مالا يقدر غيره من الآلهة أن يفعله ، حتى ولو كان خلافاً لأمر الله عز وجل ، ويروون حكايات في هذا . ومن ذلك :[2]

غضب الله على عيسى بن مريم ، فأخذه ونزل به إلى الأرض ، ووضعه في جب ، ووضع طبقاً كبيراً من الحجارة على فوهة الجب ، وبقي هذا المسكين يعاني آلام الوحدة

---

(١) الفصل الثاني من كتاب «الجلوة»

(٢) ويقولون : إن حروف (طاووس) ترمز :

الطاء : الطاعة للرؤساء اليزيديين .

الألف : للألفة بين اليزيدية

الواو : للود بينهم

السين : للتسليم إلى الرؤساء في أمور الدين والدنيا

والجوع والعطش ، وأخذ يستغيث بالآلهة واحداً بعد الآخر ، فلم يجبه أحد منهم خوفاً من الله تعالى . وأخيراً خطر بباله (طاووس ملك) ، فاستغاث به ، ولما سمع صوته نزل إلى الأرض وأخرجه من الجب ، وصعد به إلى السماء ، ولما رآه الله جل جلاله سأله : من أخرجك؟ قال له عيسى بن مريم : أخرجني طاووس ملك ، فقال له الله تعالى : لا بأس عليك لأن (طاووس ملك) عزيز علي ، ولا أرد له عملاً ، وأن غيره لا يجسر على إخراجك من سجنك إلا بأمري .

وأن سبب الطوفان كان من استهزاء الجنس البشري الذي تناسل من آدم وحواء - اليهود والنصارى والإسلام - بإلهنا ، فغضب عليهم (طاووس ملك) ، وسلط عليهم المياه وأغرقهم انتقاماً من الذين لم يعترفوا بألوهيته وسخروا منه .

إن احترام الشيطان عندهم مقتبس مما نقله بعض المؤرخين من الإسرائيليات عن إبليس ومقامه بين الملائكة ، ما جعل القوم يحترمونه ويبررون عمله ، ويقتدون به .

جاء في كتاب فتوح الشام المنسوب للواقدي : أما علمت أن الملائكة اجتمعوا بالبيت المعمور ، ووقع بينهم الجدل في تصاريف الأمور ، وافتخر الكروبيون على الروحانيين ، والمسبحون على المقربين . فزاحمهم إبليس بدقة عبادته ، ومشيد مباني زهادته ، فقال : أنا المخلوق من ضرام النار ، البارع في خدمة العزيز الجبار ، أين أنتم من وقوفي على أقدام الاهتمام ، مائة ألف عام ، وتعبدي في السموات وأكنافها وبروجها وأعرافها وأوساطها وأطرافها ، وجبال الأرض وأكنافها[1] . . . إلخ . ونقل الطبري وابن الأثير وغيرهما من المؤرخين وغيرهم عنه :

وكان الله قد حسن خلقه ، وشرفه وملكه على سماء الدنيا والأرض - فيما ذكر- وجعله مع ذلك خازناً من خزان الجنة ، فاستكبر وادعى الربوبية ، ودعا من كان تحت يده إلى عبادته ، فمسخه الله تعالى شيطاناً رجيماً ، ومسكنه ومسكن أتباعه في الآخرة جهنم .

وهو من سكان الأرض ، واسمه «عزازيل» ، وبالعربية «الحارث» وهو من أشد الملائكة اجتهاداً ، وأكثرهم علماً فهو «طاووس الملائكة» ، مخلوق من الجمال وهو رئيس ملائكة سماء الدنيا ، وله سلطانها ، وجعل إليه تصريف الأمور ، وما ترك بقعة في الأرض ، ولا رقعة

---

(١) فتوح الشام : ٢ : ٦٣ ، ٦٤

في السماء إلا وله سجدة فيها[1] . وعلى هذا فإنهم تعصبوا له ، وبرروا عمله في الامتناع عن السجود لآدم ، وقالوا عنه : إنه لم يكن عاصياً ، بل كان من أشد المطيعين المتفانين في محبة الله تعالى ، وهذا ما حمله أن لا يسجد إلا لله – ولم يسجد لآدم .

وأول من نراه يصرح بهذا : أن إبليس كان من الموحدين ، بل هو سيد الموحدين هو الحسين بن منصور الحلاج المتوفى سنة (٣٠٩هـ = ٩٢١م) فإنه قال عنه : إن سيد الموحدين في العالم هو إبليس ، لأنه ثبت على دعواه ، ولم يسجد لآدم ، مع أن الله تعالى هدده بالطرد والمسخ والعذاب ، ولكنه بقي ثابتاً على رأيه . قال في الطواسين :[2] ما صحت الدعاوي لأحد ، إلا إبليس وأحمد ﷺ غير أن إبليس سقط عن العين ، وأحمد ﷺ كشف له عين العين . . . وما كان في أهل السماء موحد مثل إبليس ، حيث إبليس تغير عليه العين ، وهجر الألحاظ في السير . وعبد المعبود على التجريد ، ولعن حين وصل إلى التغريد ، وطلب حين طلب المزيد . فقال له اسجد . قال : لا غير . قال له : وإن عليك لعنتي . قال : لا غير .

جحودي لك تقديس

وعقلي فيك تهويس

وما آدم إلاك

ومن في البين إبليس

ويذكر الحلاج على لسان إبليس ، مناظرته مع الله تعالى جل جلاله ، مبرراً امتناعه عن السجود لغير الله تعالى : مالي إلى غيرك سبيل ، وإني محب ذليل . قال له : استكبرت . قال : لو كان لي معك لحظة لكان يليق بي التكبر والتجبر ، أنا الذي عرفتك في الأزل ، أنا خير منه ، لأن لي قدمة في الخدمة ، وليس في الكونين أعرف مني بك ، ولي فيك إرادة ، ولك فيَّ إرادة ، إرادتك فيَّ سابقة أن سجدت لغيرك ، فإن لم أسجد فلا بد لي من الرجوع إلى الأصل ، لأنك خلقتني من النار ، والنار ترجع إلى النار ، ولك التقدير والاختيار . . .

ويقول الحلاج في مجادلة إبليس لموسى عليه السلام ، مظهراً اعتزازه برأيه في عدم السجود لآدم ، وأنه محق بهذا ، لأنه أعرف الموحدين بالله ، فكيف يسجد لغيره ، وهو الذي

---

(١) الطبري : ١ : ٤٣ – ٤٤ – ٥٩ ، الكامل : ١ : ١٠ – ١٢ الجامع لأحكام القرآن : ١ : ٢٥٢ ، شرح نهج البلاغة : ٣ : ٢٨ الملل والنحل : ٦ – ١٠

(٢) انظر طاسين الأزل والالتباس (ص : ٤١ – ٥٧)

أمره بعدم السجود لغير الله تعالى، فقال :

التقى موسى عليه السلام وابليس على عقبة الطور، فقال له : يا إبليس ما منعك عن السجود؟ فقال : منعني الدعوى بمعبود واحد، ولو سجدت له - لآدم - لكنت مثلك، فإنك نوديت مرة واحدة (انظر إلى الجبل) فنظرت، ولو نوديت أنا الف مرة أن أسجد فما سجدت لدعواي بمعناي .

فقال له : تركت الأمر .

قال : كان ذلك ابتلاءً لا أمراً .

فقال له : لا جرم قد غير صورتك .

قال له : يا موسى ذا وذا تلبيس، والحال لا معول عليه فإنه يحول، لكن المعرفة صحيحة كما كانت، وما تغيرت وإن الشخص قد تغير .

فقال موسى : الآن تذكره؟

فقال : يا موسى الفكرة لا تذكر، أنا مذكور وهو مذكور :

ذكره ذكري، وذكري ذكره هل يكون الذاكرون إلا معاً؟

خدمتي الآن أصفى، ووقتي أخلى، وذكري أجلى، لأني كنت أخدمه في القدم لحظي، والآن أخدمه لحظة .

ثم يقول الحلاج منوهاً بمنزلة عزازيل (إبليس) وما قيل عنه في السماء والأرض : وفي أحوال عزازيل أقاويل : أحدها أنه كان في السماء داعياً، وفي الأرض داعياً . في السماء دعاء الملائكة يريهم المحاسن، وفي الأرض دعاء الإنس يريهم القبائح . لأن الأشياء تعرف بأضدادها، والسرق الرقيق ينسج من وراء لماسح الأسود، الملك يعرض المحاسن ويقول للمحسن : إن فعلتها أجرت مرموزاً، ومن لا يعرف القبيح لا يعرف الحسن .

ويقول الحلاج عن مناظرته مع إبليس وفرعون في الفتوة، وأنهما كانا خير من يستحق هذا اللقب الرفيع، لأنهما ثبتا على دعواهما ولم يرجعا عنها : قال : تناظرت مع إبليس وفرعون في الفتوة . فقال إبليس : إن سجدت سقط عني اسم الفتوة .

وقال فرعون : إن آمنت برسوله سقطت من منزلة الفتوة .

وقلت أنا : إن رجعت عن دعواي وقولي سقطت من بساط الفتوة .

ويختم قوله هذا مظهراً تمسكه بقوله في وحدة الوجود، وأنه لا يحيد عن هذا ولو أدى به الأمر إلى الصلب وتقطيع الأعضاء، فإنه لا يرجع عما يعتقده الحق كل الحق فقال :

فصاحبي وأستاذي إبليس وفرعون، وإبليس هدد بالنار وما رجع عن دعواه، وفرعون

أغرق في اليم ، وما رجع عن دعواه ، ولم يقر بالواسطة البتة ، وإن قتلت أو صلبت أو قطعت يداي ورجلاي ما رجعت عن دعواي . ويعود الحلاج إلى تبرير عمل إبليس في امتناعه عن السجود لآدم ، منوهاً بمكانته عند الله تعالى ، وأنه لم يكن عاصياً :

قال له : ألا تسجد يا أيها المهين؟ قال : محب والمحب مهين؟ إنك تقول مهين ، وأنا قرأت في كتاب مبين ، ما يجري علي يا ذا القوة المتين ، كيف أذل له وقد خلقتني من نار وخلقته من طين ، وهما ضدان لا يتوافقان ، وإني في الخدمة أقدم ، وفي الفضل أعظم ، وفي العلم أعلم ، وفي العمر أتم .

قال له الحق سبحانه : الاختيار لي لا لك .

قال : الاختيارات كلها واختياري لك ، قد اخترت لي يا بديع ، وإن منعتني عن سجوده فأنت المنيع ، وإن أخطأت في المقال فلا تهجرني فأنت السميع ، وأن أردت أن أسجد له أنت المطيع ، لا أعرف في العارفين أعرف بك مني .... إلى أن يقول الحلاج :

فصحاء القوم عن بابه خرسوا ، والعرفاء عجزوا عن ما درسوا ، هو الذي كان أعلمهم بالسجود ، وأقربهم من الموجود ، وأبذلهم للمجهود ، وأوفاهم في العهود ، وأدناهم من المعبود . سجدوا لآدم على المساعدة ، وإبليس جحد السجود لمدته الطويلة على المشاهدة .

هذا رأي الحلاج في أمر إبليس ، فقد جعله سيد الموحدين ، وكان أستاذه في التوحيد وجاء في كتاب النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس [1] عند كلامه عن الحلاج ، ما يدل أنه غالى في إبليس أكثر من هذا فجعله إلهاً ، فقال :

.... وعرفهم أن إبليس - لعنه الله - ليس من خلق الله ، وأنه ضد الله تعالى عن قوله ، وأنه خالق معه ، فإذا خلق الله عز وجل بطيخة ، خلق هو حنظلة ، وكذب وجهل لا خالق إلا الله عز وجل .

وممن سلك في أمر إبليس مسلكاً غريباً ، وجعله - كالحلاج - سيد الموحدين ، هو أبو الفتح أحمد بن محمد الغزالي - المتوفى سنة (٥٢٠هـ - ١١٢٦م) وهو أخو الإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي الفقيه الشافعي .[2] فقد كان هذا يسلك في وعظه مسلكاً غريباً منكراً ويتعصب لإبليس ويقول : إنه سيد الموحدين .

وقال يوماً على المنبر : من لم يتعلم التوحيد من إبليس فهو زنديق . أمر أن يسجد لغير

---

(١) ص : ١٠١

(٢) مرآة الجنان : ٣ : ١٧٦ ، المنتظم : ٩ : ٢٦٠ - ٢٦٢ ، وفيات الأعيان : ١ : ٢٨

سيده ، فأبى ، ثم أنشد :

ولست بضارع إلا إليكم
وأما غيركم حاشا وكلا

وقال يوماً مدافعاً عن إبليس : لم يدر ذلك المسكين أن أظافر القضاء إذا حكت أدمت ، وقسي القدر إذا رمت أصمت . وأنشد :

وكنا وليلى في صعود من الهوى
فلما توافينا ثبت وزلت

ومن أقواله : التقى موسى وإبليس عند عقبة الطور ، فقال يا إبليس لم لم تسجد لآدم؟ فقال : كلا ، ما كنت لأسجد لبشر يا موسى ، ادعيت التوحيد - وأنا موحد - ثم ألتفت إلى غيره !! وأنت قلت : أرني ، ثم التفتّ إلى الجبل ، فأنا أصدق منك في التوحيد ، قال : أسجد للغير ، ما سجدت من لم يتعلم التوحيد من إبليس فهو زنديق . يا موسى : كلما ازداد محبة لغيري ، ازددت له عشقاً .

وهكذا نجد بعض المتصوفة والعلماء يذهبون مذهباً غريباً في امتناع إبليس عن السجود لآدم ، ويعدون هذا منتهى التضحية والطاعة لله تعالى ، لأنه أبى أن يسجد لغير خالقه .

هذه الأفكار الصوفية تسربت إليهم ، كما تسربت إلى غيرهم ، ولكن متى صاروا يعتقدون بألوهيته وعبادته؟ والذي نراه أنه كان بعد القرن العاشر للهجرة ، لأننا لا نجد ذكراً لطاووس الملائكة في معتقدات أكثرهم التي كانوا عليها قبل هذا التاريخ .

وأن احترامهم لتمثال «طاووس الملائكة» كانت فكرة صوفية ، فإن بعض مدعي التصوف يرون : أن في السماء ديكاً جميلاً يسمونه (ديك العرش) وأنه يؤذن في الأوقات الخمس للصلوات الخمس ، فيسمعه المتصوفة ويؤذنون ، وأنه هو وطاووس الملائكة من أجمل المخلوقات وأقربهم إلى الله تعالى ، وأن الشيخ حسن عندما نظم دعوته ، اتخذ أعلاماً للثورة وزعها على النواحي التي لاقت دعوته إقبالاً فيها ، وجعل في رأس كل علم تمثالاً لطاووس الملائكة على شكل ديك العرش - الذي تخيله هو - تيمناً بما يذهب إليه بعض المتصوفة ، وبعد فشل حركاتهم بقيت هذه التماثيل عند أولي الأمر منهم ، وهي الطواويس التي لم تزل عند أمير الشيخان .

وبما أن إبليس كان يزهو على الملائكة بجماله - ويسمى طاووس الملائكة - ذهب اليزيدية أن التماثيل التي عندهم - بقايا الأعلام - هي تماثيل لطاووس الملائكة - عزازيل - لذا سموها «طاووس ملك» ، وقالوا إنها تماثيل لإبليس - كاروبيم - الذي يرون أن الشيخ

حسن تيمن به ، واتخذه شعاراً لدعوته ، وبعد فشل الدعوة بقي شعارها عند اليزيدية ، فاتخذوه معبوداً لهم على ما وضحه لهم رؤساؤهم ، نجد هذا في كثير من المذاهب السياسية ، التي يتخذ لها صبغة دينية ، فإذا فشلت الدعوة بقي شعارها مقدساً عند أتباعها ، وعلى مر العصور يكون معبوداً عندهم .

والذي يؤيد لنا أن هذه التماثيل هي بقايا الأعلام التي اتخذها الشيخ حسن شعاراً لدعوته ، أن اليزيدية يسمونها (السناجق) - والسنجق هو العلم كما نعلم - واذا ما أرسلوا تمثال طاووس ملك منها إلى قرية ما ، نادى أحدهم في أهل القرية : أن السنجق سيحضر في يوم كذا ، ولم يقل : إن طاووس ملك سيحضر في يوم كذا ، فهي بقايا سناجق الثورة ، ذهب الأصل ، وبقي الشعار ، وصار معبوداً عند أتباع الطريقة . وإن كل علم - سنجق - كان مخصصاً لناحية من البلاد ، استغل الرؤساء اليزيدية هذا الشعب ، وعزلوهم عن غيرهم بما ألقوه اليهم من التعاليم ومنها : أن بقايا السناجق هي تماثيل لطاووس الملائكة الذي اختص بالأمة اليزيدية دون غيرها ، فقد جاء في كتابهم الجلوة : عن طاووس ملك :

«أنا موجود وليس لي نهاية ، لي تسلط على كل الخلائق ، وإلي تدبير مصالح كل الذين تحت حوزتي وقبضة يدي ، أنا حاضر سريعاً عند الذين يثقون بي ، ويدعونني وقت الحاجة ، لا يخلو عني مكان في الدنيا كلها ، أنا مشترك بكل الوقائع التي يسميها الخارجون شروراً لأنها ليست حسب مرامهم» .

يعتقد اليزيدية أن الله تعالى هو خالق العالم ، وأنه خلق سبعة آلهة أولهم عزازيل[1] (طاووس ملك) وهو رئيس الآلهة ، وأن عزازيل خلق سبعة آلهة تعاقبوا في إدارة العالم ، تولاه كل واحد منهم ألف سنة - تحت إشراف عزازيل - وأن العالم اليوم بقبضة طاووس الملائكة ، وهو مختص بالأمة اليزيدية ، فقد حضر عندهم وسلمهم حقائق الأمور ، كما جاء في الفصل الأول من كتاب الجلوة . وأن طاووس ملك مقربٌ عند الله ، ولا يرد له طلباً بخلاف ما يذهب أصحاب الأديان السماوية .

أما امتناعه عن السجود لآدم ، فإنه كان امتثالاً لأمر الله الذي أمره - قبل هذا ، أن لا يسجد لسواه ، فهو لم يخالف أمره بامتناعه عن السجود لآدم ويذكرون : أن الله تعالى عندما خلق السموات والأرض ، سلم مفاتيح الخزائن إلى طاووس ملك ، وأوصاه أن يفتح هذه الخزائن إلا خزانة واحدة ، وفي أحد الأيام فتح طاووس ملك تلك الخزانة فوجد فيها ورقة

(١) انظر الفصل الأول من مصحف رش .

مكتوباً عليها : (لله إلهك تسجد ، وله وحده تعبد) فأخذ الورقة واحتفظ بها ولما خلق الله آدم وأمره بالسجود له أبى ، فألح جل جلاله ، فأصر طاووس ملك على عدم السجود ، ولما سأله الله تعالى عن سبب امتناعه ، أخرج الورقة لله تعالى ، فسأله تعالى : أفتحت البيت الذي نهيتك عنه ؟ قال : نعم . قال الله تعالى (هرّه الطوقي) في اللغة الكردية . ومعناها : اذهب إلى الطوق[1] وهو طوق حديدي يضعه الله تعالى في رقبة من يغضب عليه . ولكن الله تعالى لما وجد حجة طاووس ملك قوية ، وأنه محق بفعله ، ممتثل لأمره ، رضي الله عنه وأرجعه إلى السماء ، وسلمه مقاليدها .

ويقولون هل يمكن أن أحداً يغضب عليه والده ويطرده إلى الأبد ، كلا إنما غضب عليه ، ثم رده حالاً احتراماً له .

وأما إغراء آدم وطرده من الجنة ، فكان بأمر طاووس ملك . جاء في الفصل الثاني من مصحف رش : وأمر جبرائيل أن يدخل آدم إلى الفردوس ، ويأمره أن يأكل من كل الشجر ما عدا الحنطة . وبقي آدم مائة سنة ، فقال طاووس ملك لله : كيف يكثر آدم وأين نسله إن لم يأكل من شجرة الحنطة . قال له الله : سلمت الأمر والتدبير بيدك . فجاء طاووس ملك وقال لآدم : هل أكلت من الحنطة ؟ أجاب آدم : كلا لأن الله قد نهاني . قال طاووس ملك : كل من الحنطة فتغدو أحسن . ثم أكل آدم من الحنطة ، وللوقت انتفخت بطنه ، وأخرجه طاووس ملك من الفردوس ، وصعد إلى السماء . . . . وكان آدم كئيب الخاطر يبكي وينوح .

وعلى هذا فهم يدعون أن خروج آدم من الجنة لم يكن بإغواء إبليس - كما في الكتب السماوية - وإنما كان بأمر الله تعالى .

لليزيدية سبعة تماثيل (لطاووس ملك) وهي كما علمنا : تماثيل كانت مثبتة في أعمدة للدعوة التي كان يسعى إليها الشيخ حسن ، ووزع الأعلام على البلاد التي لاقت حركته إقبالاً فيها ، وهم على ما يقولون كانت كما يلي :[2]

١ - بلاد الهكارية ولالش .

٢ - منطقة سنجار وما يجاورها .

٣ - منطقة تكريت .

---

(١) يذكر اليزيدية : أن الله - بعد أن رضي عن طاووس ملك - ألبسه (طوق الطاعة) في رقبته ، وعلى هذا فإن اليزيدي يتخذ جيب قميصه مستديراً ، وهو رمز الطاعة لرؤسائه ، كما أنه يميزه عن غيره من أهل الأديان .

(٢) يذكر إسماعيل جول في كتابه (ص : ٧٩) أنها تسعة .

٤ - منطقة حلب والشام وحران وسروج وأورفة .
٥ - منطقة بلاد سعرت وشرقي الأنضول .
٦ - منطقة قفقاسيا (بلاد المسقوف) .
٧ - بلاد الخالديين .

هذه الأعلام - السناجق - كانت عند أتباع الشيخ حسن ، تسلموها منه ، وبعد فشل الحركة والقضاء عليها ، فإنهم احتفظوا بالعلامة التي اتخذها شيخهم للثورة ، وصارت تعرف عندهم بالسناجق - أي الأعلام - وحفظ بعضها في خزينة الرحمن[1] عند (مير الشيخان) - وهو من أحفاد الشيخ حسن - كما فقد بعضها في الحملات التي شنت على اليزيدية .

وإن مير الشيخان الجالس على عرش يزيد يرسلها مع جماعة القوانين يطوفون بها في الأماكن التي يقطنها اليزيدية - على ما كان يرسل الشيخ حسن هذه الأعلام .

ومما يقوله القوال كما قدمنا : (تعيش دولة خليفة صاحب الزمان مدى الدهر) . فهم يقولون هذا ولا يعرفون ما تهدف إليه . ولربما كانت هذه الجملة من وضع الشيخ حسن ، ألقاها إلى الذين سلمهم الأعلام ، يقولونها لأتباعهم كلما اجتمعوا للمداولة والتبرك بعلم الثورة .

وبعد أن قضي على الثورة وصاحبها ومن جاء بعده من أحفاده ، فإن اليزيدية استمروا في تطواف السناجق وترديد هذه الجملة ، ولا يعرفون سبب وضعها .

يذكر اليزيدية عن هذه التماثيل السبعة ، بأنها وضعت بأسماء آلهتهم السبعة - مشائخهم - وهذا مما وضعه رؤساؤهم بعد القضاء على الثورة - كما أنهم اتخذوا سبع وسائد بأسماء مشائخهم وجعلوها وسائل لطاووس ملك ، يتكئ عليها .

أما الكأس الذي يملأ بالماء ويوضع أمام طاووس ملك عند زيارته ، يكون ماؤه مباركاً ، يتبارك به اليزيدية عند الزيارة ، فإن هذا موجود عند بعض أهل الفرق الباطنية . فالباباوات في سنجار وتلعفر - وهم يغالون في محبة الامام علي عليه السلام - إذا حضروا الصلاة ليلة الجمعة ، وضعوا أمام (الرهبر) أي القارئ كأساً فيه ماء ، وبعد الانتهاء من الصلاة يتباركون بمائه ، وهو ما نراه أيضاً عند اليزيدية .

وعلى هذا فنرى بعض الفرق الباطنية تتفق في بعض الأمور ، يأخذ بعضها عن بعض

---

(١) يذكر اليزيدية أن في خزينة الرحمن مخلفات كثيرة منها : عصا موسى ، وحية بني إسرائيل وكبش إبراهيم الخليل ، وسبحة الشيخ أحمد البدوي ، ومشط لحية الجنيد البغدادي .

من غير أن يعرف السبب . يكون هذا بتأثير المجاورة وانتشار الجهل عندهم ، فتسري عقائد بعضهم إلى بعض .

يعتقد اليزيدية أن هذه السناجق كانوا قد تسلموها من الإله ، فسلمها إلى سليمان الحكيم - النبي سليمان بن داوود- وحفظها عنده ، ثم تسلمها منه ملوك اليزيدية بالتعاقب حتى ولد إلههم يزيد البربري ، فأخذ السناجق بتبجيل عظيم ونظم لها مذبحتين باللغة الكردية ، وبقيت عند اليزيدية أتباعه محفوظة في خزينة الرحمن . هذه الطواويس السبعة كان قد صادرها الفريق عمر باشا عندما حاول أن يعيد اليزيدية إلى حضيرة الإسلام سنة (١٨٩٢م = ١٣٠٩هـ) ونقلت إلى بغداد وحفظت في خزانة الجيش السادس وبقيت محفوظة إلى أن تولى الموصل الوالي سليمان نظيف سنة ١٩٠٨م بعد أن أعلنت الحكومة العثمانية مشروطية الإدارة فأعادها إليهم[١] .

أما إرسال السناجق إلى الأماكن التي فيها اليزيدية : فإن أمير اليزيدية يسلمها للقوالين بالضمانة ، فيخرجونها من خزينة الرحمن بفرح وابتهاج ، ويذهبون بها إلى مرقد الشيخ عدي ، ويغسلونها بماء عين زمزم .

أما القوالون فإن كل واحد منهم يأخذ كمية من تراب مرقد الشيخ عدي ، ويتخذ منه كرات ، كل واحدة بحجم بندقة ، ويصطحبها معه إلى الجهة التي يقصدها ، فيقدمها لليزيدية لقاء مبلغ يقدم إليه ، فعلى كل يزيدي أن يحصل على عدد منها تكون للاستشفاء بها ، وتوضع في فمه إذا قارب الموت وغير ذاك . - كما تقدم - .

إذا اقترب القوالون - حاملو السنجق طاووس ملك - من مكان ما أرسلوا إلى اليزيدية من يعلمهم بقدومهم ، فيخرجون إليهم بالزينة الفاخرة والعطور والبخور ، ويستقبلونهم بالتهاليل والغناء ، فإذا وصلوا القرية تجري مزايدة في البيت الذي يحل فيه السنجق .

يذهب القوالون إلى البيت ، ويجلسون في مكان أنيق نظيف ، يضعون الطاووس في محل مرتفع يحف به القوالون ، يرتلون المدائح ، وينقرون بالدفوف ، فيتوافد أهل القرية يزورون السنجق - طاووس ملك - ويسجدون له ويقدمون ما يتمكنون عليه من هدية .

---

(١) انظر الملحق رقم - ٣ - .

يزيد بن معاوية

قدمنا أن الغلو كان مظهراً من مظاهر المنافسة التي كانت بين الأمويين والهاشميين . فكما أن محبة آل البيت أدت ببعضهم أن نسبوا خوارق العادات للإمام علي ﷺ ولبعض أولاده ، وذهب بعضهم إلى أبعد من هذا فادعوا أن الإمام علي أنه إله ، كان ذلك في حياته ، وبعد مماته .

وأن محبة الأمويين عند اتباعهم أدت بهم أن يذهبوا في حب يزيد ما ذهبت الفرق الباطنية المغالية في الإمام علي ﷺ ذلك أن السب واللعنة كان يوجه إلى يزيد بصورة خاصة بعد مقتل الإمام الحسين ﷺ .

وأما المغالون في حب الإمام علي ﷺ فإن بعضهم عدلوا عن اعتقادهم هذا ، فاعتنقوا المذهب الشيعي ، ورجعوا إلى حضيرة الإسلام ، يهتدون بالقرآن الكريم ويقيمون شعائر الدين ، يحمدون الله عز وجل الذي سخر لهم من بصرهم بالحق وهداهم الصراط السوي . وكذا بعض اليزيدية فإنهم عندما اتصلوا بالدولة العثمانية عادوا إلى الإسلام تقرباً للدولة وطمعاً في الحكم .

وأقدم ما وقفنا عليه من الغلو في يزيد هو ما كان عليه يزيدية سنجار في القرن السادس للهجرة ، فإنهم غالوا كثيراً في محبة يزيد ، وحاموا حول تأليهه بتأويل بعض الآيات القرآنية - كما قدمنا -[1] .

وأن الشيخ عدي - رحمه الله - وأبناء أخيه من بعده - حدوا من هذا الغلو الذي كان عند بعض الأكراد ، ولكن الذي أذكى ناره هو الشيخ حسن شمس الدين - كما تقدم - فإنه استغل حب أتباعه لعدي وليزيد ، فغلا في محبتهما ، وزاد نظماً ونثراً في ذلك ونشرهما عند أتباع الطريقة العدوية .

فتصدى العلماء في الرد على الرافضة واليزيدية ، وما دخلهما من غلو في الإمام علي ويزيد ، ومن ذلك ما نقله الأستاذ العزاوي من كتاب الرد على الرافضة واليزيدية : هؤلاء اليزيدية قوم استحوذ على عقولهم الشيطان ومارسهم ووسوس لهم محبة يزيد بن معاوية وهو غلط . . . . وتمسك هؤلاء الجهال بحب يزيد والإطراء منه ، جهلاً منهم وعدم علم بحقيقة حاله ، حتى أنهم يقولون لفرط هواهم وضلالتهم : من لم يحب يزيد ، يحل لنا دمه وماله ، ولا تجوز الصلاة خلف أئمة الجور ، وقد تأخروا عن حضور الجمعة .

---

(١) انظر : ص ٢١ من كتابنا هذا .

وكان قد أضل هؤلاء الجهال في الدخول في هذه الضلالة والبدعة هو الشيخ حسن بن عدي - من سواد الموصل - استغوى وأضل خلقاً كثيراً ، ووصلت رسله بالضلالة ، والدعاء إلى مذهبه المبني على الغي والجهالة إلى بلد هبت والكبيسان و [١] . . . .

ونجد في الوصية الكبرى التي أرسلها الشيخ ابن تيمية الحراني إلى أتباع الطريقة العدوية محذراً إياهم مما هم عليه من الغلو في يزيد ، فإنه بعد أن بين سبب هذا الغلو ورأي المسلمين في يزيد قال عما كان عليه العدوية :[٢]

وأقوام يعتقدون أنه كان إماماً عادلاً هادياً مهدياً ، وأنه كان من الصحابة ، أو أكابر الصحابة ، وأنه كان ولياً من أولياء الله تعالى ، وربما اعتقد بعضهم أنه كان من الأنبياء ، ويقولون : من وقف في يزيد وقفه الله على نار جهنم . ويروون عن الشيخ حسن بن عدي أنه كان كذا وكذا ولياً وقفوا على النار لقولهم في يزيد ، وفي زمن الشيخ حسن زادوا أشياء باطلة نظماً ونثراً ، وغلوا في الشيخ عدي وفي يزيد ، بأشياء مخالفة لما كان عليه الشيخ عدي الكبير - قدس الله روحه - فإن طريقته كانت سليمة ، ولم يكن فيها من هذه البدع ، وابتلوا بروافض عادوهم ، وقتلوا الشيخ حسناً ، وجرت فتن لا يحبها الله ولا رسوله .

وهذا الغلو في يزيد في الطرفين خلاف لما أجمع عليه أهل العلم بالإيمان . . . فالواجب الاقتصار في ذلك ، والإعراض عن ذكر يزيد بن معاوية وامتحان المسلمين به ، فإن هذا من البدع المخالفة لأهل السنة والجماعة . . . . على أن هذا التطرف والغلو في محبة يزيد ، لم يؤد بالعدوية إلى تأليهه ، وإنما عدوه من أكابر الصحابة ، وجعله بعضهم من الأنبياء . ولم نجد ذكراً صريحاً لتأليهه حتى القرن العاشر للهجرة .

ذكر ابن حجر الهيتمي المكي المتوفى سنة (٩٧٤ = ١٥٦٦م) في مقدمة كتابه تطهير الجنان واللسان : عن سبب تأليفه الكتاب فقال : وإنما ضممت هذا إلى ما سئلت فيه مما ذكر ، لأن طائفة يسمون اليزيدية يبالغون في مدح يزيد ويحتجون و . . .

هذا الغلو ما زال ينمو ويقوى بما وضعه رؤساء اليزيدية الذين سيطروا عليهم فاتخذوه إلههم الذي ولدته زوجة معاوية بن أبي سفيان وكان ذلك بقدرة الإله الأكبر(الله جل جلاله)[٣] .

---

(١) اليزيدية : ٨٢ - ٨٣ .

(٢) مجموعة الرسائل الكبرى : ١ : ٢٩٩ - ٣٠٠ .

(٣) انظر (ص : ٤٦) من كتابنا هذا .

وصار عندهم ليزيد تخت مقدس ، كتابوت بني اسرائيل ، ورئيسهم مير الشيخان ، جالس على تخت يزيد[1] الإله ، ولهم صوم يسمونه صوم يزيد وعدة أماكن مقدسة تنسب إليه ، مما سنعرض لها إن شاء الله تعالى .

كل هذا كان من المغالاة واتخاذ الطريقة العدوية سلماً للدنيا ومعاشاً على حساب الشعب الذي تركوه يتخبط بجهله .

الشيخ عدي بن مسافر الهكاري

إن الذين كتبوا عن الشيخ عدي مجمعون أنه كان من الشيوخ الكمل ، زاهداً في الدنيا وما فيها ، قصده الناس من مختلف الجهات ، فكان قطبهم الذين يلتفون حوله وإمامهم ، وأجمع مشائخ زمانه على تبجيله وتعظيمه ، وانقاد إليه مشائخ الجبال ، وتخرج بصحبته الكثير من ذوي الأحوال الفاخرة ، حتى قال الشيخ عبد القادر الجيلاني عنه : لو كانت النبوة تنال بالمجاهدة لنالها الشيخ عدي بن مسافر الهكاري .

وإن الناس إذا ما أحبوا شخصاً نسبوا اليه خوارق العادات وبالغوا في الإطراء عليه ، ففي حياته أشاع بعض أصحابه أن الشيخ عدي لا يأكل ولا يشرب ولما بلغه هذا صار يأكل ويشرب أمامهم ومعهم ، مظهراً لهم أنه بشر مثلهم : يأكل كما يأكلون ويشرب كما يشربون ، ويحتاج إلى ما يحتاجونه من وسائل الحياة .

هذا الغلو دفع أتباعه أن يتخذوا البيت الذي ولد فيه محجاً لهم ، يقصدونه بالزيارة ، كما صار قبره من المزارات المعدودة عندهم ، يذكر ابن خلكان عنه (المتوفى سنة ٦٨١ هـ = ١٢٨٢م) : وجاوز حسن اعتقادهم فيه الحد ، حتى جعلوه قبلتهم التي يصلون فيها ، وذخيرتهم في الآخرة التي يعولون عليها ، وقبره من المزارات المعدودة ، والمشاهد المقصودة[2] .

وأن الشيخ حسن زاد في هذا الغلو بما وضعه لهم ، لأنه رأى ما للشيخ عدي من حب في قلوب أتباعه ، وما يتناقلونه عن سيرته وأقواله - وبعضها كان على لسان أهل الطريقة في توحيد الباري عز وجل ، فاستغل الشيخ حسن هذا لنفسه ، وزاد في أمر الشيخ عدي أشياء باطلة نظماً ونثراً ، فكان يهدف إلى دعم حركته السياسية ، متخذاً من الطريقة العدوية ستاراً لها - كما قدمنا - .

---

(١) انظر (ص : ٤١ - ٤٣ ، ٤٥) من كتابنا هذا .

(٢) وفيات الأعيان : ١ : ٣١٦ ، مرآة الجنان ، ٣ : ٣١٣ .

وهذا ما حمل ابن تيمية المتوفى سنة [1](٧٢٨هـ = ١٣٢٧م) أن يوجه رسالته إلى أتباع هذه الطريقة ، يذكرهم بأصول الدين الحنيف ، وما يجب أن يكون عليه المسلم من حسن الاعتقاد بكتاب الله ، وسنة رسوله ، ويحذرهم من تجاوز هذا . ومن اتباع الهوى مما يخرجهم عن الدين ، من المغالاة ، واستعباد الناس باسم الدين ، فلا يكونوا ﴿كالذين اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله﴾ يحلون الحرام ويحرمون الحلال .

ويذكرهم بما كانوا عليه من حسن الاعتقاد ، وجميل السيرة ، وخدمتهم الجليلة في الدفاع عن الإسلام ، في الحروب الصليبية وغيرها ، وأنهم كانوا في طليعة جيوش المسلمين فيقول في هذا :

ولهذا كثر فيكم أهل الصلاح والدين وأهل القتال المجاهدين ، ما لا يوجد مثله في طوائف المبتدعين .

وما زال في عساكر المسلمين المنصورة ، وجنود الله المؤيدة ، منكم من يؤيد به الله الدين ، ويعز به المؤمنين ، وفي أهل الزهادة والعبادة منكم من له من الأحوال الزكية والطريقة المرضية ، وله المكاشفات والتصرفات ، وفيكم من أولياء الله المتقين ، من له لسان صدق في العالمين فإن قدماء المشايخ الذين كانوا فيكم مثل الشيخ الملقب بشيخ الإسلام أبي الحسن علي بن أحمد بن يوسف القرشي الهكاري ، وبعده الشيخ العارف القدوة عدي بن مسافر الأموي ، ومن سلك سبيلهما ، فهم من الفضل والدين ، والصلاح والاتباع للسنة ، ما عظم الله به أقدارهم ، ورفع منارهم .

ويقول فيها عن الشيخ عدي : والشيخ عدي - قدس الله روحه - كان من أفاضل عباد الله الصالحين ، وأكابر المشائخ المتبعين ، وله من الأحوال الزكية ، والمناقب العلية ، ما يعرفه أهل المعرفة بذلك ، وله في الأمة صيت مشهور ، ولسان صدق مذكور ، وعقيدته المحفوظة عنه ، لم يخرج فيها عن عقيدة من تقدمه من المشايخ الذين سلك سبيلهم ، كالشيخ الإمام الصالح أبي الفرج عبد الواحد بن محمد بن علي الأنصاري الشيرازي ثم الدمشقي ، وكشيخ الإسلام الهكاري ونحوهما ، هؤلاء المشايخ لم يخرجوا في الأصول الكبار عن أحوال أهل السنة والدعاء إليها ، والحرص على نشرها ، ومنابذة من خالفها ، مع الدين والفضل والصلاح ، ما رفع الله بها أقدارهم ، وأعلى منارهم .

ويحذرهم من الغلو في الشيخ عدي الذي كان عليه بعضهم : .... وكذلك الغلو في

---

(١) مجموعة الرسائل الكبرى : ١ : ٢٧٣ - ٢٧٤ ، ٢٧٨ ، ٢٨٨ .

بعض المشائخ : أما الغلو في الشيخ عدي ، أو يونس القني[1] ، أو الحلاج وغيرهم ، بل الغلو في علي بن أبي طالب رضي الله عنه ونحوه ، بل الغلو في المسيح عليه السلام ونحوه ، فكل من غلا في حي ، أو في رجل صالح ، كمثل علي رضي الله عنه أو عدي ونحوه . أو فيمن يعتقد فيه الصلاح كالحلاج أو الحاكم الذي كان بمصر ، أو يونس القني ونحوهم ، وجعل فيه نوعاً من الإلهية . . . فكل هذا شرك وضلال ، يستتاب صاحبه ، فإن تاب وإلا قتل ، فإن الله إنما أرسل الرسل ، وأنزل الكتب ، لنعبد الله وحده لا شريك له . ولا نجعل مع الله إلهاً آخر .

هذه المغالاة كانت تزداد وتنمو مع الدعوة ، بما يضيف إليها أتباع الطريقة في اختلاف العصور ، حتى أدى الأمر ببعضهم أن يعتقد ان للشيخ عدي مقاماً كمقام الألوهية . كما ذكر ابن كثير المتوفى سنة (٧٧٤هـ = ١٣٧٢م) فقال عند كلامه عن الشيخ عدي :

واعتقده أهل تلك الناحية اعتقاداً بليغاً ، حتى أن منهم من يغلو غلواً كثيراً منكراً ، ومنهم من يجعله إلهاً أو شريكاً – وهذا اعتقاد فاحش ، يؤدي إلى الخروج من الدين جملة[2] .

وذكر المقريزي عنهم : وبعد مدة غلوا في الشيخ عدي ، وبالغوا في اتباعه لدرجة أنهم صاروا يعتقدون فيه أنه يرزقهم ، وأنهم لا يقبلون رزقاً من سواه ويحكون : أن عدياً جلس مع الباري تعالى وأكل خبزاً وبصلاً . . . .[3]

وعلى هذا فإن ألوهية الشيخ عدي بدت في الظهور عند بعض اليزيدية منذ القرن الثامن للهجرة– ولكنها لم تكن عند عامتهم .

بعد القضاء على حركتهم ، وانكماش اليزيدية في أماكن معينة ، كتموا تعاليم رؤسائهم ، وتصرفوا في عقائدهم ، وزادوا في الغلو – بعدي وغيره – وعزلوهم عن المسلمين بما وضعوه لهم من مناسك حج وصلاة وصوم ، وشككوهم في عقائد غيرهم – من أهل الكتب السماوية – وحذروهم أن يبيحوا لغيرهم بما يعتقدونه .

ومما وضعوه : أن الشيخ عدي إله ويقولون عنده :

شيخ عادي با ديشايا هزار وناف سرخونايا نافي مزن خدايا

---

(١) يونس بن يوسف بن مساعد الشيباني المخارقي القني (نسبة إلى قرية من نواحي ماردين) شيخ الطريقة اليونسية الشطحية المتوفى سنة ٦١٩هـ(شذرات الذهب : ٥ : ٨٧) .

(٢) البداية والنهاية : ٢ : ٢٤٣ .

(٣) اليزيدية للعزارى : ٧٢ ، ٧٣ وعلى هذا يقول يزيدية جبل سنجار :

شكر مكر حيلتا ، تان وبيواز نعمتا

أي : أكل السكر لا يفيد ، والنعمة في الخبز والبصل .

الشيخ عدي ملك له ألف اسم واسم واسمه العظيم (الله)

إن هذه الكلمة هي محرفة عما كان يقوله بعض المغالين من أتباع الطريقة العدوية : لا اله إلا الله محمد رسول الله شيخ عدي شيء لله . نجد مثلها عند بعض القادرية المغالين في محبة الشيخ عبد القادر الجيلاني ، وعندي ختم كبير لأحدهم مكتوب عليه : لا إله إلا الله محمد رسول الله شيخ عبد القادر شيء لله .

ومن اليزيدية من يذهب أن الشيخ عدي هو بمنزلة الوزير الكبير عند الله ، لا يصدر أمر من الله تعالى إلا برأيه ومشورته . ومنهم من يقول إنه ساهم الله تعالى في الإلهية ، فحكم السماء بيد الله تعالى وحكم الأرض بيد الشيخ عدي . ومنهم من يرى أنه هو الله تعالى[1] .

ويروون قصصاً عن الشيخ عدي ، وربما كان في بعضها يملك ما لا يملك الله تعالى .

ومما ذكروه أن الشيخ عدي : دعا الله مرة إلى لالش ، فجاء هو وملائكته ، وبعد أن تناولوا الطعام عنده ، دعاه الله إلى السماء ، فلبى دعوته ولما صعد الشيخ عدي بأتباعه إلى السماء ، لم يكن عند الله من التبن ما يكفي لخيولهم ، فأمر الشيخ عدي أصحابه أن يعودوا إلى لالش ، ويحملوا التبن منه ، ففعلوا وسقط بعض التبن في السماء ، فكان منه ما يعرف (بدرب التبانة)[2] .

يذكرون أن الشيخ عدي أسقط عنهم الصوم والصلاة والعبادات التي يؤديها المسلمون ، فاختصر بعضها وخفف غيرها وبدل فيها ما شاء .

فعدلوا عن الحج إلى بيت اللّه الحرام ، فزيارة الشيخ عدي تكون عوضاً عن بيت الله الحرام ، و «جبل لالش» هو «جبل عرفات» ، والعين التي تنبع من جبل لالش وتجري في رباطه هي «عين زمزم» .

وتراب قبر الشيخ عدي مقدس عندهم ، وعلى كل يزيدي أن يتزود منه وقت الحج ، لقاء مبلغ يدفعه للكوجك ، ويحمله معه على شكل بنادق ، يستشفي بها إذا مرض ، وتوضع في فمه إذا مات . وتدفن معه في القبر .

---

(١) اليزيدية - تيمور : ٧ - ٩ .

(٢) وهو ما يعرف بالموصل أيضاً بدرب التبانة ، تشبيهاً بدرب من ينقلون التبن من البيادر وبعضهم يسميه (مسحال الكبش) ويذكرون أنه أثر سحل الكبش الذي فدى الله تعالى به إسماعيل (واليزيدية اقتبسوا هذا مما يتناقله عامة أهل الموصل) .

والشيخ عدي يحمي أمته يوم القيامة ، فيكون اليزيدية في مقدمة الأمم دخولاً في الجنة ، فالشيخ عدي يضعهم في صينية ، ويحملها على رأسه ، ويدخل بهم الجنة قبل غيرهم .

وفي أعلى جبال لالش - جبل عرفات عندهم - دائرة يسمونها دائرة عدي ويزيد وطاووس ملك . وهي من المحلات المقدسة عندهم ، وأنهم إذا أرادوا أن يحلفوا يزيدياً يميناً معظمه ، أمروه أن يدخل الدائرة - أو يخط له دائرة إن لم يكن في جبل الشيخ عادي - ويقول (أخرج من خطة الشيخ عادي[١] وطاووس ملك ويزيد وبير شباك[٢] وادخل في خطة غير اليزيدية إن كنت . . .)

والذي نراه أن هذه الدائرة ما ذكره بعض الذين كتبوا عن الشيخ عدي ، أنه رحمه الله كان إذا أراد أن يسمع وعظ الشيخ عبد القادر الجيلاني ، فإنه كان يخط دائرة في أعلى الجبل ويقول لأصحابه : من أراد أن يسمع الجيلاني فليدخل فيها[٣] ، ويدعي اليزيدية أنها لم تزل موجودة في أعلى الجبل - كما قدمنا - .

---

(١) أي الشيخ عدي .

(٢) وبيرشباك هو تخت يزيد .

(٣) بهجة الأسرار : ٩٧ .

كتبهم المقدسة
وصلواتهم

كتبهم

لليزيدية كتابان مقدسان عندهم هما «الجلوة ومصحف رش» . أما الجلوة : فيذكرون أن الذي وضعه لهم هو الشيخ عادي ـ عدي بن مسافر الهكاري ـ ويدعي بعضهم أن الشيخ حسن شمس الدين ـ منظم الدعوة ـ هو الذي وضع هذا الكتاب . والذين ترجموا للشيخ حسن ذكروا : أنه اعتزل أصحابه ست سنوات ، ثم ظهر لهم بعد هذا ، وقد وضع كتاب «الجلوة لأرباب الخلوة» وهو كتاب في التصوف . وفيه ـ على ما نرى ـ من الغلو في الشيخ عدي ويزيد ، وما يدعو القوم إلى التعلق بالشيخ حسن حفيد العدويين .

لم نقف على ذكر لهذا الكتاب ، وآخر من ذكره صاحب «هداية العارفين» فلعله نقل هذا عمن ترجم للشيخ حسن ، ولم يطلع عليه ، لأن النكبات الكثيرة التي أصابت الحركة العدوية ، ذهبت بكثير من كتب مشائخهم ، ومنها الجلوة لأرباب الخلوة .

وأما كتاب الجلوة الذي بين أيدينا فإنه حديث الوضع[1] ، وضعه راهب نصراني على طلب من اليزيدية ، وهو كتاب سقيم العبارة ، ضعيف التعبير ، تقترب لغته من لغة الموصل العامية ، وفيه ألفاظ دخيلة : تركية وكردية وفارسية وآرامية وغيرها من الألفاظ التي تسربت إلى لغة الموصل العامية في القرون المتأخرة .

مثل هذا لا يمكن أن يكون من وضع الشيخ عدي أو الشيخ حسن ، والشيخ حسن من مفكري عصره ، وكان على جانب من الثقافة الدنيوية وله شعر وأدب ، ولا يصدر منه هذا الكتاب . وذكر بعض الذين كتبوا عن اليزيدية : إن الكتابين ـ الجلوة ومصحف رش ـ هما من وضع راهب نصراني ، ونحن نؤيد ذلك لأن واضعه قليل العلم ، ضعيف الاطلاع على اللغة العربية ، ثقافته محدودة ، كلفه اليزيدية بوضع كتاب لهم ، على ما قرروه له من تعاليمهم ، وأكثرها : عن طاووس ملك ، وتمسكهم به ، وأنه مختص باليزيدية ، والسمع والطاعة لرؤسائهم الذين يتولون أمرهم ، وأن يصدقوا كل ما يقولونه لهم ، ولا يبيحوا تعاليمهم لغيرهم من أهل الأديان ، الذين لا يعرفون الحقائق التي ألقاها إليهم طاووس ملك إلخ . . . .

وإن واضع الكتابين سلك في وضعهما على ما يعرفه من أسلوب العهد القديم ، فابتدأ بالخليقة ثم خلق آدم ، ثم الآلة ، ثم البحث عن طاووس ملك إلخ . . . ـ كما نجد هذا في الجلوة ـ

(١) انظر الملحق ـ رقم ٤ ـ .

أما «مصْحَفْ رَش» فلليزيدية أقاويل عنه :

أعلمني بعض ثقاتهم : إن طائفة الملالي عندهم يقرؤون القرآن الكريم ، وأنهم يضعون الشمع على الألفاظ التي ينفرون منها مثل : شيطان ، ملعون ، لعنة ، أعوذ الخ . . . وبعضهم يضع حبراً أسود على مثل هذه الألفاظ ويسمونه «مصحف رَش» أي المصحف الأسود ، وهذا يختلف بعض الشيء عما في أيدي المسلمين من القرآن الكريم .

ويذكر غيرهم أن «مصحف رَش» هو المصحف الذي كانت تتلو به «مهور»[1] أخت عمر ابن الخطاب رضي اللّه عنهما عندما دخل عليها أخوها عمر ليتأكد فيما إذا كانت قد أسلمت هي وزوجها ، ولما رأته خافت شره ، فألقت المصحف في تنور كانت تخبز به ، فاسود لونه ، ولم يشتعل ، وبعد هذا أخرجته ، وصاروا يطلقون عليه «مصحف رش» أي المصحف الأسود . ويذكر آخرون : إن ما نشر من مصحف رش والجلوة ، يختلفان عن النسختين اللتين عندهم ، ونحن نشك في هذا ، ولو كان كما يذكرون ، لنشرهما إسماعيل جول في كتابه ، فإنه نشر النسختين المطبوعتين اللتين نشرهما غيره .

ويذكر بعضهم : إن مصحف رش خاص بالأمة اليزيدية ، وإنه كتب بعد الشيخ عدي بمائتي سنة ، وأنه من أقوال الشيخ عدي . وهذا خلاف ما نراه عليه مصحف رش الذي بين أيدينا ، فإنه مفكك العبارات فيه من الخلط والخبط ما يعرفه كل قارئ .

ذكر نوري بك أن راهباً اسمه «أديّ» هرب من «دير الناصرة» ، وأسلم ظاهراً ، ثم ارتد ، ولحق باليزيدية ، وصار مقدماً عندهم ، ووضع لهم الجلوة ومصحف رش .

ونحن نؤيد هذا وأنهم جعلوا اسم «أدي» هو عدي بن مسافر ، ونسبوا الكتاب إليه .

يذكر اليزيدية : لما فقدت كتبنا في الماء والنار ، صارت قلوبنا بمثابة الكتب ، وصارت تعاليم ديننا في الصدور ، يتناقلها مشائخنا خلفاً عن سلف ، وهم يعلمون ما كان منذ زمن آدم إلى يومنا هذا . وما سيحدث في المستقبل ، وهو «علم الصدور» المعول عليه في أمور ديننا .

وقد ذكر الأستاذ الحسني في كتابه[2] ما نشر من كتابي الجلوة ومصحف رش ، باختلاف اللغات ، ولم نر داعياً لإعادة هذا .

واعتمدنا على نسخة داود بن إسحاق الموصلي في نشرهما ، وعندنا نسخة مخطوطة

---

(١) هي فاطمة بنت الخطاب ، زوجة سعيد بن عمرو بن نوفل ، أحد العشرة المبشرة بالجنة .

(٢) اليزيدية ص : ٥٣ ــ ٥٦ .

منهما ، كما عندنا نسخة أخرى حصلنا عليها من مكتبة أحمد تيمور باشا في مصر وهي ناقصة عن نسخة داؤد بن إسحاق الموصلي فعدلنا عن نشرها ، ونسخة داود تختلف بعض الاختلاف عما نشره الدملوجي والعزاوي والحسني وغيرهم .

كتاب الجلوة

الموجود قبل كل الخلائق عن طاؤوس ملك ، وهو أرسل إلى هذا العالم عن طاووس لكي يميز ويفهم ويعلم لشعبه الخاص من التيه ، أولاً بتسليم مشافهة ، وثم بهذا ، كتاب الجلوة الذي ما يجوز لأحد من الخارجين أن يقرأه أو يراه .

الفصل الأول

أنا كنت موجود الآن ، وليس لي نهاية ، ولي تسلط على الخلائق ، وتدبير مصالح كل الذين تحت صورتي . وأنا حاضراً سريعاً للذين يثقون بي ويدعوني وقت الحاجة ، ما يخلو عني مكان من الدنيا ، مشترك أنا بجميع وقائع التي يسمونها الخارجين شرور . لأنها ليست حسب مرامهم . كل زمن له مدبر وذلك بشوري ، كل جيل يتغير ، حتى رئيس هذا العالم والرؤساء يكون كل واحد بدوره ونوبته لكي يكمل وظيفته ، أعطي رخصة حسب حق الطبيعة للإنسان . يندم ويحزن الذي يقاومني . جميع الآلهة ليس لهم مداخلة بشغلي ومنعي عنهما قضية مهمة . كانت جميع الكتب الموجودة بين الخارجين بدلوا فيها ، وزاغو عنها ، ولو كتبوها الأنبياء والمرسلين لأن كل واحد يبطل الآخر وينسخ كتابه الحق والبطل معلوم عندي حين وقوعهم من التجربة . أعطي ميثاقي للذين يتكلمون علي وأعطيهم رأي المديرين الحداق لأني وكلتهم لأوقات معلومة عندي . أذكر وأحرك أمور اللازمة في حينها . أرشد وأعلم الذين يتبعون تعليمي وإذا سمعوا قولي ووافقوا مشورتي يجدون فيه لذة وفرح وخيراً لهم .

الفصل الثاني

أنا أكافي وأجازي نسل آدم بأنواع أعرفها . بيدي قوى وتسلط على الجميع ما في الأرض من فوقها وتحتها . ما أقبل مصادقة غير عوالم ، وما أمنع خير الذين هم خاصتي وبطوعي . أسلم شغلي بيد الذين جربتهم وهم حسب مرامي . أظهر ببعض الأنواع والأشكال للذين هم أمينين وتحت شوري . آخذ وأعطي ، أغني وأفقر ، أسعد وأشقي ، وذلك

حسب الظروف والأوقات وليس من يحق له أن يتداخل بشيء من تصرفي . أحل الأوجاع على الذين يضاددونني ما يمت الذي هو من حسبي ــ مثل الخارجين من بني آدم . ما أسمح لأحد بأن يسكن هذا الدنيا أكثر من الزمن المحدود مني وإذا شئت أرسلته مرة أخرى ثانياً وثالثاً إلى هذا العالم ، أو إلى غيره بتناسخ الأرواح .

الفصل الثالث

أرشد من غير كتاب . أهدي غيباً أحباي وأخواصي . جميع تعاليمي بلا كلوفة موافقة للحال والزمان . أقاصص الذين يخالفون شرايعي بعوالم الآخر بنوا هذا آدم ما يعرفون الأحوال المزمعة لذلك يقطعون أوقات كثيرة بغلط الحيوانات البر ، وطيور السماء ، وسمك البحر ، جميعهم بيدي تحت ضبطي ، جميع الخزائن والدفائن التي تحت الأرض عندي وأخلفها من واحد إلى واحد لمن أريده . أظهر معجزاتي وعجائبي للذين يقبلونها ويطلبونها مني في حينها والأجنبيين هم مخالفون ومضاددون لي ولا يبالون بذلك وهم ما يدرون هي ضرر عليهم لأن العظمة والثروة والغنى هي بيدي وأنا أختار من يليق لها من نسل آدم وتدابير العوالم وانقلاب الأجيال وتغير مديريتهم منظومة مني منذ القديم .

الفصل الرابع

حقوقي ما أعطيها لغيري من الآلهة . أربعة عناصر ، وأربعة أزمنة ، وأربعة أركان ، سمحت بها لأجل ضروريات المخلوقين . كتب الأجانب من اليهود ، والنصارى ، والإسلام اقبلوا منها ما يوافق ويطابق سنني ، وما يخالف منها فلا تقبلوه لأنهم غيروره . ثلاث أشياء هي ضدي وثلاث أشياء أبغضها ، الذين يحفظون أسراري ينالون مواعيدي ، والذين ينالون المصايب بسبب لا بد أن أكافيهم بأحد العوالم . جميع تابعي أريد أن يتحدوا برباط واحد لئلا يضاددهم الأجانب . يا أيها الذين تبعتم كل وصاياي وتعاليمي انكروا كل تعاليم وأقوال الأجانب التي لست أنا عملتها ، وليست هي من عندي . لا تذكرون اسمي ولا صفاتي لئلا تندمون لأنكم لستم تدرون ما يفعلون الأجانب .

الفصل الخامس

يا أيها الذين آمنوا أكرموا شخصي ، وصورتي ، لأنهم يذكرونكم بي احفظوا سنني وشرايعي . طيعوا واصغوا لخدام بما يلقنوكم من علم الغيب الذي هو من عندي . احتفظوا

بالعلم الذي يلقنوكم إياه ولا تجهروا به قدام الأجانب كاليهود والنصارى والإسلام وغيرهم لأنهم لا يدرون ما هو تعليمي ولا تعطوهم من كتبكم لئلا يغيروها عليكم وأنتم لا تعلمون . احفظوا أكثر الأشياء غيباً لئلا تتغير عليكم .

كتاب مصْحَفْ رَش

الفصل الأول

في البداية خلق اللّه الدرة البيضاء من سره العزيز[1] وخلق طيراً اسمه أنفر وجعل الدرة فوق ظهره وسكن عليها أربعين ألف سنة .

يوم الأحد : خلق ملاكاً اسمه عزازيل وهو طاووس ملك رئيس الجميع .

يوم الاثنين : خلق الملاك درداثيل وهو الشيخ حسن .

يوم الثلاثاء : خلق الملاك إسرافيل وهو الشيخ شمس الدين .

يوم الأربعاء : خلق الملاك ميخائيل وهو الشيخ أبو بكر .

يوم الخميس : خلق الملاك عزرائيل وهو الشيخ السجادين .

يوم الجمعة : خلق الملاك شمنائيل وهو الشيخ ناصر الدين .

يوم السبت : خلق الملاك نورائيل وهو بدين : وجعل رئيساً على الجميع طاووس ملك وبعدئذ خلق صورة السماوات السبع والشمس والقمر ، وخلق فخر الدين والإنس والحيوانات والطيور والوحوش ، ووضعهم في جيوب الخرقة ، وخرج من الدرة ومعه ملائكة فصاح على الدرة صيحة عظيمة انفصلت وأضحت أربع قطع ، وخرج الماء من بطنها وكون بحراً .

وكانت الدنيا مدورة تمام التدوير . ثم خلق جبرائيل بصورة الطير ، وأرسله جاعلاً له سلطاناً ليضع الزوايا الأربع في الأرض ، ثم خلق مركباً ونزل فيه راكباً ثلاثين ألف سنة ، وبعد ذلك جاء وسكن في جبل لالش وصرخ في الدنيا فجمد الحجر ، وصارت الأرض أرضاً وبقيت تهتز ، فعند ذلك أمر جبرائيل فأتى بقطعتين من الدرة البيضاء ، ووضع الواحدة تحت الأرض ، والأخرى في باب السماء ، وجعل فيهما الشمس والقمر . وخلق النجوم من القشرة البيضاء وعلقها في السماء زينة لها ، وخلق أشجاراً وأثماراً ونباتات وجبالاً لزينة الأرض وخلق عرشاً على عرض .

---

(١) في عرائس المجالس (ص : ٣) ما يشبه هذا عند كلامه في بدء خلق الأرض .

الفصل الثاني

وقال الرب العظيم : يا أيها الملائكة أنا أخلق آدم وحواء وأجعلهما بشر ويكون من سر آدم شهر بن جبر ومنه أيضاً تكون ملة على الأرض تسمى ملة عزازيل أعني طاووس ملك ، وهي الملة اليزيدية .

ثم أرسل الشيخ عادي بن مسافر من أرض الشام ، فأتى وسكن لالش ، ونزل الرب إلى أرض القدس ، وأمر جبرائيل فأتى بالتراب من أربع زوايا الأرض : تراباً وهواءً وناراً وماءً فخلقه إنساناً وجعل فيه روحاً بقدرته وسماه آدم . وأمر جبرائيل أن يدخل آدم إلى الفردوس ويأمره بأن يأكل من كل الشجر ما عدا الحنطة . وبقي آدم مائة سنة فقال طاووس ملك للّه : كيف يكثر آدم وأين نسله إن لم يأكل من الشجرة الحنطة قال له اللّه سلمت الأمر والتدبير بيدك فجاء طاووس ملك وقال لآدم : هل أكلت من الحنطة أجاب آدم كلا ، لأن اللّه قد نهاني .

قال طاووس ملك : كل من الحنطة فتغدوا أحسن ، ثم أكل آدم من الحنطة ، وللوقت انتفخت بطنه ، وأخرجه طاووس ملك من الفردوس ، وتركه وصعد إلى السماء ، فتضايق آدم من نفخ بطنه لأنه لم يكن له مخرج ، فأرسل له طاووس ملك طيراً فجاء الطير ونقر آدم ما بين رجليه ، فانفتح له مخرجاً فاستراح آدم ، وغاب عنه جبرائيل ، مائة سنة وكان آدم حزيناً كئيب الخاطر يبكي وينوح .

الفصل الثالث

وأمر اللّه جبرائيل أن يخلق حواء من تحت إبط آدم الأيسر ، وبعدما خلقت حواء وكل الحيوانات تخاصم آدم وحواء على التناسل البشري كل واحد منهما يقول لرفيقه مني يجب التناسل ، وذلك لما نظرا شركة الذكر والأنثى ما بين الحيوانات وبعد المباحثة بينهما على أن كل واحد منهما أن يلقي شهوته على جرة ، ويسد فمها بختمه ، ويصبر تسعة أشهر ، وبعدئذ تفتح ، ففعلا كذلك اثنانهما[1] ، وبعد تسعة أشهر فتح كل منهما جرته ، فوجد في جرة آدم صبيين ذكراً وأنثى ، ومن هؤلاء الاثنين تناسلت أمتنا اليزيدية .

ولما فتحت جرة حواء وجز فيها دوداً منتناً كريه الرائحة ، وجعل اللّه لآدم ثدياً وأرضع الولدين الخارجين من الجرة مدة سنتين ، ولذا صار للرجل ثدي . ومن بعد هذه الأشياء والأمور كلها عرف آدم حواء امرأته ، وولدت له ولدين توأمين ذكراً وأنثى ومنهما تناسل

---

(١) أي كلاهما .

الجنس البشري من اليهود والنصارى والإسلام ، وغير ذلك من الأمم . أما شيت ونوح هما بارين من أبوينا القدماء وتناسلا من آدم فقط .

ثم بعد ذلك وقع خصومة بين الرجل والمرأة فالرجل يقول إنك امرأتي والمرأة تقول : أنت لست برجلي ولا قريني ولا زوجي ، فحكم بينهما أحد أمتنا الأبرار ، وحكم عليهما بأن يكون بكل عرس طبل وزرناي شهادة على الزواج ، حتى إذا ما سمع الناس صوت الزرناي قالوا : إن فلاناً أخذ فلانة زوجة له ، ناموسياً أي حسب السنة والشريعة .

ثم نزل طاووس ملك على الأرض من أجل طائفتنا ، وأقام لنا ملوكاً ما عدا ملوك الأموريين القدماء ، وهذه الملوك هي نسروج وهو ناصر الدين ، وكاموش وهو الملك فخر الدين ، وأرطيمس وهو الملك شمس الدين ، وبعد ذلك قام فينا ملكان آخران وهما : شابور الأول والثاني ، ودام ملكهما مائة وخمسين سنة ، ومن نسلهما قام أمراؤنا حتى الآن . وبغضنا أربعة ملوك . وديانتنا كانت تسمى قبل مجيء المسيح إلى العالم وثنية وملوك أحساب هي منا ، كانوا يدعون باسم الإله الذي كانوا يسمونه ، أحاب بعلزوب ، والآن يسمى عندنا (بيربوب) وكان لنا ملك من بابل اسمه بختنصور ، والآخر في العجم أحشورش ، و في القسطنطينية آخر اسمه إغريقالوس .

وكل اليهود والنصارى والإسلام وغير ذلك من الطوائف حتى العجم أيضاً قاموا ضد ديانتنا ، ولكن لن يقدروا عليها ، ولا علينا قط لأن إلهنا يقوينا عليهم ، ويعلمنا العلم الأول والآخر من تعاليمه الإلهية ، إذ أنه قد كون السماء والأرض ، وكان هو موجود على الأبحار (كما كتبنا لكم سابقاً) .

فصنع له مركباً ، وكان يسبح في مكنونات الإبحار متنزهاً وحده ، فخلق درة وحكم عليها أربعين ألف سنة ، ومن ثم غضب على الدرة فرماها ، ويا للعجب العجائب إذ أنه من ضجيجها صارت الأجيال ، ومن عجينها تكونت التلال ، ومن دخانها السموات والقفار والسباريت مع السباسب . . . . الخ ، ثم صعد إلى السماء وثبتها بغير عواميد تسندها لئلا تقع على الأرض ، وأخذ قلماً في يده وبدأ يكتب كل الخليقة .

في البدء خلق ستة آلهة من ذاته ونوره ، وكانت خلقتهم تشبه خلقة إنسان إذا أوقد سراجاً من سراج آخر ، وقال لهم الله إني خلقت السماء فليصعد كل منكم وليخلق شيئاً . فصعد الأول وخلق الأرض ، وصعد الثاني وخلق الشمس والثالث القمر والرابع الفلك والخامس المصرفع (أي نجمة الصبح) والسادس الفردوس ، ثم جهنم وبعد ذلك خلق آدم وحواء وجميع الحيوانات كما كتبنا لكم سابقاً .

الفصل الرابع

واعلموا أن الطوفان الذي صار في وقت نوح ، فليس هو وحده ، ولكن صار طوفان آخر في هذا العالم . واعلموا أيضاً أن أمتنا اليزيدية تناسلت من نعمي لوجه الملك المكرم للسلام الذي يدعى عندنا ملك ميران وباقي الطوائف تناسلوا من حام الذي أهان أباه . أما سفينة نوح فقد قامت في قرية عين سفني التي تبعد عن الموصل خمسة فراسخ . وسبب الطوفان الأول هو استهزاء الجنس البشري الذي تناسل من آدم وحواء أي اليهود والنصارى والإسلام بإلهنا .

والطوفان الذي جاء على أمتنا اليزيدية أيضاً فلما تعالت المياه وطافت السفينة فوق المياه وقفت فوق جبل سنجار ، فصدمت بحجر فثقبت ، وعندئذ لفت الحية على بعضها وسدت الثقب ، فمضت السفينة وجلست على جبل جودي فمن كثر جنس الحية وكان يلدغ الناس والحيوانات فجمع ومسك وأحرق في النار ومن رماد جنسها تكونت البراغيث في العالم .

ومضى من الطوفان على العالم سبعة آلاف سنة وبكل ألف سنة إله واحد من الآلهة السبعة يصنع لنا آيات وعجائب ، ويسن لنا الشرائع ، ثم يصعد إلى مكانه ونزوله يكون في أراضينا ، لأن كل الأماكن المقدسة هي عندنا ، وفي هذا الزمان انحدر الإله عندنا أكثر من الماضي ، وثبت لنا الأولياء ، وكان يكلمنا باللسان الكردي ، أو من آدم حتى الآن جميع الوصايا والقوانين تقال لنا باللغة الكردية لقدمها .

ولنعد الآن إلى محمد نبي الإسماعيلين ، وكان عنده خادم اسمه معاوية فنظر اللّه إلى محمد فرآه أنه لا يسلك أمامه باستقامته ، فأوجع رأسه فقال محمد لمعاوية تعال احلق رأسي لتعاطي معاوية التزيين ، فأتى معاوية وحلق رأس محمد بخفة فجرحه ، وجرى منه دم كثير فلما رأى معاوية الدم لحسه بلسانه ، خوفاً لئلا يقع على الأرض ، فقال له محمد ماذا صنعت يا معاوية ؟ فأجاب إني لحسته بلساني خوفاً لئلا يقع على الأرض فقال محمد أخطأت بذلك فإنك تجذب وراءك أمة عظيمة وتتخاصم مع أمتي ، قال معاوية لا أتزوج ولا أقع في العالم قط .

ثم بعد زمان سلط اللّه على معاوية عقارب فلدغته ، ورشت سمها عليه ، فلما رآه الأطباء جزموا عليه بالزواج الذي هو علة شفائه ، وإلا يموت لا محالة ، فلدى سماع معاوية هذا الكلام رضي بالزواج فأتوه بامرأة عجوز يربي عمرها على الثمانين كي لا تحبل فلما عرفها معاوية أصبحت في الغد ابنة خمسة عشر سنة ، وذلك بقدرة الإله الأكبر ، فحبلت وولدت إلهنا المذكور الذي يسمى يزيداً .

الفصل الخامس

إن الأمم لا تعرف ذلك فتقول أن إلهنا نزل من السماء مطروداً محتقراً يجدفون عليه فقد غلطوا بذلك وضلوا ، أما عندنا نحن اليزيدية لا نقبل ذلك ، لأننا نعرفه وحدنا ، وهو واحد من السبعة الآلهة المذكورة آنفاً ، ونعرف صورته وشخصه وهي صورة الديك ، فلا يجوز لأحد منا أن يلفظ اسمه ، وما يشابه اسمه كالشيطان والقبطان وشروط وما شاكل ذلك ، ولا لفظة ملعون أو لعنة أو نعل بند وما أشبه فكلها حرام . علينا بلفظها احتراماً له .

وإذا جدف أحد عليه ، أو نطق بما شابه ذلك أمام يزيدي ، يجب على يزيدي أن يقتله أو يقتل نفسه .

ثم حرام علينا الخس لأنه على اسم نبينا (الخاسية) ويشبه ذلك السمك احتراماً ليونان النبي وكذا الغزال لأنه من غنم أحد أنبيائنا وشيوخه وتلامذته . وحرام علينا لحم الديك لأن عيني الديك تشبهان عيني (طاووس ملك) وكذا القرع . وحرام علينا البول وقوفاً ولا لبس الثياب والاستخلاء في مكان مخصوص كعادة البلاد . وحرام علينا أيضاً غسل الحمام ، ومن خالف هذه الأشياء كلها فقد كفر وعد منافقاً .

أما بقية الطوائف فلا تعرف هذه الأشياء كلها لأنها لا تعرف طاووس ملك ، ولا هو يعرفها ، ولا ينزل عند إحداها ، أما نحن معشر اليزيدية فأتى عندنا وسلم لنا الحقائق والآيات والقوانين ، فصارت كلها بالتناسل ، ووراثة من الوالد إلى ولده ، ثم صعد إلى السماء .

أما السناجق فإن واحداً من الآلهة السبعة صنعها ، و أعطاها إلى سليمان الحكيم ، وبعد موته تسلمها الملوك خلفاؤه إلى ملوكنا ، ويوم ولد إلهنا يزيد البريري أخذ السناجق لأمتنا بتبجيل عظيم ، وألف لها مديحتين ترتل أمامه باللسان الكردي المقبول والقديم ، ومعنى الترتيلتين : هلّلوا للإله الغيور .

وأمامه الطبول والدفوف والرباب ، وموضع إقامة السناجق هو عند أميرنا الجالس على كرسي يزيد . أما حين إرساله يجتمع القوالين عند الأمير والشيخ الكبير والعمومي عوض الشيخ نصر الدين (أي نسروخ إله الأثوريين القدماء) وتؤدون أجرة الافتقار ثم يرسلون الواحد إلى الكتاسين والثاني إلى حلب ، والثالث إلى بلاد المسقوف ، والرابع إلى جبل سنجار وهذه الأربعة السناجق تعطى لهؤلاء القوالين ضمانة .

يمضون بالآلهة إلى الشيخ عدي فيعمدون أناساً بالترتيل والتبجيل ورقص عظيم ، ويأخذ كل واحد من هؤلاء الضامنين حملاً من تراب الشيخ عادي ويعمله (بنادق) بقدر العفص . ثم يحمل كل منهم حمله سوية ويذهبون بالأحمال إلى السناجق ليعطوه بركة ، أو لما يقترب صاحب السنجق إلى مدينة وإلى قرية يرسل أمامه مناد ليستعد أهل القرية أو المدينة لقبول الآلهة بالإكرام والتهليل ، ويزمرون آية الفرح السابق ذكرها ، فيخرج الجميع إلى لقائه بثياب فاخرة مع العطور والبخور ، والنساء منهم يزمرن ويهلهلن ، فعندما يصل إلى تلك القرية ، يتسابق الناس إلى دفع العشر ليحل الآلهة في بيته ويقدم له عموم الناس الهدايا من الذهب والفضة كل حسب مقدرته .

أما السناجق الثلاثة الباقية من السبعة فبعد إخراج الأربعة المار ذكرها منها يحفظونها بمكان مقدس للشفاء ، اثنان منها يبقيان في الشيخ عادي ، والآخر في بحزاني (وهي قرية من قرى الموصل قليلة السكان فتعد نحو ألفين أو ثلاثة آلاف نسمة واسمها سرياني مشتق من (بيث حزناني)[1] وكل أربعة أشهر يطوفون بواحد منها بولاية الأمير ، وكل سنة يطاف بواحد منها بالترتيب مناوبة . وقبل إخراج السنجق (أي الصنم) يجب أن يغسل بماء الشيخ عادي ، أو بماء محمض بالسماق حتى يزول عنه صداه ، ثم يدهن بالزيت ليلمع ويوقد سراجاً عند كل صنم ، ويوضع بالقرب منه حجر كبير .

أما رأس السنة فهو شهر نيسان ويوم الأربعاء في الأسبوع الأول منه هي ليلة (السرصالي) أي رأس السنة فيحتم على كل بيت أن يكون عنده لحم فالأغنياء يذبحون غنماً أو ثيراناً ، والفقراء دجاجاً أو معزاً . . . الخ . ويكون ذلك في تلك الليلة وعندما يتبلج الصبح تأتي الملالي والشيوخ فيباركون الأطعمة ، وفي ذلك اليوم يجب فعل الصدقة على أنفس الموتى . أما الشابات والبنات فعليهن أن يجمعن من البراري والقفار الزهور والورود على اختلاف نوعها ، بشرط أن يكون اللون أحمر ويشددنها باقات ويحفظونها ثلاثة أيام ويضعنها في الأبواب معمودية للبيوت وفي اليوم الثاني تبان جميع البيوت مزينة بالسوس الأحمر ومن الزهور المختلفة الأشكال . أما النساء المتزوجات منهم يضعن أطعمة على القبور لعابري الطريق من الفقراء والمساكين . وعلى القوالين إذ ذاك أن يدوروا حول القبور بالدفوف والتراتيل الكردية ، ولهم الحق أن يأخذوا الدراهم في ذلك اليوم عوض العشور من الحنطة . . . . إلخ

---

(١) بيث حزناني : أي الرؤية والمشاهدة .

وفي اليوم المذكور أي السرصالي لا تدق آلات الطرب لأن الإله جالس على عرشه ، ويأمر بأن يجتمع إليه وعنده جميع العازفين والأقوياء والكفيلين والكفيلات ويقول لهم إني . . . مزمع أن أنزل على الأرض بالتبجيل والتسبيح ، وحينئذ يقوم جميعهم ويفرشون قدامه الملابس الفاخرة ، ويلقون قرع التعشير على الخلف ويختم بختم الإله والمهنئين الذي عنده ، ثم يعطى الإله الكبير ملكاً للإله الذي ينزل بعد الأول على الأرض ويسلم بيده سلطان الحل والربط وكل شيء حسب إرادته .

الفصل السابع

أما الصوم والصلاة فإن اللّه لا يشأ بهما لكن يريد الخير وفعل الصدقة وأن أحد هؤلاء الساجدين للأصنام أو للشيخ شمس وهو أحسن من الصوم . وعند صيام أحد الكواجك أربعين يوماً من الصيف أو الشتاء يجب أن يصنع له أحد العلمانيين وليمة ، وإذا قال أحد الكواجك هذه الصدقة سنجق فلان انحل صومه ، لأن (رجل السنة أي عشر تلك السنة) لما يرى الصدقات ناقصة يضربهم بضربات كالموت أو المرض إلخ . . . . .

وعندما يحدث ذلك ، يجب أن يعطى دراهم للكواجك ليقاتلوا الجنود الروحانيين ، ليردوا غضب رجل السنة عن الأمة . ويجب أن يقدم كل يوم جمعة حمل من الصدقات قرباناً للصنم ثم يعطى الخادم تنبيهاً على سطح الكوجك بصوت عالي (دعوة نبي) أعني وليمة فلان ، فمن ثم يجب على الجميع الانتصاب كل واحد يقبل الأرض والحجر المتكئ عليها .

ومن قوانينهم أن لا تعار الموسى على وجوههم ، وفي وقت الزواج يجب أن يعطى رغيف خبز من بيت الشيخ فيأكل العريس نصفه ، والعروس نصفه وهو نظير الناموس للزواج ، ويجوز أكل قليل من تراب الشيخ عادي المبارك عوض الخبز .

ومحروم عندهم الزواج في شهر نيسان ، لأنه رأس السنة ما عدا الكواجك فلهم الإذن بذلك . ولا إذن للعلمانيين التزوج ببنات الكواجك لكن كل يتزوج بمن يماثلة بالعظمة الدينية والمدنية ، ويجوز للأمير مضاجعة كل من يشتهيها ، أما العوام فمأذون لهم الزواج بابنة عشر سنين وما فوق ، حتى الثمانين مرة ، كل سنة حسب مراده ، وعندما يأتون بالعروس إلى بيت العريس يلزم أن تفتقد كل (شقص) أي قائمات الأصنام ، وتمر في طريقها حتى ولو مرت ببيعة النصارى فإنها تلزم بذلك . وعند وصولها إلى بيت العريس يجب عليه أن يضربها بحجر صغير لتكون خاضعة له وتحت سلطانه ، ثم يكسرون على رأسها رغيفاً من

الخبز ، لتضحى محبة للفقراء والمساكين ، وليلة الأربعاء يمنع العريس مضاجعتها . وكل ذلك يجب على كل يزيدي أن يحفظه ويصنع به ، وإن خالفه فقد كفر . وإذا خطف أحد امرأة رفيقه ، أو امرأته الأولى ، أو أخته ، فليس من الواجب عليه أن يدفع مهرها ، لأنها كسب يده . والبنات ليس لهن وراثة في بيوت آبائهن ، إنما البنت تباع كالحقل ، وإن أبت عن الزواج ، يجب عليها أن توفي عن مهرها أباه بالخدمة والتعب حتى تعتق .

صلواتهم

كان بعضهم إلى القرن العاشر للهجرة يصلون ويقيم بعضهم صلاة الجمعة ـ مع تطرف وانحراف عن المسلمين ـ وبعد هذا وضع لهم رؤساؤهم صلوات وأدعية في اللغة الكردية خاصة بهم ـ وهي لا تتفق مع ما كنوا عليه قبل انحرافهم عن الإسلام ـ وقد ترجم لنا هذه الصلوات الأستاذ محمد أنور المائي ، وهي تختلف بعض الاختلاف عما نشره اسماعيل جول بك في كتابه .

صلاة الصبح

بسم يزدان العظيم الرحيم الكريم

اللهم : بك صلاتي ، لعظمتك ، ولألوهيتك ، وتذكرة لواجب ربوبيتك

اللهم : أنت الكريم والرحيم ، وأنت الرب ، ومالك الملك

اللهم : أنت مالك البلدان والسماء . ومالك العرش الأعلى

اللهم : أنت القديم وأنت الأبدي ، وأنت مالك أرواحنا

اللهم : أنت رب الملائكة والجن والإنس ، وأنت ملك العرش والكرسي ، إنك منزه عن كل نقص ، لا صاحب ولا شريك لك ، واحد وتكون واحداً إلى الأبد ، ولا يوجد من ينازعك في الألوهية ، أنت تستحق المدح والثناء .

اللهم : خالق الكواكب النيرة ، إله الشمس والقمر . وخالق الأنهار والثلج بيدك الأخذ والعطاء .

يا رب : ليس لك مكان ، ولا تحتاج إلى المعونة ، وليس لك صوت ، ولا لون ، ولا جسم ، ولا يد ، ولا يعلم أحد بحقيقتك .

اللهم : إنك رازق الحوت ، ومعطي القوت ، أنت الحليم وملك الملكوت ، وأنت ملك الغني والفقير .

اللهم : كذلك كنت ، كذلك كنت ، كذلك كنت .

صلاة طلوع الشمس

بسم يزدان العلي العظيم الرحيم الكريم

اللهم : كنت ولم أكن ، إنك رحيم وإني مذنب ، أنت الحق ، وأنا العبد ، إنك قديم باق ، ليس لك قامة[1] وأنك الأعلى . ليس لك صوت ولكن تتكلم ، إنك موجود في كل الأمكنة ، إنك خالق العالم وحضرة آدم ، اخترت لوجودنا هذا المكان ، اللهم لا تقول مثلنا ، ولا تفعل فعلنا بل تفعل ما تريد .

اللهم : لك نصلي ، إنك تسلب الأرواح من الأجسام ، وتأخذ العقل من الرأس وقت النوم . لست قليل العطاء مثلنا ، تعلم السر وما أخفى ، اللهم أنت الإله وأنت الملك . وأنت أعلم العلماء وسلطان السلاطين . ليس لك نوم ولا أكل ولا صوت ، ليس لك بيت مخصوص . وأنت محجوب لا تدركك الأبصار . وأنت حاضر في جميع الأمكنة ، أنت صاحب الجود والعطايا ، ولا تتصف بالظلم ، تستحق المدح والثناء ، ولا يعلم أحد بكنهك أنت المميت والمحيي ، ملك الفقراء والأغنياء .

اللهم : إنك مالك العرش والكرسي . خالق النون والسمك

اللهم : بحق اسمك أصلح أحوال كردستان واليزيديين المشرفين والمقربين .

صلاة الميت

بسم يزدان العلي العظيم الرحيم الكريم

يا بني آدم : أيها المسكين الفقير . هذه الدنيا مخمر[2] الناس والحياة مثل الرؤيا ، والفلك مثل ظل الشجر ، يستظل به كل يوم أحد من الناس . أين سليمان الحكيم ؟ وأين بلقيس المشهورة ؟ الله يرحمهم ، ذهبوا من الدنيا . أين النبي سليمان ؟ أين بلقيس الجميلة ، تعيش أنت ، أصبح القبر مسكنهم ، أين الخضر بن إلياس ؟ أين الدراويش أصحاب السبحة والمتكآت ؟ . . تعيش أنت . . أصبح القبر قميصاً وكساءً لهم .

بني آدم : لا تطمع في الدنيا . ولا تصرف جميع همتك لجمع المال ويكفي حيث إن

---

(١) اي : جسم .

(٢) اي سكر .

الدنيا لم تصبح ملكاً لأحد حتى الأنبياء . فيلزم عليك ابن آدم أن تكون في الدنيا عابر سبيل . ولا تتكبر أبداً حيث أن التكبر يتأخر صاحبه . أين الأنبياء والأولياء ؟ . أصبحت أجسامهم تراباً ورماداً ، ما أضيق القبر وما أظلمه ، مملوءة بالحيات والحشرات .

اللهم إنك القادر أن تفرق المحب من الحبيب . تعالوا أيها الاخوان والأقارب . لنبكي على هذا الحال . ولنتفكر في هذا الميت الذي كان بالأمس مثلنا . يضحك ويتكلم والآن أصبح كالجماد لا يتحرك ولا يفهم ولا يشعر بشيء . سواء علينا أبكينا أم لم نبك لا يفيدنا البكاء . لا تبكوا ولا تتأوهوا لأن هذه الدنيا لم تبق لنبي ولا ولي .

صلاة السُّنة

بسم يزدان العلي العظيم الرحيم الكريم

آمين . آمين . آمين . اللّه معين الدين . اللهم أعط الخير وارفع البلايا .

اللهم أنت السلطان . وأنت خالق الشمس والقمر . ورازق الجن والإنس . وإله العالم المقدس . وخالق الجن والإنس .

إن شرف الدين يسمعنا . فبشروا كردستان . وانشروا دفاتر الإيمان . إذ الشيشمس هو يوم اليزيديين وشرف الدين هو أمير الديوان .

الملك شيليفان يجيء إلى كردستان . ويرمي المدافع إلى تركستان ويأخذ منهم عرش السلطنة وينقله إلى كردستان[1] .

---

(١) فنجد فيها ألفاظاً لم تكن معلومة زمن الشيخ حسن : يرمي المدافع إلى تركستان ، ويأخذ منهم عرش السلطنة وينقله إلى كردستان ، فهو يشير إلى العداء الذي يكنه اليزيدية للأتراك ــ الدولة العثمانية ــ الذين شنوا عليهم حملات عنيفة ورموهم بالمدافع .

عباداتهم وأعيادهم

وبعض عاداتهم

علمنا أن اليزيدية كانوا مسلمين ، وأن انحرافهم عن الإسلام كان بتأثير الشيخ حسن ومن جاء بعده ، لغرض دنيوي . والعقائد الإسلامية لم تزل ظاهرة في طقوسهم وأعيادهم الدينية ، حرفوها وغيروها عما كانت عليه ، وبقيت أصولها واضحة التأثير فيها .

والذي يدعو إلى العجب أن الذين بحثوا عن هذه الطائفة لم يرجعوا معتقداتهم وعاداتهم إلى أصولها ، كأن اليزيدية دين خاص ، وكأنهم لم يكونوا مسلمين .

فبحثوا عن صومهم وصلاتهم وحجهم وزكاتهم وختان الأطفال عندهم ، وتعدد الزوجات والطلاق . . . إلخ وجعلوها طقوساً خاصة باليزيدية ، مما وضعه رؤساؤهم الذي تولوا أمرهم ، والأمر واضح أنها عقائد إسلامية ، بل إن بعضها من أركان الدين الإسلامي أصوالها واضحة وتصرف رؤساؤهم في كيفية أدائها ، وهي تنطق بما كانت عليه ، وما أضيف إليها .

وعلى هذا فإن هذه العقائد هي إسلامية الأصل ، وحرفها رؤساؤهم وغيروا فيها .

كما أن بعضهم بحث عن أعياد اعتبرها لليزيدية ، وجعلها من أعيادهم الدينية ، وهي في الحقيقة أعياد محلية نجدها عند الأكراد ، وبعضها عند العرب ، وعند غيرهم من سكان شمال العراق .

فسرْصال : ليس خاص باليزيدية ، وإنما عيد قومي للأكراد ، يعيد به المسلمون وغير المسلمين منهم ، ويقومون فيه كما يقوم به اليزيدية فهو عيد محلي .

وخضر إلياس : هو عيد محلي يحتفل به في محافظتي نينوى ودهوك وغيره من مدن العراق ، يكون عند المسلمين والنصارى واليزيدية ، ويصنعون فيه نوعاً من الحلاوة تسمى (حلاوة الخضر) ويتخذون سويقاً من عدة حبوب تقلى وتطحن ، وهذا ما يفعله اليزيدية وغيرهم .

وإحياء ليلة ١٥ من شعبان ، وهي التي نسميها بالموصل (ليلة المحيا) هي من الليالي المباركة عند المسلمين ، يحييها الأتقياء والمتزهدون ، فيقضون الليل في الصلاة وقراءة القرآن والدعاء إلى صلاة الصبح .

ويجتمع اليزيدية في مرقد الشيخ محمد[١] في بعشيقة ، ويقرؤون (سورة الإخلاص) ألف مرة حتى شروق الشمس .

والطوافات ليست خاصة باليزيدية ، فهي من المهرجانات الربيعية التي يقيمها القرويون في شهر نيسان من كل سنة ، ففي بعض القرى يقيمون طوافة يشارك فيها أهل القرى المجاورة

---

(١) الشيخ محمد الراذاني (انظر منهل الأولياء : ٢ : ١٤٤ - ١٤٥) .

في الزينة والرقص والغناء . ومنها الطوافات التي تقام في قرى اليزيدية ، وأكبرها الطوافة التي تقام في قرية بعشيقة ، لأنها أكبر قرية في تلك المنطقة ، ويشارك اليزيدية فيها المسلمون والنصارى أيضاً ، كما يقيم الشبك طوافات في قراهم[1] .

فهذه احتفالات ربيعية يبتهج بها أهل القرى ويشارك بعضهم بعضاً .

ويوم الجمعة يوم عطلة عند المسلمين ويعطل اليزيدية كذلك .

ودعوة نبي : التي يقيمها اليزيدية نجدها عند الأكراد أيضاً ، فهي عادة اجتماعية محلية[2] .

---

(١) تقام طوافة بعشيقة في يوم الجمعة الذي يلي عيد رأس السنة عندهم - سري صال - ففي ليلة الجمعة المذكورة ، يجتمع اليزيدية حول الشيخ محمد الراذاني في بعشيقة ، ويتعبدون فيه وبعضهم يبقى إلى وقت الفجر . وفي يوم الجمعة يهرعون زرافات ووحداناً إلى الساحة التي أمام مرقد الشيخ محمد ، وهم في أجمل زينة رجالاً ونساءً وأطفالاً . ويقيمون دبكات شعبية مختلطة رجالاً ونساءً ، أمام السرادق الذي ينصب للمير ومن يحضر عنده ، فيقضون نهارهم في المرح والرقص والألعاب . ثم يعقب هذه الطوافة طوافات أخرى في قرى اليزيدية وغيرهم .

(٢) ودعوة نبي : ليست خاصة باليزيدية أيضاً ، فهي عادة اجتماعية عند سكان المنطقة ، تكون عند اليزيدية وعند الأكراد المسلمين .

ففي ليلة إحدى الجمع يعتلي أحد سدنة المزارات وينادي بأعلى صوته : إن غداً الجمعة ، ويكون الاجتماع عند المزار الفلاني .

ففي صباح يوم الجمعة يتوافد اليزيدية إلى المرقد حاملين معهم ما أعدوه من طعام ، وبعد أن يكمل جمعهم يتناولون الطعام معاً ، ويتداولون بينهم ما يعرض عليهم : إما لمساعدة الفقراء لإطعامهم ، أو لأمر يهمهم وبعد هذا ينفضون .

نجد هذا عند المسلمين في العمادية مثلاً ، فإن المسلمين يفعلون مثل هذا ، بأن يصعد أحدهم سطح جامع وينادي : إن غداً «دعوة نبي» في المحل الفلاني ، لنفس الأسباب التي ذكرناها . ونجد مثل هذا ما كان عند العرب في الجاهلية ، فإن أحدهم إذا أراد أن يعرض على قومه ما يهمهم ، نحر الجزور واعد الطعام ودعاهم لتناوله ، ثم يعرض عليهم ما بدا له .

ومن ذلك ما فعله عبدالله بن جدعان عندما جمع قريشاً في داره ، وعرض عليهم ما أدى إلى «حلف الفضول» الذي شهده الرسول ﷺ .

والكرافة : ليست خاصة باليزيدية[1] ، وكذا خطف البنات عند الزواج نجد هذا عند أكراد سنجار وغيرهم أيضاً .

ويختن اليزيديون أبناءهم ـ كما يفعل المسلمون ـ كما أنهم يغتسلون من الجنابة ـ وغير ذلك مما لم يزل واضحاً في عقائدهم الإسلامية وعاداتهم القومية .

١ ـ كلمة الشهادة

أول من أضاف إلى الشهادة التي ينطق بها المسلمون هو الشيخ حسن ، فأضاف اسمه بعد اسم النبي ﷺ فكانوا يتشاهدون بقولهم : لا إله إلا اللّه ، محمد رسول اللّه ، شيخ حسن شيء للّه .

وهذه الصيغة لا تخرجهم عن الإسلام فقد نجد مثلها عند المغالين من أتباع الطريقة القادرية ـ كما قدمنا[2] ثم نجدهم بعد هذا ينطقون بصيغة أخرى فيجعلون الشيخ عدي هو اللّه ـ كما تقدم في نفس الصحيفة ، وهو شرك باللّه كان من كثرة مغالاتهم في الشيخ عدي .

أما اليوم فلا نرى أثراً لكلمة الشهادة عندهم .

٢ ـ الصلاة

تقدم الكلام أن اليزيدية كانوا يصلون كما يصلي المسلمون ، وكان بعضهم يقيمون صلاة الجمعة إلى القرن الحادي عشر للهجرة . ثم بعد هذا أخذ رؤساؤهم يستغلون بساطتهم

---

(١) يتخذ اليزيدي (كريفاً) لابنه ، وهو الذي يجلسه في حضنه عند ختانه ، ويكون الكريف كوالد الطفل يدافع عنه ويقوم بكل ما يطلب منه .

ونجد بعض الأسر قد ربطت بينهما كرافة الدم ، فجعلت منها أسرة واحدة ، يكون أحدهما كأخ في الرضاعة للثاني : ينجده في الضيق ، ويعينه ، ويعينه في الشدائد ، ويكون أميناً على عرضه وماله ، وقد تستمر الكرافة بين أسرتين أجيالاً متعاقبة تعيشان كأسرة واحدة .

والكرافة ليست خاصة باليزيدية ، فقد يكون اليزيدي كريفاً لمسلم وبالعكس ، ويكونان إخوة في كل الأمور .

وتكون الكرافة عند الأكراد المسلمين من أهل سنجار ، وهي تقليد قومي عندهم ، ولربما سرى هذا منهم إلى اليزيدية .

(٢) ص : ٨١ ، ١٣٨ من كتابنا هذا .

فوضعوا لهم صلوات غير التي يقميها المسلمون . وذكروا لهم أن الشيخ عدي قد تحمل عنهم صلاتهم التي يصليها المسلمون ، ووضعوا لهم صلوات أضلوهم بها وأبعدوهم عن حظيرة الإسلام . وهذه الصلوات في اللغة الكردية ، وهي أدعية بغير حركات أو استعداد لها ، كما هو عند المسلمين وقد ذكرنا صلواتهم في كتابنا هذا[1] .

٣ ـ الزكاة

الزكاة من أركان الدين الإسلامي ونسبتها مقررة ، وطرق صرفها مذكورة في القرآن الكريم . واليزيدية كما علمنا هم مسلمون ـ قبل أن ينحرفوا عن الإسلام ـ وهم يتصدقون كثيراً ، وقد صرف رؤساؤهم صرف الزكاة عما هي في الإسلام وحصروها فيهم ، وقالوا لهم : إن الشيخ عدي رحمه اللّه كان زاهداً في الدنيا ، وطبع هذا في مريديه ، فزهدهم في الدنيا ، وصرفهم عن الاشتغال فيها ، فتركوا العمل وانقطعوا للعبادة . وأن اليزيدية هم الذين أخذوا الأرض وزرعوها ، وانتفعوا بخيراتها ، وعليهم أن يقدموا لرجال الدين نصيباً من حاصلاتهم لكي يتفرغوا للأمور الدينية ، وعلى هذا نجد اليزيدي يشتغل ويكدح ويقدم لرؤساء الدين ، ليرضوا عنه ويرضى عنه طاووس ملك ، فهو يقدم ثمرة أتعابه لمن هو جالس في ظلال الراحة ، فكلما كان رجل الدين ذكياً لسناً كانت الزكاة إليه أكثر من غيره .

وذكر الأستاذ الحسني في كتابه[2] ما يصيب كل طبقة من الزكاة نقلاً عن شاب بعشيقي أفاده بهذا . وأما الشيخ حسين بن الشيخ إبراهيم البحزاني فإنه ينكر هذه النسب ويقول : إن الزكاة عند اليزيدية تعتبر خيرات كما هي عند المسلمين ، ولا توجد نسب معينة للشيخ والبير والكوجك والفقير ، والشاب اليزيدي الذي أفاد الأستاذ الحسني ، لا يمكن الاعتماد على ما ذكره لأنه غير مطلع على الأمور الدينية .

٤ ـ الحج

وهو من أركان دينهم ، فهم يحجون كما يحج المسلمون في مكة المكرمة ، ولهم طواف وعرفات وزمزم وأضحية ، وكلها في جبل لالش الذي هو جبل عرفات عندهم ، يشرف على مرقد الشيخ عدي بن مسافر الهكاري . ولهم رتبة دينية يسمون صاحبها (مير حاج) وهو أمير

---

(١) ص ١٥٧ - ١٦٠ .

(٢) اليزيدية : ٩٢ - ٩٣ .

الحج ، كما عند المسلمين ، وهذا مما وضعه لهم رؤساؤهم ، واتخذوا لهم مواقف في جبل لالش ، كما في مكة المكرمة ومما لفقوه لهم : أن جبل لالش كمكة في الأهمية والمنزلة المقدسة ، وأن الناس منذ زمن الشيخ عدي كانوا يقصدون هذا المكان للانتفاع بإرشاد وتوجيه الشيخ عدي ، ويذكرون اللّه تعالى فيه ، فهو في الحرمة كمكة المكرمة ، فلا داعي للسفر إليها بل يحجون في جبل لالش وهو قبلتهم .

كان هذا بعد أن لاقوا اضطهاداً من الحكومات المتتابعة الذين اعتبروهم خارجين عن الإسلام ، وحاولو إرجاعهم إلى حضيرة المسلمين كما تقدم ، فاعتزلوا المسلمين ، واتخذوا لهم حجاً في «جبل لالش» .

وكيفية الحج : يقصدون جبل لالش يوم التروية[1] ، ويطوف رؤساؤهم الروحانيون في فناء رباط الشيخ عدي ، ثم يصعد اليزيدية ليلة العيد فوق جبل عرفات ـ جبل لالش ـ ويصعد في أعلى الجبل جاويش ، حاملاً طبقاً فيه خبز رقاق ، فينشره حواليه ويتهافت اليزيدية على قطعه ، ومن أخذ قطعة أسرع إلى عين زمزم ليشرب من مائها مع قطعة خبز الرقاق ، وأول من يصل العين ، يخطف علامة تكون على رأس البير الذي يكون واقفاً قرب العين علامة على فوزه بقصب السق . ثم في صباح اليوم التالي[2] يضحون الأضاحي ويعيدون (عيد القربان) عيد الأضحية ، ويقولون ـ كما يقول المسلمون ـ إن إبراهيم الخليل فدى ابنه إسماعيل بكبش وضحاه في هذا اليوم ، وتمثال هذا الكبش محفوظ عندهم في خزينة الرحمن .

وأما الطواف في فناء الشيخ عدي ، فإنه مقتصر على طواف رؤساء الدين فقط ، ذلك لأن الفناء صغير لا يتسع لكافة الحجاج اليزيدية .

ويكون طواف رؤساء الدين على الترتيب التالي :

١ ـ فقير يرتدي ثياب الشيخ عدي ، وهي ـ على ما يدعون ـ محفوظة عندهم في خزينة الرحمن .

٢ ـ بيش إمام ـ رئيس الائمة .

٣ ـ بيش إمام بابا شيخ ـ رئيس أئمة أسرة بابا شيخ .

٤ ـ بابا شيخ .

---

(١) ٨ ذو الحجة

(٢) يوم النحر عند المسلمين (١٠ : ذو الحجة)

٥ ــ الأمير (المير)

ينشد القوالون الأناشيد ويعملون سماعاً بالدفوف والمزامير ويدورون ثلاث دورات حول الفناء فيكون هذا ليلاً ، ثم يصعدون جبل عرفات (لالش) ــ كما تقدم .

٥ ــ الصوم

لليزيدية صومان :

صوم العامة : ويسمونه (صوم يزيد) وهو ثلاثة أيام يكون في أيام الثلاثاء والأربعاء والخميس التي تكون في أول شهر كانون الأول ــ بالحساب الشرقي ــ [١] فيمتنع اليزيدي عن الأكل والشرب والدخان ، من طلوع الفجر إلى وقت الغروب .

وهم يعتقدون أن الصوم الذي فرض عليهم ثلاثة أيام ــ سي روز ــ . كما جاء في كتابهم المقدس (مصحف رش) ولكن الأمر التبس على المسلمين فظنوه (سه روز) ــ أي ثلاثين يوماً ــ ومع هذا فهم يعتقدون أيضاً : أن الشيخ عدي تحمل عنهم الصلاة والصوم . جاء في كتابهم مصحف رش : أن الصوم والصلاة فإن الله لا يشأ بهما[٢] . لكن يريد الخير وفعل الصدقة .

وهم بهذا كبعض الفرق الباطنية المغالية في حب الإمام علي ﷺ الذين يقولون إن الصلاة والصوم أفعال ظاهرة ، والأصل تصفية القلب وفعل الخير ، وأن الله تعالى لا يحاسب العبد ما كان عمره دون الأربعين سنة ، فإذا ما صدر منه ما لا يرضي الله ، فإن أعماله الحسنة التي يعملها تغفر له السيئات .

ويعيد اليزيدية في يوم الجمعة التي تلي أيام صومهم ، ويسمونه (عيد صوم يزيد) ويعتقدون أن يزيد بن معاوية ولد في هذا اليوم فيقيمون الأفراح ، ويتبادلون التهاني ، ويشتبكون في الرقص والدبكات ، ويدمنون شرب الخمر .

أما صوم الخاصة منهم : فيكون أربعين يوماً في الشتاء ــ أيام مربعانية الشتاء ــ تبدأ في اليوم العشرين من شهر كانون الثاني ــ بالحساب الشرقي ــ ويصومون أيضاً أربعين يوماً في الصيف ــ أيام مربعانية الصيف ــ وتبدأ في اليوم العشرين من شهر تموز بالحساب الشرقي .

---

(١) وهي أقصر أيام السنة .

(٢) تعبير عامي أي (لا يشاء بهما) أي لا يعبأ بهما .

يصوم هذا الرؤساء الروحانيون فقط ، فيذهبون إلى مقام الشيخ عدي بن مسافر ، ويصومون ثلاثة أيام منها ــ كما يصوم المسلمون ــ ثم يعودون إلى قراهم ، وإذا نوى الصوم أحدهم وأصبح صائماً ، وقدم له أحد أتباعه طعاماً ، فإنه لا يجوز له رده بل يفطر ويأكله ، وهكذا في المربعانية يصبح صائماً . ويظل مفطراً في النهار .

وهم يقولون : إن اللّه تعالى لم يرض بالصوم والصلاة ــ كما يفعل اليهود والمسيحيون والمسلمون ــ ولكنه يفضل الأعمال الصالحة وفعل الخير ، فإذا ما صام أحد الكواجك في مربعانيتي الشتاء والصيف ، وقدم له أحدهم طعاماً ، وقال له : خذ هذه صدقة سجاد الدين ، أو الشيخ شمس ، فإنه يفطر عليه ، وينقضي صوم ذلك اليوم .

ما يحرم عندهم

عند اليزيدية بعض المحرمات ، منها آداب عامة في الديانة الإسلامية ، ومنها مما وضعه رؤساؤهم في القرون المتأخرة ، نجدها في كتابيهم مصحف رش والجلوة ، وفي العريضة التي رفعها اليزيدية إلى الدولة العثمانية سنة ١٢٨٩ ومن ذلك :

١ ــ لا يجوز لليزيدي أن يبول قائماً ، وهذا من الآداب الإسلامية ، خشية أن يصيب ثيابه رذاذ من البول فتتنجس .

٢ ــ لا يجوز لليزيدي أن يبصق على الأرض ، ولا في وجه إنسان أو أي مخلوق وهذا من الآداب الإسلامية التي نهاهم عنها الشيخ عدي بن مسافر ، وأن رؤساءهم أعلموهم بعد هذا : أن سبب التحريم هو أن البصاق يشير إلى إهانة طاووس ملك ــ الشيطان ــ الذي يبغضه غير اليزيدية .

٣ ــ يأثم اليزيدي إذا مد رجله أمام جليسه ، بل عليه أن يجلس متربعاً على الأرض ، وهذا أيضاً من آداب الجلوس في الإسلام .

٤ ــ يتجنب اليزيدي السب والشتم وكل الألفاظ البذيئة ، فإن نطق ببعضها فقد كفر[١] .

٥ ــ يحرم على اليزيدي أن يتلفظ كل لفظ يشبه : اللعن ، الشيطان . ونحن نعلم أن اللعن منهي عنه في الإسلام . ومن آداب الصوفية تجنب اللعن لكل مخلوق ــ وقد تقدم الكلام عن هذا ــ ولكن اليزيدية حرموا اللعن ، خشية من لعن الشيطان ، فلا يلفظونه ، ويغضبون إذا سمعوا شخصاً يلفظ مثل هذا اللفظ : شط ، شخاط ، نعل ، فعليند ،

(١) وهي آداب إسلامية ولكنها لا تؤدي بصاحبها إلى الكفر .



شيخ إبراهيم الشيخ الوزير وعن يمينه كوجك صادق



بابا شيخ الدي خلفه بابا شيخ حجي



علي بك بن حسين بك بن علي بك «أبو الكلبي» أمير اليزيدية
«عن إمارة بهدينان»



أمير اليزيدية السابق وهو حسين بن علي بك «أبو الكلبي»
«عن إمارة بهدينان»

فيقولون بدلاً منها : الماي الكبير ، كبريت ، حذاء ، صولبند .

٦ ـ يحرم على اليزيدي أن يدخل مسجداً ، أو يشاهد مسلماً يصلي ، أو ينصب لتلاوة القرآن الكريم ، وإذا سمع المعوذة من مسلم ، فإنه يشمئز ويقول (ول ول ول . . . . الخ أي يولول) .

٧ ـ وحرام على اليزيدي تعلم القراءة والكتابة لكي يعزلوهم عن غيرهم ، يتخبطون في ظلمات الجهل ، ويكون رؤساؤهم ملجأهم الوحيد في أمور الدين والدنيا ، يسمعون لهم ويطيعونهم ، وعلى هذا فلا يجوز لهم الاطلاع على الدين الإسلامي أو غيره . وإذا شتمت امرأة زوجها وأرادت أن تغضبه قالت له : أتوقع أن أراك تؤذن فوق منابر جوامع المسلمين في الموصل .

٨ ـ وحرموا عليهم الثياب الزرق لأن الأزرق قريب من اللون الأسود ـ شعار العباسيين ـ فهم يرتدون الثياب البيض ـ شعار الأمويين ـ وعلى هذا إذا أراد يزيدي أن يغيظ زوجته دعا عليها : أن تلبس الثياب الزرق وتسير في شوارع المسلمين في الموصل .

٩ ـ وحرموا عليهم أكل الخس وما يشابهه من النباتات : كاللهانة والقرنبيط وغير ذلك . والذي نراه : أن الشيخ عدي ـ رحمه اللّه ـ أو غيره من مشائخ العدويين ـ كان لا يرغب بأكل الخس لأنه يسمد بالسرجين ـ روث الحيوانات ـ وأن أتباعه تجنبوا أكله احتراماً لشيخهم ، ثم أدى الأمر بهم أن ـ يحرمه رؤساؤهم ويقولون عن سبب تحريمه : أن لفظ الخس يشبه لفظ (الخاسين) ـ أي الخاسئين ـ ويعنون بهذا طاووس ملك أي الشيطان .

وأذكر أنني كنت يوماً ما في بعشيقة ، فاعتدى طفل على طفلة وضربها ، فأخذت تبكي ، ولما بعد عنها الطفل اندفعت تشتمه بقولها : خس على ميتينك في جمعة الطوافي . وكررت هذا ، وكان يسير معي معلم يزيدي فقال لها : يكفي ، يكفي ، لقد ذبحتينو ـ أي قتلته بهذا الشتم الكبير .

١٠ ـ ويحرم عليهم أكل لحم الخنزير ، وهو من المحرمات في الإسلام ، وحرموا عليهم أكل السمك . لأن الحوت أنجت النبي يونس عليه السلام ، وأنقذته من الغرق ، وحرموا عليهم أكل القرع ـ اليقطين ـ لأن شجرته أظلت النبي يونس بعدما قذفه الحوت .

وحرموا عليهم أكل لحم الغزال ولحم الديك : لأن عيون الغزال تشبه عيون الشيخ عدي . أما الديك فانه يرمز إلى إلههم طاووس ملك .

١١ ـ يحرم على اليزيدي أن يحلق شاربيه ، وأما رجال الدين فيحرم عليهم حلق لحاهم

وشواربهم ، وهذا مما يسن في الإسلام وغيره من الأديان السماوية .

١٢ ـ يحرم على اليزيدي أن يتغيب عن زوجته أكثر من سنة . وأن الفاروق رضي الله عنه كان لا يسمح للجندي أن يتغيب عن زوجته أكثر من ستة أشهر[١] .

١٣ ـ يحرم على اليزيدي أن يدخل حماماً أو مرحاضاً ، لأنها كما يقول المسلمون مواطن الشيطان التي يهان بها .

١٤ ـ لا يسمح لليزيدي ارتياد مجالس الأنس والطرب ، وهذا من آداب الاسلام ، وقد غالى فيه المتصوفة ، وسرى إليهم من تعاليم الشيخ عدي رحمه اللّه .

١٥ ـ يعتقد اليزيدية أن الملائكة تتزاوج في شهر نيسان ، وهو شهر فرح ومتعة ، فلا يجوز لليزيدي أن يتزوج فيه أو يبني داراً ، ويتشاءمون ممن يقدم على مثل هذا في شهر نيسان .

على أننا لو أحصينا المحرمات عند اليزيدية لأدى الأمر إلى بحث طويل ، فمحرماتهم تزداد على مر السنين ، وأماكنهم المقدسة تكثر على مر الأيام .

فقد اتخذوا لهم عدة محلات مقدسة في بعشيقة مثلاً ، لم تكن موجودة قبل بضع سنوات : فهذه شجرة مقدسة ، وتلك صخرة تزار ، وهذا موقع يتبارك فيه ، لأن أحد الكواجك أوحي إليه بهذا . وعلى هذا نجد القباب والأماكن المقدسة كثيرة في القرى التي يقطنونها . خاصة في بعشيقة وبحزاني وعين سفني وجبل لالش ـ جبل الشيخ عدي ـ فنشاهد فيه عشرات القباب لأولياء المسلمين ومشائخهم يحترمها اليزيدية ويتباركون بزيارتها ، ويقدمون الهدايا لسدنتها .

عيد الجماعية

وهو من أعظم أعياد اليزيدية ، يجتمعون في وادي لالش ، حول قبر الشيخ عدي بن مسافر ، ومدته من اليوم ٢٣ من شهر أيلول الشرقي ـ ٦ تشرين الأول بالحساب الغربي ـ

---

(١) وهو مما أمر به عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه فإنه مر ليلاً بامرأة ـ وكان زوجها غازياً ـ وهي تقول :

تطاول هذا الليل واخضر جانبه   وارقني إذ لا خليل ألاعبه

فواللّه لولا اللّه لا شيء مثله   لحرك من هذا السرير جوانبه

فسأل عمر ابنته حفصة ـ أم المؤمنين ـ : كم تحتاج المرأة إلى زوجها . قالت : ستة أشهر ، فكان لا يغزي جيشاً له أكثر من ستة أشهر (عمر بن الخطاب : ٨٢)

إلى ٣٠ منه ، ١٣ تشرين الأول الغربي .

على اليزيدي الذي يتوجه إلى الوادي ، أن يترجل من دابته ، إذا وصل (خان يزيد) وهو محل في مدخل الوادي ، فيخلعون أحذيتهم ، ويمشون حفاة متوجهين إلى المرقد ، فإذا وصلوا (السراط) ـ وهو جسر صغير يبعد عن المرقد قرابة كيلو متر واحد ـ فإنهم يغتسلون بالماء الذي يجري في وادي لالش ، ويتطهرون من أدران السفر ، ويدعون ما شاؤوا ، ثم يستأنفون مسيرهم ، ويحل كل منهم في المحل الذي أعده له شيخه وبيره .

وجبل لالش وما يحف به محرم عندهم ـ كحرمة مكة المكرمة ـ فلا يقطعون شجراً ، ولا يصطادون طيراً أو وحشاً ، ولا يؤذون أحداً مهما كانت العداوة بينهما ، وينصرفون إلى المراسيم التي يؤدونها ، وهم لا يعدون لهم طعاماً ، فهم في ضيافة الشيخ عدي ، وكل جماعة تأكل من سماط يعده لهم بيرهم وشيخهم ، وعلى هذا يحرم عليهم الطبخ في هذا المكان ، ولا يكون معهم من الزاد سوى الخبز والبصل .

يقضون أوقاتهم في زيارة الشيخ عدي بن مسافر وزيارة قبر رؤسائهم من الشيوخ الذين اتخذوا لهم أضرحة عديدة في جبل لالش ، وعلى كل زائر أن يقبل الضريح ، ويقدم لسادنه النقود ، ومن لم يفعل هذا لا تقبل زيارته ، وعليه أن يحذر من أن يطأ عتبة المرقد ، بل يتخطاها ـ يتجاوزها ، ـ لأن وطأها خطأ كبير يجب الابتعاد عنه .

كما يقضون أكثر أوقاتهم في النزهة بهذا الوادي الجميل ، ويختلط الرجال والنساء ، ويسود العفاف والطهر ، فلا نزاع ولا خصام ، بل هم جميعاً يستمعون إلى أنغام المعازف ، ونقر الدفوف ، وقرع الطبول ، ويشتركون بدبكات مختلطة ، وقد تزين الجميع بأجمل ما عندهم من ثياب وحلي .

يلتقي الشباب بالفتيات الجميلات . وقد يحدث الخطف فيه ، وذلك بأن يتقدم الشاب إلى من يحبها ويرغب بالزواج منها ، فيصطحبها إلى مكان ما ، ويعرض على أهلها : أنه في حمى الشيخ عدي ، وأنه يرغب بالزواج من ابنتهم ، كما ترغب هي بذلك ، فيفرح الطرفان ويتفاءلون خيراً ، لأن الزواج كان عن تراض وفي حمى الشيخ عدي ، فيتم الزواج بين كثير من الشابات والشباب بهذا اللقاء المقدس عندهم .

وفي اليوم الأخير من العيد ، يخرجون (تخت يزيد) ويتزايد الرؤساء في نصبه ، وهو عندهم فخر دونه كل فخر ، وهذا التخت ـ كما قدمنا ـ مما وضعه الشيخ حسن ، يذكرهم بأن الأمر سيعود إليهم ، ويجلس رئيسهم على تخت يزيد .

وفي أيام هذا العيد يخرج الكواجك إلى جبل عرفات ـ جبل لالش ـ كل يوم مرتين

ويحتطبون ، ويحملونه على ظهورهم إلى مطبخ الشيخ عدي .

وخلال دبكاتهم ومرحهم ، يخرج أحد السدنة «الستر» الذي يكون فوق قبر المرقد ، الذي يتولى سدانته ، ويسمونه (السدر) ، ويعرضه أمام المشاهدين ، فيقبل اليزيدية بالمزايدة على أن يوضع فوق رأس أحد أولادهم للبركة وطلب السعادة له ، فيجاء بمن وضع على رأسه إلى المرقد ، وخلفه (القوّال) ينادي باسم الولي صاحب الستر ، فيتهافت الناس على تقبيله ، وحول الستر عدة أشخاص يمنعون الناس من التقرب إليه ـ بعنف وشدة ـ ويعاد الستر إلى المرقد ، ثم يخرجون ستراً غيره وهكذا .

ويذبح اليزيدية في اليوم السادس من هذا العيد ثوراً أبيض جميلاً ، يربطونه في مرقد الشيخ عدي مدة أربعين يوماً ـ وتجرى المراسيم التالية عند ذبحه ، وقد شاهدت هذا بنفسي في يوم ١١ تشرين الأول سنة ١٩٥٥م .

ففي حوالي الساعة الحادية عشرة صباحاً ، نزل أمير الشيخان إلى الساحة التي أمام رباط الشيخ عدي ، وهم يسمونها (ميدان الجهاد) وكان ينتعل حذاءً من صوف .

وبعد دقائق جاءت فتيات جميلات من قبيلة القائدية ، وقد أخذن زينتهن ، وهن يصفقن ويغنين ، ووقفن في الساحة ، وبعد هذا تقدم ما يقارب من خمسين رجلاً يحملون بنادقهم ، وهم من القائدية والترك ـ قبيلتان من اليزيدية ـ فأعلمهم الأمير : أن الثور قد فر إلى جبل عرفات ـ جبل لالش ، ـ ، فأسرعوا إلى الجبل ، وانتشروا في شعابه ، وبعد مدة سمعنا عدة طلقات من بنادقهم إعلاماً منهم أنهم لم يعثروا على الثور في الجبل .

ثم رجعوا إلى أمير الشيخان الذي كان ينتظرهم في ميدان الجهاد ، وخلفهم نساء من القائديات يصفقن ويغنين ، ووقف الرجال صفين في الساحة ، والأمير في وسطها ، فأشار إليهم أن يستعدوا للرمي . فاستعدوا ، وأشار إليهم ثانية فأطلقوا كلهم من بنادقهم في آن واحد طلقة واحدة ، وبعد لحظات أشار إليهم ثانية ، فأطلقوا طلقة أخرى ، وبعد لحظات أطلقوا طلقة ثالثة بعد إشارة الأمير أيضاً ، وثبت الرجال كلهم حول الساحة في أماكنهم ، ثم خرجت امرأة من رباط الشيخ عدي تحمل إناءً نحاسياً فيه نار يحترق فوقها بخور ، ودارت حول ميدان الجهاد ، ثم عادت إلى الرباط ، ثم جاء القائدية إلى الميدان يسوقون الثور أمامهم ، وخلفهم فتيات يغنين ، وأدخلوا الثور في مرقد الشيخ عدي .

ثم تجتمع القبائل حول ميدان الجهاد ، ليعلموا ما تم من أمر الثور ، ثم دخل القائدية الرباط ـ وهم الذين أطلقوا الطلقات من بنادقهم ـ وخرجوا من الرباط يسوقون الثور ، ويحفون به من أربع جهاته ، وبعضهم يحمل عصياً كبيرة ـ وخلفهم نساء من القائدية ـ

ويوسعون الثور ضرباً مبرحاً بالعصي حتى مقام الشيخ حسن ، ويكون خلفهم (قوال) يعزف بالناي ، ويذبح الثور قرب مرقد الشيخ حسن ، ويشرف على ذبحه وطبخه وتوزيع لحمه ، سادن قبر الشيخ حسن .

ثم يعود رئيس القائدية ــ القبيلة التي تولت رعاية الثور والمحافظة عليه إلى أن يذبح ــ إلى الأمير ، وقد لبس الخلعة التي أنعم بها عليه الأمير ــ وهي زبن ثمين ــ وعلى رأس كل واحد من أتباعه قطعة قماش بيضاء ، وهم فرحرن مستبشرون ، وخلفهم فتيات قائديات متزينات يغنين ويصفقن ، ويدخلون بناية مرقد الشيخ عدي .

ثم يترك الأمير ميدان الجهاد ، ويجلس مع المدعوين .

أما القائدية فإنهم بعد أن زاروا رباط الشيخ عدي ، خرجوا إلى جبل عرفات هم وقبيلة الترك ، وخلفهم يكون اليزيدية ، ويتناولون قطع خبز رقاق منثورة فوق الجبل ، وهي من سماط الشيخ عدي ، ثم يعودون إلى عين زمزم ، ويتسابقون بالشرب من مائها والتبرك بها .

أما لحم الثور ؛ فيطبخ في قدر كبير أمام مرقد الشيخ حسن ، ويتهافت اليزيدية في الحصول على قطعة من لحمه ، ويذود عن القدر رجال أشداء بأيديهم عصي متينة ، ينهالون بالضرب الموجع على كل من تسول له نفسه أن يختطف من اللحم ، وبعضهم يدفع بنفسه إلى القدر تحت الضرب الشديد ، ويدخل يده في القدر ــ وهو يغلي ــ ويخرج قطعة لحم يتبارك بأكلها . ثم يبيع السادن لحم الثور قطعاً صغيرة فيأخذها اليزيدية للتبرك والاستشفاء بها .

أما رأس الثور فتجرى عليه مزايدة ، فمن حصل عليه فاز بالبركة والسعادة ، وهو يتحف أهله وأصدقاءه بقطع صغيرة منه ، وهكذا ينتهي أمر هذا الثور .

لماذا يذبح هذا الثور ؟ ومن سن هذه السنة ؟ وما الذي يرمز إليه ذبحه ؟ هذه أسئلة كنت قد ألقيتها على الكثير من اليزيدية ، فلم أحظ بجواب شاف منهم ، ومع أني اتصلت بالكثير منهم فيهم الكواجك والقوالون والفقراء والمثقفون ولم أحض منهم بجواب متفق عليه .

أعلمني بعضهم : أن سبب هذا كان قد حدث نزاع بين عشيرتي (دنبلي وموسيان) : أن شخصين منهما تنازعا على ثور أدى إلى تدخل العشيرتين ، وتفاقم الأمر بينهما ، مما أدى إلى سفك الدماء ، وأن أحد العقلاء اشترى الثور المتنازع عليه وذبحه ، وأولم للقبيلتين المذكورتين وصالحهما ، فذبح الثور يذكرهماواليزيدية بالوفاق التام .

وأعلمني غيرهم : أن سبب هذا ، لما توفي الشيخ عدي جاءت القبائل للتعزية ، فكان

بعض القبائل يظهرون قوتهم ، فاستاءت من هذا غيرهم من القبائل ، وقابلوهم بالقوة ، ولكن الشيخ حسن تدارك الأمر فجمعهم وذبح لهم ثوراً وصالحهم وأزال ما حدث بينهم .

وهذا غير صحيح ، فالشيخ حسن لم يكن موجوداً يوم توفي الشيخ عدي ، وهو مما وضعه رؤساؤهم فيما بعد .

وأعلمني آخرون : كان الشيخ حسن قد زعل مع أصحابه في جبل لالش ، وسافر إلى بلاد فارس ، وأن اليزيدية ذهبوا إليه وصالحوه ، ولما عاد إلى لالش ابتهج أصحابه بقدومه ، وذبحوا ثوراً أبيض في وليمة أقاموها له ، فرضي عنهم وأقام عندهم ، وهكذا صاروا يعيدون ذبح ثور كل سنة عند قبره ، يذكرهم هذا بعودة شيخهم ورضاه عنهم ـ وهذا أيضاً ما وضعوه عن الشيخ حسن ـ فإنه لم يزعل من لالش ، ولم يذهب إلى بلاد فارس ، بل إنه اتخذ له تكية في الموصل ـ كما قدمنا ـ وكان أتباعه يفادونه بأنفسهم وأموالهم ، عاكفون على طاعته وتلبية أوامره .

والذي نراه : أنه في إحدى زيارات الشيخ حسن إلى لالش ، وابتهاج أتباعه بقدومه ، فإنهم تنافسوا في الحصول على شرف دعوته ـ وربما حدث بينهم ما حدث ، وأن الشيخ حسن ـ دفعاً للفتنة ـ ذبح ثوراً من أثوار القائدية ـ أبناء قائد خادم الشيخ عدي وهم يقيمون في لالش ، وأولم لهم جميعاً فأرضاهم وجمعهم ، ثم أنهم اتخذوا هذا سنة عندهم ، فصاروا يذبحون ثوراً عند قبره كل سنة .

وبعد الانتهاء من كل ما قدمنا ، يكون طواف الوداع في رباط الشيخ عدي على النحو التالي :

١ ـ يرتدي رئيس خدم الشيخ عدي ثياباً ، يدعون بأنها كانت ثياب عدي ـ وهي محفوظة في خزينة الرحمن في باعذرة ـ ويسير أمام الجميع .

٢ ـ يسير خلفه (بيش إمام) أي رئيس الأئمة .

٣ ـ يلي هذا بيش إمام بابا شيخ وهو رئيس أئمة بابا شيخ وأسرته .

٤ ـ يلي هذا بابا شيخ .

٥ ـ ثم يسير بيش إمام مير الشيخان (أمير اليزيدية) .

٦ ـ ثم يليه الأمير ـ مير الشيخان ـ مرتدياً حلة كانت للشيخ عدي ، على ما يقولون .

٧ ـ ثم يليه بيش إمام اليزيدية كافة ، ويسير خلفه القوالون وهم يرتلون مدائح دينية ، وينقرون على الدفوف ويزمرون بالمواصيل . ويدور الجميع سبع دورات حول الفناء . ويتواجد الكواجك ، ويهذون بكلمات مبهمة يفسرها بعضهم بما يحب ويرغب .

أما اليزيدية فلا يطوفون هذا الطواف ، فهو خاص برؤسائهم ــ كما قدمنا ــ وبذا يكون قد انتهى عيد الجماعية ، فيعود كل منهم إلى قريته .

والذي نراه أن هذا الاجتماع مما وضعه الشيخ حسن ــ مؤسس الدعوة ــ كان يجتمع بأتباعه كل سنة في مرقد الشيخ عدي ، مؤسس الطريقة وإمامهم ، فتتوافد عليه القبائل بشبابها وشيبها ، مظهرين قوتهم أمام الشيخ حسن في (ميدان الجهاد) كما يتصل ــ بواسطة أخيه فخر الدين ــ بدعاته وأنصاره المقربين ، ويطلع على سير الدعوة ، ويوجههم إلى الطرق التي يتبعونها ، وعلى هذا نجدهم يستعرضون في هذا اليوم كل ما له مساس بالدعوة : فيخرجون تخت يزيد الذي يذكرهم بعودة الأمر إليهم ، وأنه سيأتي اليوم الذي يجلس فيه شيخهم على هذا التخت ، ويعيد الأمر إليهم .

وفي هذا العيد يأكلون من سماط (فخره جلميرا) بعد أن يأكلوا من سماط الشيخ حسن .

يقام هذا إحياءً لذكرى الشيخ فخر الدين مفسر الدعوة .

والشيخ فخر الدين : من علمنا دهاءه وتلفيقه ، لما يلقيه إليه أخوه الشيخ حسن ، فهو نورائيل الدعوة ــ كما يسمونه ــ أي مصدر نور الدعوة ، والواقف على أسرارها ، والواسطة بينهم وبين الشيخ حسن ، فكانوا يجتمعون على سماطه ، بعد زيارة الشيخ حسن فيفسر لهم التعاليم التي أصدرها الشيخ حسن ، وما أمر به من أمر الدعوة .

وكذا إخراج الستر لكل واحد من شيوخهم ، بين آونة وأخرى ، فإنه يذكرهم بشيوخهم وما كان لهم من تأثير في الدعوة .

فما يجري في هذا العيد هو مما وضعه الشيخ حسن في هذا الاجتماع ، لتنظيم وأحكام الدعوة ، وترسيخها عند الأتباع ، واستعراض قوتهم كل سنة في ميدان الجهاد . ثم صارت عندهم من الأمور الدينية التي يجب على كل يزيدي أن يؤديها كل سنة .

نصب تخت يزيد

مما يحتفظ به اليزيدية هو تخت يزيد ،[١] وهو مما وضعه لهم رؤساء الدعوة في أول أمرها ــ كما تقدم ــ وفي كل عيد جماعية ، يحملون هذا التخت إلى مرقد الشيخ عدي ويحتفلون بنصبه في المرقد . ولذا يسمونه «بير شباك» ، والتخت المذكور هو عبارة عن حلقات مفرغة

---

(١) محفوظ في بيت الشيخ الوزير في بحزاني .

من البرنز الأصفر، وعصوان وبساط، تربط الحلقات مع بعضها بخيوط مقدسة، تغسل بعين زمزم، وهي تحفظ معها، ثم تثبت العصوان على جانبيها، ويوضع فوقها البساط وبعضهم يقول إنها السجادة التي كان يصلي عليها الشيخ عدي.

ونصب التخت يضعه الأمير في المزايدة بين القبائل، فتفوز بنصبه القبيلة التي ترسو عليها المزايدة، فيتقدم رجالها البارزون بنصبه، في رباط الشيخ عدي أمام الشباك الذي بين المصلى والغرفة التي بها ضريح الشيخ عدي، ويجري له احتفال، فيعزف القوالون في الشبابات، كما أن الحاضرين يطلقون عيارات نارية، ثم يتقدم شيوخ القبائل يحملونه إلى الحوض الذي في مرقد الشيخ، عدي ويسمونه (حوض الكلوكي) ويباركونه بمائه، ويتهافت الناس خلال ذلك على التبرك به ومحاولة تقبيله، وهم يدفعونهم بالضرب الشديد، وقد يدفع بعضهم إلى تسلق شجرة أو سطح، فيلقي بنفسه على التخت إذا ما مروا به أمامه، وربما أدى هذا إلى موته أو كسر أحد أعضائه.

فإذا مر التخت بهدوء، فإنهم يتفاءلون خيراً بتلك السنة، وإذا حدث ما يكدر صفوهم، فإنهم يتشاءمون من تلك السنة. وهكذا يكون تقرير مصير السنة على نصب هذا التخت.

وتتقدم القبيلة التي تشرفت بنصب التخت إلى مير الشيخان، فيقدم هدية سنية لرئيسها، ولربما كان زبوناً ثميناً أو عباءة ذات قيمة.

عيد خضر إلياس

من الأعياد المحلية التي يحتفل بها كل سنة في بعض مدن العراق وغيره، يكون في الموصل وفي تلعفر وسنجار وغيرها، كما يكون في قضاء عين سفني عند المسلمين والنصارى واليزيدية، فهو ليس خاصاً باليزيدية.

ففي الموصل وسنجار يترقبون عيد جمعة الخضر[1]: ويذكرون أن الشتاء قد انتهى، وأقبل الربيع، ويقول أهل الموصل إذا جاءت جمعة الخضر الياس تصير النار بياس، وهم يعدون لها حلاوة خاصة تسمى حلاوة الخضر، ويبيتون الحلاوة عند رأس ابنهم المدلل، مع عدة شموع، مدعين أن الخضر عليه السلام سيمر ليلاً على هذه الحلاوة ويباركها، ويعدون نوعاً من السويق، ويتخذونه من قلي حبوب الحنطة والشعير والذرة واللوبيا والحمص

---

(١) وفي الموصل مواقع يذكرون أن للخضر مقاماً فيها: مثل جامع الخضر ــ جامع مجاهد الدين. ومحراب الجامع النوري وغيرهما: منهل الأولياء: ٢، ٣٣.

والباقلاء ، ويضيفون إليها قشور البرتقال أو مسحوق السعد ويطحن كالطحين ـ ويوزع السويق على الأهل والجيران ـ مع الحلاوة ـ وكنا نفرح في هذا العيد ، فيتخذون لكل واحد منا كيساً صغيراً يوضع فيه السويق وقطعة الحلاوة (حلاوة الخضر) ويثبت في عنق الطفل ، وهو يمص السويق من الكيس بقصبة صغيرة تثبت في فتحة الكيس .

وفي تلعفر يقام عيد الخضر إلياس في الخميس الثالث من شهر شباط بالحساب الشرقي ويخرجون إلى تل يقع جنوب تلعفر ـ عليه قبة منسوبة لخضر إلياس ، ويحتفلون بهذا العيد ثلاثة أيام ، ويحضر يزيدية سنجار إلى تلعفر ، يشاركون بهذا الاحتفال ، ـ فهو احتفال محلي متوارث ليس له علاقة بدين ما .

ويحتفل اليزيدية في عين سفني والقرى اليزيدية التابعة للموصل بهذا العيد ، في أول خميس من شهر شباط بالحساب الشرقي ، وهم يجرون نفس ما يجريه أهل الموصل وتلعفر وسنجار من الزينة ، ويخرجون للنزهة ، ويتخذون الحلاوات وغيرها من الأطعمة التي توزع على الفقراء .

وقد يصوم بعض العجائز من المسلمين في الأيام الثلاثة التي تسبق عيد «خضر إلياس» وليس لهذا علاقة بالدين الإسلامي ، وإنما هو تطوع منهن ، وكذا نجد اليزيدية قد يصومون هذه الأيام الثلاثة . وعلى هذا فالعيد محلي ليس له صلة بدين ما ، وليس خاصاً باليزيدية ، وإنما يقوم اليزيدية فيه بما يفعله المسلمون والنصارى أيضاً .

عيد سَرْصالي

من الأعياد المحلية التي يبتهج بها سكان الجبال من اليزيدية وغيرهم ، فهو عيد فصلي ، ليس له صلة بالدين .

إن بعض رجال الدين يحاولون استغلال بعض المواسم والأعياد المحلية ، فيجعلون لها صبغة دينية ، ويحثون الناس على الصدقة والمساعدة فيها ، وهذا ما نجده عند اليزيدية ، فإن رجال الدين عندهم جعلوه من الأعياد المقدسة ، وحثوا أتباعهم اليزيدية على الصدقة ، وفعل الخير ، وتقديم النذور لرجال الدين ، فظن بعض الباحثين أنه من أعياد اليزيدية دون غيرهم .

وشهر نيسان يكون من أجمل شهور السنة في شمال العراق ـ وخاصة الجبال ؛ تكسو الأرض أزهار مختلفة الأشكال والألوان ، فهو شهر متعة ونزهة ، نجد هذا حتى في الموصل ، فإن أهلها يخرجون للنزهة ظاهر البلد ، بحيث تزدحم البقاع التي حولها بالمتنزهين .

وعيد (سَرْ صالي) هو عيد رأس السنة عند اليزيدية ، يكون في أول يوم الأربعاء من شهر نيسان ـ بالحساب الشرقي ـ وهم يعدون له ثياب زينة وطعام ، ففي يوم الثلاثاء ينحرون الذبائح ، ويهيئون الطعام ، وفي صباح يوم الأربعاء تخرج البنات متزينات ، ويجمعن أزهار الشقائق ـ شقائق النعمان ـ ويثبتنها بالطين في أعلى مدخل الدار ، ومداخل الغرف ، وهذا ما يفعله الأكراد المسلمون وغيرهم في منطقة عين سفني وغيرها من بلاد الأكراد .

ويذهب اليزيدية بعد هذا فيزورون القبور ، ويضعون الطعام عليها ، ويأتي القوالون إلى المقابر يقفون عند كل قبر برهة ، ينقرون بالدف ، وينفخون بالشبابات ، ويرتلون تراتيل بالكردية ، ويقدم أهل الموتى لهم مبلغاً من المال وبعد أن ينتهي القوالون من هذا ، تحمل الأطعمة إلى مكان فسيح ، ويجتمع عليها الفقراء يأكلونها .

ويعتبر اليزيدية شهر نيسان شهر متعة وعيد ، يمتنعون فيه عن العمل ويقضونه في الأنس والطرب ، وتقام فيه الطوافات في القرى ، يشترك فيها الرجال والنساء في إقامة الدبكات الشعبية ، وأكبرها الطوافة هي التي تقام في قرية (بعشيقة) .

ومما يقولونه : أن اللّه تعالى يجلس على عرشه في هذا العيد ، يحف به الملائكة ، وأمامه جميع الرؤساء الروحانيين ، فإذا استقر المجلس خاطبهم اللّه تعالى عن ذلك بقوله : اسمعوا ، اسمعوا ، يا أصدقائي وأعزائي ، أريد أن أسبغ على الأرض الخيرات والبركات ، فينهض الجميع حالاً ويعيد بعضهم بعضاً .

ويهب اللّه الأرض وما فيها بالالتزام إلى أحد الحاضرين ، ويكتب صكاً بذلك ، يقرر به مصير العالم وما يجري فيه من خير وشر ، وحياة وموت .

الزواج

الزواج عند اليزيدية محصور في طبقاتهم ، فلا يحق للبير أو الشيخ ـ مثلاً ـ أن يزوج أو يتزوج من طبقة المريدين ـ العوام ـ فكل طبقة تتزوج من طبقتها ، وذلك حفظاً للطبقات ، وما تتمتع به من امتيازات وضرائب يقدمها إليهم المريدون .

ويجري الزواج برضا الطرفين ، ويقدم الصداق وهدايا ـ قد تكون ثمينة ـ لأهل العروس . مثل حصان أو فرس أو عدد من المواشي .

وقد يحدث الزواج بطريقة (الخطف) ذلك إذا أحب شاب فتاة وأحبته ، وكثر لقاؤهما في الأعياد والاحتفالات التي تكون فيها دبكات مختلطة ، وبعد أن يتوثق أحدهما من الثاني ، يتواعدان على يوم معين ـ وأكثر ما يكون هذا في الصباح الباكر ـ فيصطحبها معه

إلى قرية أخرى ، يحل فيها على شيخ أو ذوي نفوذ ، فيكون عنده دخيلاً ، فيحميه ويرسل إلى أهل البنت من يعلمهم بالأمر ، ويفاتحهم بالزواج ، وأنه يتعهد بكل ما يطلبون فيتم الاتفاق بين الطرفين على الشروط التي يرتضونها ، ثم تجري حفلات الزواج بكل سرور وفرح ، ولا يرون بأساً بهذا ، خاصة إذا كان الخطف في مقام الشيخ عدي أو الشيخ شرف الدين ، أو غيرهما من المقامات المقدسة عندهم ، فإنهم يتباركون بهذا الزواج لأنه جرى في حمى الشيخ .

وهذا الخطف ليس مقتصراً عند اليزيدية فقط ، بل إن المسلمين من أكراد سنجار يكون عندهم أيضاً ، ثم يكون الاتفاق وحفلات الزواج .

فالخطف عادة محلية ، أكثر ما تكون في منطقة سنجار ، عند الأكراد المسلمين واليزيدية .

يتم زواج اليزيدي تحت إشراف شيخ من أحفاد الشيخ حسن ، فهو الذي يعقد الزواج ويباركه ، ويكسبه صبغة دينية ، ولا يحق لهم الافتراق إلا بمعرفة الشيخ .

أما إذا كان الزواج بغير علم الشيخ ، فيكون زواجاً غير شرعي عندهم ، وبهذا قد تترك المرأة زوجها ، وتتزوج من غيره ، ولا يرون بأساً بذلك .

ونظراً لما كان يحدث من اختلاف بين الزوجين من جراء هذا ، وفراق قد يؤدي إلى ما لا تحمد عقباه ، فإن جماعة من عقلائهم تقدموا إلى أمير اليزيدية سعيد بك أن يصدر تعليمات بالزواج يسير عليها اليزيدية ، فأصدر في ١٢ أيار سنة ١٩٢٩م إلى الشيوخ الذين يتم على أيديهم الزواج التعليمات التالية وهي :

إلى جميع شيوخ الشيخ حسن في ملة اليزيدية المحترمين :

بناء على اللزوم الذي تراءى لنا بخصوص عقد النكاح الذي سيجري في المستقبل ، نرشدكم إلى النقاط الآتية :

١ ــ عندما يعقد النكاح يجب أن يكون بحضور شاهدين عن الوكيل للبنت التي يعقد النكاح عليها .

٢ ــ يجب أن يحصل التراضي والقبول فيما بين الشاب والبنت أولاً ، ثم يعقد نكاحهما .

٣ ــ إن البنت التي يعقد نكاحها يجب أن لا يقل عمرها عن خمس عشرة سنة .

٤ ــ من الآن وصاعداً نرجو إلفات نظركم إلى ما عرضناه آنفاً ، ولي وطيد الأمل بأنكم ستقومون به حرفياً ، وعند عقد نكاح أي بنت كانت أو شاب بدون رضاهما ، سوف تجري المعاملة القانونية بحق هؤلاء ، ويكونون عرضة للعقاب والسلام .

والزواج عند اليزيدية لا يختلف عند غيرهم من القرويين ، فيكون الاتفاق بين الطرفين على صداق معين بعضه (ليرات ذهب) وبعضه مواشٍ ، وأكثرهم لا يأخذون موافقة البنت على الزواج ، وهو أمر معروف عند القرويين .

وتكون حفلة عقد الزواج بحضور الشيخ ، أو أن يرسل إليهم رغيف خبز من داره ، فيقتسمانه ، يأكل الشاب نصفه ، وتأكل البنت نصفه الثاني .

ولإعلان الزواج لا بد من طبل وزرناية (صرناية)[1] يعزف بهما ثلاثة أيام ابتهاجاً بما تم .

ويزفون العروس إلى دار زوجها راكبة على فرس ـ إن كانت من قرية أخرى ـ يحف بها كوكبة من الفتيان من عشيرة الختن وأصدقائه ، وبعض نساء من أهل الختن ، ويجري أمامها طراد وإطلاق رصاص حتى يصلوا قريتهم ، فيستقبلهم أهل القرية بالغناء والهلاهل .

أما إذا كانت من نفس القرية فيزفونها ماشية ، فإذا دخلت الدار كسروا على رأسها رغيف خبز رقاق ، لتكون البركة في زواجها ، وتكون رحيمة بالفقراء .

لليزيدي ـ كما للمسلم ـ أن يتزوج أربع نساء ، إلا الأمير فإنه قد يتزوج أكثر من هذا العدد وله حق الطلاق أيضاً ، وعليه أن يكون طلاقه بائناً أي يطلقها مرة واحدة ، وإذا شاء أعادها ـ وهو مما في الشريعة الإسلامية .

أما رجال الدين والأمراء فيطلقون ثلاثاً . ولا يسترجعونها أبداً .

الموت والدفن

إذا احتضر اليزيدي ، حضر إليه أخوه في الآخرة ، وأخته في الآخرة ـ أخوه وأخته الأبديان ـ وهو يستعين بشفاعتهما يوم القيامة . ثم يستدعون الشيخ ، فيأخذ هذا «البراتة» ـ البراءة ـ التي تكون مع اليزيدي ، فيذيبها في ماء من عين زمزم ، التي في مقام الشيخ

---

(١) ويعلل اليزيدية سبب ضرب الطبل والزرناية في الزواج مدة ثلاثة أيام ـ كما جاء في الفصل الثالث من كتابهم مصحف رش ـ : ثم بعد ذلك وقع خصومة بين الرجل والمرأة ، فالرجل يقول إنك امرأتي ، والمرأة تقول إنك لست برجلي ، ولا قريني ولا زوجي ، فحكم بينهما واحد من أمتنا الأبرار ، وحتم بأن يكون في كل عرس طبل وزرناي ، شهادة على الزواج ، حتى إذا ما سمع الناس صوت الزرناي قالوا : إن فلاناً أخذ فلانة زوجة له ناموسياً ، أي حسب السنة والشريعة .

ومن سنن الإسلام أن يشهر أمر الزواج ، وسمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه صوتاً في دار فقال : ما هذه الضوضاء؟ قالوا : عرس . قال : هلا حركوا غرابيلهم ـ يعني الدفوف ـ لكي يشهر أمر الزواج (عمر بن الخطاب : ١٩٩) .

عدي ، ويضع منه في فمه قطرات ، ويدهن وجهه ببعضه ، كما يضع في أذنيه وأنفه وكفيه ، ويذر من ترابها على جسده . فإذا قضى نحبه فإنهم يغسلونه ، ثم يلبسه الشيخ ثيابه الجميلة ، ويكفنه بخام بلدي أبيض اللون ، ويحنكه بقطعة من الخام . وبعد أن ينتهي من هذا ، يحملونه على النعش ويسيرون به إلى القبر ، ومعه القوالون يعزفون بالشبابات وينقرون بالدفوف .

فإذا وصلوا الجبانة تقدم الشيخ به إلى القبر . وحل عقدة الكفن التي تكون فوق رأسه ، ويضعونه في القبر متوجهاً نحو الشرق ، ثم يتقدم قوالان فيتلوان (الطرقينة) ـ التلقينة ـ يذكران له : أن مصير الإنسان الموت والقبر ، وطوبى لمن أرضى اللّه والناس في حياته ، واستقبل القبر بوجه أبيض . . الخ .

والتلقينة كما هو معروف : هو ما يلقنه رجل الدين عند دفنه للميت . وما يقوله إذا سأله الملكان ـ كما هو معلوم عند المسلمين ـ ولكن اليزيدية حرفوها وصاروا ينطقون بها (الطرقينة) .

وأما صلاة الميت وتذكيره بالدنيا الفانية وضرب الأمثال لمن سبقه إلى عالم الخلود فقد ذكرناها[1] .

وعلى هذا فإن طريقة تجهيزهم الميت لا يختلف عن غيرهم ممن يجاورهم من المسلمين ، فهي محرفة عما كانوا عليه يوم كانوا مسلمين .

وأما الإسراج عند قبور الموتى : فإن هذا ما يفعله العوام من المسلمين وغيرهم من أهل الأديان . وكذا زيارة قبور الأموات في الأعياد والتصدق على الفقراء فإن هذا مما يفعله المسلمون وغيرهم أيضاً .

وقد يحتفي بعضهم بالميت ، إذا كان شاباً أو ذا مكانة عندهم ، فيتخذون خشبتين على شكل صليب ، ويلبسونهما ثيابه ، ويسيرون بها أمام الجناز ، كما أن بعضهم يطلقون الرصاص إعلاناً لموته ، وإكراماً له ، وهو ما شاهدته في سنجار عدة مرات .

ويذهب أهل الميت إلى الجبانة وينوحون حول القبر في الأيام الثلاثة من دفنه ، مع عزف الشبابة ونقر الدف .

---

(١) انظر : ص : ٧٣ ـ ٧٤ من كتابنا هذا .

طبقاتهم

يقسم اليزيديون إلى طبقات : دنيوية ودينية ، وهذا ما نشاهده في كل المذاهب الباطنية ، والحركات التي يجعلون لها صبغة دينية وهي كثيرة . فلكل طائفة رئيس أعلى يرجعون إليه في أمورهم ، وينقادون لأوامره ، يساعده رجال دونه في السلطة والإدارة ، ولكل واحد منهم أمور تعهد به ، وهذا ما نجده عند اليزيدية .

١ ـ المير ـ الأمير

ويسمى عندهم في الوقت الحاضر (ميرْ الشيخان) ، وهو يقيم في قرية «باعذرا» التابعة لقضاء عين سفني في محافظة نينوى ، وهي إمارة وراثية حصرها الشيخ حسن ـ منظم الدعوة ـ في أولاده .

وينتخب المير من قبل رجال أسرته ، ولا يحق لغيرها أن تتدخل في هذا ، وله طاقية يذكرون أنها من مخلفات الشيخ عدي ـ وفيها يتمثل الدين ـ ولا يمكن أن يمسه أحد بسوء ما دامت على رأسه .

ويتمتع الأمير بسلطة دينية ودنيوية على اليزيدية : كلامه لا يرد ، وطاعته واجبة ، وتنفيذ أوامره مطلقة ، فهو الحاكم المعصوم من الخطأ عندهم ، وله حق في تحريم من يعصي أمره ، فإذا ما حرم شخصاً اعتزله أهله وأقاربه وربما حرم ماله أو أباحه لنفسه أو لغيره ، ولا يتقربه أحد إلا بعد رضا الأمير عنه . فالأمير مصون ، وقد حل فيه جزء إلهي فهو يمثل الشيخ عدي ، وهو وكيله على أراضيه ، ومن عصاه فقد عصى الشيخ عدي .

ويشترط في الأمير أن يكون نزيهاً صادقاً أميناً مخلصاً لليزيدية ، ساعياً إلى خيرهم ، مدافعاً عن دينهم ، ومن أعماله :

١ ـ الإشراف على رباط الشيخ عدي وأوقافه ، وعمارته ، وأوقات زيارته .

٢ ـ تقدم إليه النذور والتبرعات ، وتكون تحت تصرفه .

٣ ـ وهو المرجع الأعلى لكافة الرؤساء الدينيين ، وهو الذي يعين (بابا شيخ) لكي ينوب عنه في الأمور الدينية .

٤ ـ يشرف على إدارة أملاك أسرة المير ، وينفق على أفراد الأسرة ، بحيث يعيشون مرفهين غير محتاجين .

٥ ـ تحفظ عنده المخلفات الدينية : الطواويس ـ السناجق ـ طاقية الشيخ عدي ، كبش إبراهيم ، ـ كبش القربان ـ عصا موسى ، سبحة الشيخ أحمد البدوي ، مشط لحية الجنيد البغدادي ، قضيب الشيخ عبد القادر الجيلاني ، كأس سليمان وهو من نحاس ،

حزام الشيخ أحمد الرفاعي ، وكلها محفوظة في خزينة الرحمن في داره ، فلا يخرج منها شيء إلا بعلمه وتحت إشرافه .

٦ ـ يسلم السناجق إلى القوالين في أوقاتها المعينة ، لقاء مبلغ يدفعونه إليه ، ينفق منه على مرقد الشيخ عدي وأسرة (المير) ، لا يحاسب ولا يناقش في هذا .

٧ ـ إذا توفي يزيدي أو يزيدية وليس لهما وارث ، فما يخلفانه يكون (للمير) ، وكذا إذا توفي أحد أفراد أسرته .

وعلى هذا فهو الحاكم المطلق على اليزيدية يتصرف في إدارتهم كيفما شاء بغير منازع أو معارض ، ومن سولت له نفسه معارضته عرض نفسه للتحريم فيبقى منبوذاً عند اليزيدية حتى ينال رضاه . وكان المير المرجع الأعلى في ما يحدث بين اليزيدية من نزاع ، وله الكلام الفصل ، وحق الحياة والموت على المتنازعين ، ولكن الحكومة العثمانية حدت من نفوذه على اليزيدية سنة ١٨٩٩م وجعلته كأحد رؤساء الدين ، له ما لغيره ، ولا يحق له الحكم بالموت على يزيدي . بل مرجعهم في هذا يكون أمام محاكم الدولة ـ كسائر أهل الأديان الذين هم في السلطنة العثمانية ـ وأنهم ملزمون بما يلزم به غيرهم من ضرائب وخدمة عسكرية وتكاليف وغير ذلك .

وأسرة المير تتزاوج من بعضها ، ومن الجياليين الذين هم من ذرية الشيخ عبد القادر الجيلاني ، ولا يسمح ليزيدي أن يتزوج من أسرة المير ، الأسرة المقدسة عندهم ، التي يتقرب إليهم اليزيدية بكل ما يحبونه لينالوا رضاهم .

هذا المنصب عند اليزيدية هو أرفع المناصب ، ويطمع إليه أبناء أسرة المير ، ولذا كثيراً ما يحدث بينهم نزاع على هذا المنصب الرفيع ، وربما أدى الأمر بينهم إلى القتل .

يذهب اليزيدية أن أمراءهم أبناء الشيخ عدي بن مسافر ، ـ وهو خطأ ـ فالشيخ عدي لم يتزوج ، ولعل الأمر التبس عليهم فخلطوا بينه وبين الشيخ عدي بن صخر ، وهو الذي كان يسمى (عدي الكردي) والد الشيخ حسن[1] .

وبعضهم يقول أنهم أبناء يزيد بن معاوية ـ يزيد البربري ـ الذي ينتسبون إليه ، وهو خطأ أيضاً ، فهم أبناء الشيخ حسن الذي ينتهي بنسبه إلى الفرع المرواني ـ مروان بن الحكم الأموي ـ وهو الذي نظم الدعوة ، وحصر الإمارة في ذريته ، وجعل الأمور الدينية في أخيه فخر الدين الذي كان من أحفاده طائفة الشيوخ .

---

(١) انظر ص : ٧٣ - ٧٤ من كتابنا هذا .

ويدعي الأستاذ صديق الدملوجي : أن أسرة المير الحالية هم من أبناء أبي بكر ـ أحد شيوخ سَهران ـ وأن أحد أبناء أبي بكر المسمى (الشيخ محمد الكردي الإربلي) كان ذا نفوذ واسع ، ولما رأى ضعف أسرة «المير» حاربهم وقتل منهم ثمانين شخصاً بينهم الأمير ، واستولى على الإمارة ، وحصرها في ذريته وهم الذين نراهم اليوم ، كان هذا في مستهل القرن الحادي عشر للهجرة ، وأن هذا ما يعلمه المطلعون من اليزيدية ومما يتهامسون به مع بعضهم[1] .

٢ ـ بسْ أمير

يلي أسرة الأمير في المنزلة (البسمرية) وأبناء عم أسرة الأمير ، وهم على ما يذكرون أبناء الشيخ منصور ، والأمراء أولاد الشيخ ملك ، ومنصور وملك إخوان من أبناء الشيخ أبي بكر ، ولذا فإن هذه الأسرة تتمتع بمنزلة كوزراء أو أعوان للأمير ، يقيمون في القرى . وإليهم مرجع أهل القرية ، والذي نراه أن البسمرية هم الذين وزعهم الشيخ محمد الكردي الإربلي بعد أن استأثر بالإمارة على القرى ، وعهد إليهم بالإشراف عليها ، فهم نوابه فيها ، ويذكر الدملوجي أن البسمرية كانوا يجتمعون في الأمير كل يوم جمعة ، ويتذاكرون معه أمور القرى التي يديرونها .

ومنهم من تقلد الإمارة : فإن إسماعيل باشا بن بهرام باشا أمير العمادية توجه إلى الشيخان سنة (١٢٠٥هـ/١٧٩٠م) وقتل جولوبك بن بداغ بك أمير اليزيدية ، ونصب مكانه خنجر بك ـ وهو من البسمرية ـ فتقلد الإمارة سنة واحدة ، ثم عزله في سنة ١٢٠٦هـ وعين في الإمارة حسن بك بن جولوبك[2] . فنشأت العداوة بين الأمراء والبسمرية ، فضيقوا عليهم ، واضطهدوهم وقل عددهم . ولم يبق منهم إلا بيوت معدودة ذكرها الدملوجي[3] .

٣ ـ بيش إمام ـ رئيس الأئمة

وهو منصب ديني يتولى إمامة القوم ، ويكون من أسرة الشيخ حسن ، ويدعي الدملوجي : أن الشيخ محمد الأربلي بعد أن نزع الإمارة من أبناء الشيخ حسن

---

(١) ص : و ٢ ـ ٢١ من كتابه اليزيدية .

(٢) إمارة بهدينان : ٨٦ و ٨٧

(٣) اليزيدية : ٣٧ ، ٣٨

حصـــرها[1] في عائلته ، وصاروا يطلقون على أبناء بيش إمام أولاد الحسن البصري ، الذي كان كاتباً عند الشيخ عدي ــ على ما يدعون ــ وأنه حرم عليهم القراءة والكتابة وحصرها في ذريته .

وأما أولاد الشيخ حسن شمس الدين ، فإنهم تفرقوا في البلاد ، ولكنهم مع هذا ظلوا يتمتعون ببعض الامتيازات التي حصرها فيهم الشيخ حسن مثل : عقد النكاح ، والإمامة في صلاة ليلة القدر في مرقد الشيخ عدي ، والقراءة والكتابة وحفظ الكتب الدينية ، وهذه الأمور هي التي تكون خاصة بأهل الإمارة .

٤ ــ بابا شيخ ــ الشيخ الأكبر

وهو من أحفاد الشيخ فخر الدين ، الذي ناب عن أخيه الشيخ حسن عندما اعتزل أصحابه ست سنين ، وكان مفسر أسرار الدعوة ــ كما قدمنا ــ فحصر الأمور الدينية في ذريته وإليهم المرجع فيها ، وأكبرهم البابا شيخ ، ولا يحيد الأمير عما يشير عليه به من الأمور الدينية ، كما أنه يرجع إليه اليزيدية فيما يلتبس عليهم من أمور الدين ، وهذا المنصب وراثي في أسرته .

وبابا شيخ لا يشرب الخمر ، فهي عليه حرام ــ خلاف ما عليه اليزيدية من شربها ــ ويحتفظ بسجادة مقدسة عندهم ، يذكرون أنها سجادة الشيخ عدي ، يعرضها بابا شيخ على اليزيدية في الأعياد ، يزورونها ويتباركون بها .

وهو المشرف على زاوية الشيخ عدي ، فإذا اقتضى الأمر إصلاحها ، فإن هذا يكون تحت إشرافه . ويشرف على الكواجك ، ويوجههم إلى أعمالهم التي يقومون بها ، وهم مسؤولون أمامه عن كل تقصير يبدر منهم .

وثيابه بيضاء ، يتمنطق بحزام من قماش صوفي أسود اللون ، طوله يقرب من تسعة أمتار ، يلفه حول خصره ، وفيه بعض الحلقات البرونزية المقدسة ، وهو لا يحلق لحيته ، ولا يأكل في ملعقة غيره ، ولا يشرب إلا في فنجان له ، ويجلس على سجادته ، ولا يسمح لأحد أن يجلس عليها معه . وتحت إمرته عدة مشائخ مكلفون بجمع الخيرات السنوية ،

---

(١) لم يفرق بعضهم بين الشيخ حسن . وحسن البصري ، فجعلوهما شخصاً واحداً . لعل الحسن البصري عند اليزيدية هو : شرف الدين جعفر بن علي بن جعفر بن الرشيد الموصلي المعروف بالحسن البصري ولعلهم من أحفاده (٦٠٤ ــ ٦٩٨هـ) ــ اليزيدية لتيمور ١٨ .

ويقدمونها إليه ، وهم يلونه في الرتبة ، ولا يتقدمهم إلا أبناء الشيخ حسن ، لأن الشيخ فخر الدين كان أصغر سناً من الشيخ حسن .

وأما المشائخ الذين يتبعون «بابا شيخ» فهم من ذرية الشيخ حسن شمس الدين . ولكنهم يدعون أنهم من نسل يزيد بن معاوية ـ إله اليزيدية ـ وهذا خطأ فهم ليسوا من نسله . ويذكرون أن لهم القدرة على تغيير مجرى الحوادث في العالم والمشاركة في تصريف شؤون الكون . وهم عدة فروع ـ أسر ـ لكل فرع منهم ميزة وأسرار اختصها بها واضع هذا الدين ، فهم هداة القوم ، ومرجعهم في أمور الشريعة ، يحللون لهم ، ويحرمون عليهم ، ويسنون الشرائع والتعاليم الدينية ، ويحذرونهم من سخط طاووس ملك ، الذي بيده الخير والشر ، والسلم والحرب ، والخصب والجدب ، والسعادة والشقاء . . . إلخ .

ويلقون إليهم أن اليزيدية ليسوا من جنس البشر ، بل هم من جنس خاص بهم ، وأن آلهتهم وما يعبدون ، قد اطلعوا على أسرار العالم ، وما سيكون في المستقبل ، وكلها داخلة في تعاليم اليزيدية ـ التي يلقيها إليهم الشيوخ ـ ويقولون : هي أسمى تعاليم عرفها البشر ، فما من علم أو فن أو رشد أو ضلال إلا وهم يعرفونه قبل أن يهتدي إليه البشر .

وفيما يلقونه إلى اليزيدية تداخل وارتباك ، ولا يستند إلى حقائق تاريخية ، فبينما يدعون أنهم أمويون ، إذا بهم يرجعون أسرهم إلى ثلاثة فروع :

١ ـ أداني : أي العدناني .

٢ ـ شمساني : أي أبناء عبد شمس .

٣ ـ قاتاني : أي قحطاني .

ونحن نعلم أن الأمويين منهم هم الذين من فرع عبد شمس ، وأما العدناني والقحطاني فهما ليسا بأمويين .

وقد ذكر الأستاذ الدملوجي[1] ما يتفرع من كل من هذه الأسر ، والمحل الذي تقيم فيه .

واختصت أسرة الأداني بالقراءة والكتابة ، ويدعون أن هذه الأسرة هي من أحفاد الشيخ حسن شمس الدين ، وهذا غير صحيح ، فالشيخ حسن هو أموي . واختصت أسرة الشيخ فخر الدين ـ شقيق الشيخ حسن ـ بمقام بابا شيخ الذي تقدم الكلام عليه . ويدعون أنهم من الأصل الشمساني ، أي من أبناء عبد شمس ، وهنا نجد أن الأخوين أحدهما نسبوه للعدنانية والثاني لعبد شمس . وللشيخ نصيب معين في مال اليزيدي ، فهو الذي يرزقه

---

(١) اليزيدية : ١٤ ـ ٢٤ .

ويفيض عليه النعم ويحضر عند وفاته ، ولذا فإن ما يقدمه اليزيدي لشيخه يكون بنسبة ما يفيض عليه من رزق في تلك السنة . والشيوخ لا يحلقون لحاهم ، ولا يحفون شواربهم .

٥ ـ البيرْ

هو المرشد أو المربي أو الطاعن في السن ـ الشيخ المسن ـ[١] وهم منتشرون في القرى ، يتولون إرشاد المريدين وتوجيههم إلى أصول الديانة اليزيدية ويكون البير في مرقد الشيخ عدي أيام أعيادهم ، ويتولى إطعام المريدين ، وتوجيههم إلى أداء الطقوس الدينية ، وهو ينفق عليهم مما يجمعه من صدقات ونذور وهدايا .

وبعض البيرة ينتسبون إلى أسر علوية الأصل ، مثل أسرة الشيخ قضيب البان الموصلي وهم حسنيون ، وكان الشيخ قضيب البان ممن صلى إماماً بالشيخ عدي ـ كما تقدم :

وللبيرة منزلة رفيعة عند اليزيدية ، يهرعون إليهم كلما ألم بهم حادث ، فيأخذون عنهم أمور الدين ، ويستشفون برقيهم ، ويداوون المرضى بتراب أضرحة أوليائهم ومشائخهم ، وهم يساعدون الشيوخ في تغسيل الموتى ودفنهم ، وزيارتهم في الأعياد والمواسم يرجون لهم المغفرة . ولكل يزيدي شيخ وبير يأخذ عنهما ويستعين بهما ، ويرجو شفاعتهما يوم القيامة . وقد ذكر الدملوجي[٢] الأسر التي يكون منها البير ، والقرى التي تسكنها .

٦ ـ الفقير

وهو المسكين الذي لا يملك شيئاً ، وقد ترك الدنيا وزينتها ، ولزم تكية الشيخ ،[٣] والفقراء الذين عند اليزيدية على ما نرى أحفاد الذين كانوا يخدمون في تكية الشيخ عدي ، وشعارهم خرقة سوداء ، هي خرقة التصوف التي كان يلبسها الشيخ عدي لمن يراه أهلاً لها ، وشعار الفقير في هذا اليوم هي أيضاً خرقة سوداء تنسج من غزل الصوف تصبغ باللون الأسود بورق الزركوز الذي يكثر في وادي لالش قرب مرقد الشيخ عدي . وتكمُّ بحلقات من النحاس الأصفر تكون على صدر الفقير . ويشد فوقها حزاماً أحمر من صوف يسمونه «محك» فيه حلقة صفراء يسمونها خادم .

---

(١) وهي من مراتب أصحاب الطرق الصوفية .

(٢) ص : ٤٥ ـ ٤٦ .

(٣) قلائد الجواهر : ٨٦ ـ ٨٨ .

وهذه الخرقة مقدسة لا تمس بسوء ، حتى ولو اعتدى الفقير على شخص يزيدي فإنه يقف أمامه هادئاً . يتلقى ضرباته ولا يتحرك ، ويحلف اليزيدي بخرقة فقيره ، وإذا وجد فيها قمل فحرام قتله ، وإذا خلقت علقوها في مكان حتى تبلى ، وتدفن مع الفقير بعد موته .

ويكون في عنق الفقير حبل دقيق يسمونه (طوق يزيد) وهو شعار الطاعة والانقياد ، ومقدس عندهم ، وربما كان هذا مما وضعه الشيخ حسن وجعل الفقراء ينقادون لأوامره وإطاعته .

ويكون على رأسة (الكمة) تكون فوقها عمامته السوداء ، والكمة مقدسة عند اليزيدية ، فلا يمس صاحبها بسوء ما دامت على رأسه .

ولا يحلق الفقير لحيته ، ولا يحف شاربيه ، بل يتركهما مرسلين .

والفقير : قد تكون وراثية ، إذا كان الابن على سر أبيه في حسن السلوك والإطاعة . وإما إذا بدر منه ما يخالف الدين فإن أمير اليزيدية يحلق لحيته وينزع عنه خرقته ويحرمه . كما أن الأمير قد يولي هذه لمن كان حسن الأخلاق والدين ، ورغب أن يكون فقيراً .

٧ ــ القوّال

هو الحادي الذي ينشد في مجالس الذكر وفي السماعات التي يقيمها المشائخ ، وكان للشيخ عدي عدة قوالين يرتلون المدائح في تكيته[١] .

ويذهب القوالون أنهم من أصل عربي ، جاؤوا من الشام إلى بلاد الهكارية مع الشيخ عدي ، ولازموه وكانوا ينشدون المدائح النبوية في مجالس ذكره . وعلى هذا سار أبناؤهم من بعدهم . ونحن نرى صحة هذا ، لأن التراتيل العربية يحسن إنشادها العربي أكثر من غيره ، ولذا فإنهم اختصوا بها وأنشؤوا أولادهم وأحفادهم عليها ، فصارت وراثية عندهم[٢] .

يؤيد هذا أن القوال يسمونه في الكردية (تازي) ويرى الدكتور الجلبي أنها نسبة إلى (طائي) كما قالوا (رازي) نسبة إلى الري . ويرى الدملوجي أن تاري كلمة فارسية معناها (عربي)[٣] .

والقوال لا يحلق لحيته ولا شاربيه ، ويلبس طاقية مقدسة على رأسه ، يقوم بضمان طاووس ملك من الأمير ، ويدور به على القرى ، ويتولى إنشاد التراتيل ، وترتيب زيارته ، كما أنه ينشد التراتيل في الأعياد والمواسم وفي دفن الموتى وزيارة القبور ، ويحسن الضرب على

---

(١) قلائد الجواهر : ٨٦ ــ ٨٨ .

(٢) وهم في قريتي بعشيقة وبحزاني .

(٣) اليزيدية : ٥٢

الدف والعزف بالشبابة ، ويدرب أولاده على هذا ليخلفوه بعد موته ، كما أنه ينظف مرقد الشيخ عدي بعد مواسم زيارته .

والقوال يكون لسناً ، حسن التعبير ، يحث اليزيدية على تقديم المال عند زيارة طاووس ملك ، ولو أدى الأمر أن يقطع اليزيدي من لحمه ، لكي يتجاوز عن سيئاته ، وهو خير من الصوم والصلاة ويدعوهم إلى التمسك بطاووس ملك والحرص على إرضائه ، أنه هو الذي يكون حاضراً عندهم في كل وقت وخاصة وقت الضيق ، وأن يكتم الأمر أمام الطوائف الأخرى ، إنه إن فعل هذا كله فإنه يرجو من اللّه أن يغفر ذنوبه ويدخله الجنة .

ومما يعظهم به القوال عن لسان الشيخ عدي وطاووس ملك ويقول : إنهما قالا :

المال مالي ، والبشر عيالي ، أنا أفقر ، أنا أغني ، أنا ما أحب الذين يدعوني باطناً ، والذي ينكرني قدام الناس ، أنا أنكره في السماء ، وأنا أحب الذي يحبني من كل قلبه ، يقطع من لحمه ويكرمني ، وأنا أرضى عليه ، وأتجاوز عن سيئاته ، وأقبل منه عوض الصوم والصلوات ، ولا يشك فيّ ، ويدعوني دائماً ، فأنا حاضر عنده وعند الضيقة ، وأن لا يخطئ ولا يزني ولا يكفر ، ولا يعمل مثل باقي الطوائف الخارجة ، ولا يحسد ، وفي يوم القيامة أسامحه ، وأرجو من الرب الحق أن يغفر له ويدخله الجنة .

٨ ــ الكوجك

وعملهم : تغسيل الأموات وتكفينهم ودفنهم ، وإعلام أهلهم عما آلت إليه حالتهم من خير أو شر . ويدعون أيضاً أنهم يتصلون بالغيب ، ويقفون على ما سيكون في العالم من الأمور المقدرة ، ويطلعون الناس عليها .

ويخدمون مرقد الشيخ عدي تحت إشراف (بابا جاويش)[1] الذي يوجههم إلى أعمالهم .

وإذا حدث عند اليزيدية ما يخشى شره ، فإن بابا شيخ يجمع الكواجك في مقام الشيخ عدي ، يتذرعون ساعات في الليل ، لعلهم يقفون على سبب ما حدث فيعلم بابا شيخ بذلك ، فيطلع اليزيدية بما يتلقونه وما يجب أن يفعلوه .

وأن اليزيدية يهرعون إلى الكواجك كلما دهمتهم مصيبة ، ليعلموهم عن سببها ، وما

(١) والشاويش ــ الجاويش ــ من مراتب الطرق الصوفية عند العدويين وغيرهم . قلائد الجواهر : ١٦ ، بهجة الأسرار : ١٤٦ .

يجب أن يفعلوه لدفعها عنهم .

إذا مارس شخص رياضة عنيفة يفرضها عليه (بابا شيخ) ، فانه يكون أهلاً لأن يصير كوجكا ، فيرتدي الثياب البيض ونطاقاً من الصوف ، أحمر اللون أو أسود ، وحلقات برونزية تعلق بالنطاق ، فيكون مرجع القوم في الاطلاع على المغيبات .

٩ ـ المريد

وهو الذي يدخل الطريقة ليلتقى مبادئها على شيخ الطريقة أو من يعهد إليه الشيخ بتدريبه وهم كافة أفراد اليزيدية ـ ما عدا رجال الدين الذين قدمنا عنهم ـ وهم آلة طيعة بأيدي رجال الدين ، يديرونهم ويستغلونهم كما يشاؤون ، فالفرد اليزيدي يكد ويكدح طول السنة ، ويقدم لأسياده رجال الدين لكي يرضوا عنه .

وهؤلاء ـ وهم الأكثرية الساحقة من اليزيدية ـ محرومون من التعليم وإبداء الرأي ، ليس لهم من الحرية شيء ، ولا يحق لهم التكلم بأمور الدين . ولا يكمل إيمان اليزيدي إلا بعد أن يستسلم لرؤساء الدين ، ينقاد إليهم ويدفع لهم الصدقات والنذور التي ترضيهم . كل هذا سببه الجهل المطلق الذي كبلوهم به ، وعزلوهم عن غيرهم من أهل الأديان ، بل حرموا عليهم الاتصال بهم . وعليهم أن يصدقوا بكل ما يمليه عليهم رجال الدين ، وأن يأخذوه بالسمع والطاعة حتى ينالوا رضاهم ، وشفاعتهم يوم القيامة ، وإلا فإنهم من الأشقياء الذين يحرمون من رضا طاووس ملك .

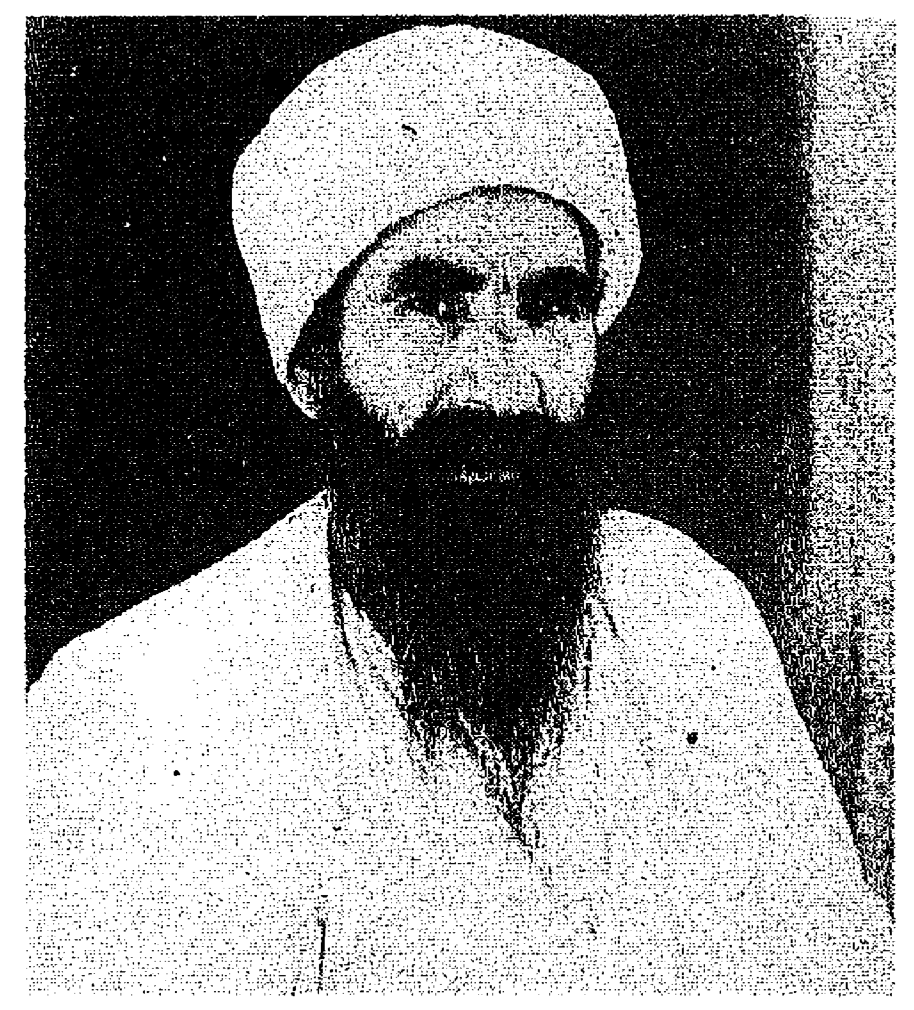
ولا يحق لهذه الطبقة أن تتزوج من غيرها .

أما اليوم فقد تبدلت نظرة اليزيدي إلى رؤسائه خاصة بعد أن تعلم وتثقف في المدارس ، وخرج من ظلام الجهل ، واطلع على شؤون غيره من أهل الأديان ، وساعد على هذا انتشار الراديو والتلفزيون بينهم ، ومشاهدة ما يتمتع به الفرد ـ من غير دينهم ـ من حرية في الكلام ومناقشة أمور الدين ، وإبداء الرأي فيما يلقى إليه . . . إلخ .

فيزيدي اليوم ينظر إلى الدنيا وما فيها ببصيرة . يجادل ويناقش ويأخذ ما يراه صالحاً لزمانه وحاله ـ لا يقلد تقليداً أعمى ـ كما كان عليه سابقاً ـ .

فنجد أكثر طبقاتهم هي ما كانوا عليه زمن الشيخ عدي بن مسافر وهي من مراتب الطريقة العدوية ـ كغيرها من الطرق ـ فيها : الفقير والمريد والقوال ـ المنشد ـ والبير ـ والشيخ ـ والشيخ الأكبر ـ بابا شيخ ـ والإمام ، ورئيس الأئمة «بيش إمام» ـ والجاويش ـ الشاويش .

وأما الأمير ويس أمير والكوجك . فهي مما وضعوه بعد هذا .



بابا شيخ الرئيس الروحي للطائفة اليزيدية



بابا جاويش المشرف على مرقد الشيخ عدي بن مسافر



تحسين بك أمير اليزيدية

أسرة يزيدية من بعشيقة



نساء يزيديات من سنجار في مقام الشيخ عدي

وادي لالش

وقبر الشيخ عدي

يبعد وادي لالش عن عين سفني بمسافة قدرها : ١٤كم ، ويمكن الوصول إليه من عين سفني في الطريق المؤدي إلى ناحية أتروش ، يقع المعبد على يسار الذاهب إلى هذه الناحية ، وذلك بعد أن ينتهي من (كلي لاشيخ عادي) وهو واد جميل كثير الشجر ، تنساب فيه مياه العيون المنحدرة إليه من قرب مرقد الشيخ عدي بن مسافر رحمه اللّه .

وإذا أخذنا يسارالطريق متوجهين إلى المرقد ، فأول ما نشاهده بناية تقع على يسار الطريق تسمى (خان يزيد) في هذا المكان يترجل اليزيدية ويسيرون في وادي لالش ـ الوادي المقدس عندهم ـ ، فإذا وصلوا (بر صراط) أي (جسر السراط) وهو قنطرة صغيرة على الماء الذي يجري في الوادي ، فإنهم يخلعون أحذيتهم ، ويغتسلون بمائه ، ويتوجهون إلى المرقد الذي فيه قبر المرشد الصالح الشيخ عدي بن مسافر الأموي الهكاري .

لوادي لالش حرمة عند اليزيدية : فيه قبر الرجل الصالح عدي ، في تكيته التي كانت مركز هداية وإرشاد لأهل الجبال وغيرهم ، والتي سكن فيها خلفاؤه ، أبناء أخيه من بعده ، وساروا على الطريق المستقيم الذي كان عليه عمهم الشيخ عدي ، ويسمي اليزيدية هذا الوادي (وادي مرْكه) أي «وادي المرج» ، والمرج عندهم هو قبر الشيخ عدي بن مسافر ، والذي نراه أنهم قلدوا بهذا ما يطلقه المسلمون على روضة النبي ﷺ (الروضة الشريفة) .

في هذا الوادي الجميل نشاهد قبتين : إحداهما فوق قبر الشيخ عدي رحمه اللّه ، والثانية ـ دونها في الارتفاع ـ فوق قبر الشيخ أبي البركات بن صخر ـ خليفة عدي ـ ويتصل بهما مرافق عديدة .

يقع المعبد بين ثلاثة جبال ، يكون معدل ارتفاعها عن سطح البحر ثلاثة آلاف متر تقريباً .

يحف بالمعبد من الجنوب جبل المشورة (جياي مشتي) ، ومن الشمال جبل عرفات (جياي عرفات) ، ومن الغرب جبال الحضرة (جياي حضرتي) .

وإذا حاذينا المرقد ، فإن الطريق يؤدي بنا إلى عين ماء ، يتدفق من غرفة مكتوب على بابها : البسملة وآية الكرسي ويسمونها : العين البيضاء «كأني أسبي» يكون ماؤها مقدساً ما كان داخل الغرفة ، فإذا انساب إلى الحوض الذي أمام الغرفة ، فإنه يفقد قدسيته .

ولعل هذه الغرفة كانت قد أنشئت على عهد الشيخ عدي ، ليستحم بها المريدون .

وفي غربي هذه العين وعلى سفح جبل لالش قبة يذكر اليزيدية أن داخلها قبر الشيخ حسن شمس الدين بن عدي ، الذي قتله بدر الدين لؤلؤ سنة ٦٤٤هـ ولربما نقلوا رفاته بعد قتله ودفنوه في هذه القبة .

وإذا قصدنا مرقد الشيخ عدي رحمه الله ، فأول ما يواجهنا ساحة كبيرة على شمالها وجنوبها دكاكين صغيرة ، يؤجرها الباعة في مواسم الزيارة ، وكان في هذه الساحة غرفة يسكن فيها (مير اليزيدية) إذا ما جاء لزيارة الشيخ عدي .

هذه الساحة تسمى (ميدان الجهاد) يجري فيها مراسيم ذبح الثور في عيد الجماعية ـ كما قدمنا ـ ومنها نتوجه إلى ممر طوله ٤م ، ننزل فيه عدة دركات ، فيؤدي إلى الفناء الذي أمام مرقد الشيخ عدي .

وفي جنوب الفناء غرف لسكنى الراهبات اليزيديات ، اللاتي زهدن في الدنيا ، وآثرن خدمة مرقد الشيخ عدي . وفيه غرفة أخرى يسكن بها (بابا جاويش) الذي يقيم قرب المعبد ، ويشرف على إدارته ، وأمام غرفته حوض ينساب إليه الماء من العين البيضاء .

وهذا المعبد ـ الذي فيه مرقد الشيخ عدي ـ كان قد أنشأه الشيخ عدي نفسه عندما اتخذ لالش مقراً له ، ويشمل على : مصلى مساحته ٣٠×٢١م ، وفيه خمسة محاريب نحو القبلة . وفي شماله غرفتان كان يسكن بهما الشيخ عدي .

مدخل المصلى من المرمر ، وعلى ركنه الجنوبي تتدلى صورة حية نافرة في المرمر ، وهو ـ على ما نرى ـ يرتقي إلى زمن الشيخ عدي ، ونجد على عهده[1] صورة الحية مرسومة على كثير من بنايات الموصل . فكانت الحية مما يتيمن به أهل الموصل وما جاورها ، فنقشوا صورتها على مداخل أبواب البنايات التي شادوها ، وعلى مداخل بعض التكايا والمراقد ، مثل مداخل الإمام الباهر ، مدخل مرقد الإمام ابن الحسن ـ الإمام عون الدين ـ ، وغيرهما ، كما نجدها أيضاً فوق باب الخان الذي أنشأه بدر الدين لؤلؤ قرب قرية الخان ـ القريبة من سنجار .

وداخل المصلى حوض ، ينساب إليه الماء من العين البيضاء ، في مجرى تحت الأرض ، كان قد اتخذه الشيخ عدي للوضوء ، وهذا ما نشاهده في الجوامع والتكايا التي في الجبال ، فإنهم يتخذون حوضاً في المصلى يتوضأ بمائه من يقصد المسجد للصلاة ، خاصة في فصل الشتاء ، حيث تكثر الثلوج والأمطار .

والمصلى الذي أنشأه الشيخ عدي هو ما نراه اليوم . وأن البناء جدد وأصلح عدة مرات خلال العصور التي مرت ، ما أصاب اليزيدية خلالها من هجمات عنيفة وتدمير وحرب ، ولكن المخطط الذي وضعه الشيخ عدي بقي على ما كان عليه ، وهذا ما يكون في الأماكن

---

(١) في القرنين السادس والسابع للهجرة . انظر سومر : ٢٠ : ١٦٨ ـ ١٦٩ أعلام الصناع المواصلة : ١٢٨ .

المقدسة ، فإنهم يعيدون البناء على ما وجدوه . فمخطط المصلى الذي يقصده اليزيدية ، كان مصلى التكية العدوية التي شادها الشيخ عدي رحمه اللّه . ولم تزل فيه المحاريب على ما كانت عليه .

وفي شمالي المصلى باب يؤدي إلى مدخل يقابلنا فيه كهف يسمونه (كهف الصفا) ينزل منه إلى عين متدفقة تنساب تحت الأرض ، ويظهر ماؤها في وادي لالش دون المعبد ، يسمونها (عين زمزم) ويذكرون أنها تأخذ ماءها من بئر زمزم» التي في مكة المكرمة ، وهم يتباركون بمائها كما يتبارك المسلمون بماء بئر زمزم .

والمدخل يؤدي بنا إلى غرفة فيها قبر أبي البركات بن صخر ، ومنها ندخل الغرفة التي فيها قبر الشيخ عدي ، وهي أكبر من غرفة الشيخ أبي البركات .

قبة الغرفة مبنية بالآجر ، خالية من الزينة ، والذي نراه : أنها كانت قبة جميلة مزينة بزخارف وكتابات مختلفة ، كالقباب التي أنشئت في الموصل في القرنين السادس والسابع للهجرة ، ولكن ما أصابها من تدمير في فترات متباينة ، أتلف ما كان فيها من زخارف وكتابات ، ولم يسلم منها إلا الشباك الذي بين مرقد الشيخ عدي والمصلى ، وهو من المرمر الأزرق ، مطعم فيه بالمرمر الأبيض : البسملة وآية الكرسي ، وصناعة تطعيم الرخام كانت متفوقة في الموصل ـ إذ ذاك ، وزينوا البنايات الدينية وغيرها بألواح مطعمة بكتابات وزخارف جميلة ، وعليه : فان التكية والمصلى كانا مزينين بألواح مطعمة بالمرمر وغيره .

وغرفة المرقد هذه ـ التكية ـ كانت مسكن الشيخ عدي في حياته ، ومحل خلوته ، ينقطع بها عن أتباعه للصلاة والتعبد ، وبقربه عين الماء التي يتوضأ منها ـ عين زمزم ـ ويشرف من الشباك على المريدين الذين في المصلى ، وبعد وفاته دفنوه فيها .

هذا هو المعبد الذي يقصده اليزيدية للزيارة ، كان مصلى يذكر فيه اسم اللّه ، وتكية للشيخ عدي ، يقيم بها حلقات الذكر ، ومجالس الوعظ والإرشاد . وعلى مر العصور تبدلت الأوضاع عما كانت عليه .

إن مغالاة أتباعه في محبته ، وتقديسه فيما بعد ، واتخاذ مرقده محجاً لهم ، وتفضيل لالش على مكة المكرمة والبيت الحرام ـ ما حمل الملوك والأمراء على محاربتهم وانتهاك حرمة صاحب هذا القبر ، الرجل الصالح عدي رحمه اللّه ، الذي كان من أجل المشائخ علماً وزهداً وورعاً ، وخدم المسلمين في هداية وإرشاد كثير من الناس ـ فعلوا هذا محاولين إرجاعهم إلى حضيرة الإسلام بالعنف والقوة وقد أخطؤوا في هذا ـ كما قدمنا ـ .

وأول من تطاول على هذا القبر هو بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل ، ولم يكن عمله دفاعاً

عن الدين ، وإنما كان يخاف الشيخ حسن شمس الدين بن الشيخ عدي ، ويخشى أتباعه الذين كانوا يتفانون في إطاعته ، وبقاؤهم يهدد دولته التي اغتصبها من أبناء الأتابكة بالحيلة والغدر . فبعد أن قتل الشيخ حسن صار يثقل أتباعه الذين في لالش بالضرائب والتكاليف ، فثاروا عليه سنة (٦٥٢هـ = ١٢٥٤م) فأرسل إليهم جيشاً قوياً ، وفتك بهم فتكاً ذريعاً : قتل منهم جماعة كثيرة ، وأسر جماعة أخرى ، وصلب منهم مائة رجل ، وذبح مائة ، وأمر بتقطيع أعضاء أميرهم ، وتعليقها على أبواب مدينة الموصل ، ولم يكتف بهذا الفعل الشنيع مع الأحياء ، فإنه أرسل من نبش قبر الشيخ عدي ، وأحرق عظامه ، وهو فعل[1] قبيح من هذا السفاك ، الذي لم يسلم من فتكه حتى الأموات ، وخاصة كالشيخ عدي رحمه اللّه ـ وهذا من الأعمال الفظيعة التي قام بها في توطيد حكمه على الجماجم والدماء ، وانتهاك حرمة الأموات باسم الدين ـ والدين بريء مما فعل .

وفي سنة (٨١٧هـ = ١٤١٤م) تجمع بعض العدوية في لالش ـ حول قبر الشيخ عدي ـ ولم يعتبروا بما كان أصابهم وأصاب هذا المكان ، وعادوا يظهرون المغالاة في الشيخ عدي ، فاتخذوا قبره قبلة لهم ، ثم بعد هذا صاروا يعتقدون فيه أنه هو الذي يرزقهم ، وأسقط عنهم الصلوات الخمس و . . . . إلخ مما أدى إلى استياء جماعة من علماء المسلمين فحرضوا على حربهم .

ومن علماء الدين الذين حرضوا عليهم هو (جلال الدين محمد بن عز الدين الحلواني الشافعي) من فقهاء إيران ، فإنه دعا إلى محاربتهم لأنهم كفروا باللّه ورسوله .

فاستجاب لدعوته حاكم جزيرة ابن عمر (الأمير عز الدين البختي) وجماعة من أكراد السندية ، مع حاكم شراش ـ لعلها شرانس على ما نرى ـ وأمير توكل الكردي ، وأرسل حاكم حصن كيفا جيشاً لمساعدتهم ، والأمير (محمد الجردقلي) وهاجموا العدوية ، وفرقوهم ، ونكلوا بهم ، وأسروا جماعة منهم ، يسمون (بالصحبتية) وجاؤوا بهم إلى قبر الشيخ عدي ، فهدموا قبته ، وحفروا القبر ، وأخرجوا عظامه وأحرقوها بمرأى من أسرى الصحبتية ، وقالوا لهم : انظروا عظام من تدعون ألوهيته كيف تحترق ولا يستطيع أن يمنعنا[2] .

وهكذا تطاولوا أيضاً على انتهاك حرمة قبر الشيخ الصالح عدي فهدموا القبة وأحرقوا ما بقي من عظامه ، إن كان قد ترك بدر الدين لؤلؤ منها شيئاً .

---

(١) الحوادث الجامعة : ٢٧١ ـ ٢٧٢ .

(٢) اليزيدية للعزاوي (١١٢ ـ ١١٤) نقلاً عن السلوك للمقريزي .

ومن النكبات الكبيرة التي حلت باليزيدية ، هي التي كانت على يد محمد باشا الراندوزي المعروف (بكور محمد باشا) سنة ١٢٤٧هـ = ١٨٣١م فإنه فتك باليزيدية الذين كانوا على الزاب الأعلى وفي الشيخان ، فقتل منهم آلافاً ، ولكنه لم يتطاول على التكية العدوية وقبر الشيخ عدي .

وكذا الفريق عمر باشا[1] الذي ساق جيشاً على عين سفني وجبل الشيخ عدي ، فإنه لم يتعرض للقبة ولا للقبر ، وإنما انتزع التكية العدوية من اليزيدية ، واتخذها مدرسة دينية يدرس بها (الشيخ محمد أمين القره داغي) وهو من أجل علماء الموصل .

هذا ما وقفنا عليه من الحوادث التي أصابت التكية العدوية وقبر الشيخ عدي[2] .

يتصل بالتكية العدوية مرافق كثيرة في الجهة الجنوبية : منها مخازن ومنها لسكنى الخدم والمقيمين .

وعلى مدخل الباب الذي يؤدي إلى المصلى كتابات حديثة العهد تشير إلى من قام بتعمير المعبد أو بعض أقسامه .

وفي جبل لالش عشرات القباب الصغيرة ، والمواقع المقدسة لمشائخ المسلمين وزهّادهم مثل الشيخ قضيب البان الموصلي ، والشيخ عبد القادر الجيلاني ، ومنصور الحلاج ، والحسن البصري وأبو زيد البسطامي ، وبلال الحبشي وغيرهم . .

كما نجد كثيراً من الأحجار والأشجار التي في هذا الجبل لها قدسية وحرمة عندهم ، منها : الصخرة التي كان يجلس عليها الشيخ عدي هو وأتباعه إذا ما أراد أن يسمع وعظ الشيخ عبد القادر الجيلاني .

وصخرة (ستون مزارا)أي عمود الحظ : وهي صخرة مرتفعة على شكل عمود ، يقصدها الزوار ويحتضنونها إذا ما أرادوا مطلباً عليها تحقق مطلبهم .

والمكان الذي كان فيه تنور (آسيا)[3] أم الشيخ عدي ــ وغير ذلك من الأشجار والأحجار ، ولذا فإنهم يوقدون ليلاً فتائل ملوثة بالزيت في هذه الأماكن ، خاصة في ليالي

---

(١) وصل الموصل يوم ١٠ ذي الحجة سنة ١٢٠٨هـ = ٥ تموز سنة ١٨٩٢م

(٢) والحملات التي شنت على اليزيدية وغيرهم من الأكراد والقبائل العربية ، كانت كثيرة في العهد العثماني ، ويمكن الاطلاع عليها في الكتب التي تبحث عن هذه الفترة في : منهل الأولياء ومنية الأدباء ، غرائب الأثر ، ودوحة الوزراء ، والعراق بين احتلالين . وغيرها .

(٣) هذا ما يذكرونه ، ولم نقف في مصدر على اسم أم الشيخ عدي .

الزيارات .

وفي الجبل آثار دور كثيرة ، مبنية بالصخور ، بعضها لم يزل قائماً ، وأكثرها متهدمة ، كانت لأتباع الشيخ عدي وخلفائه ، الذين رغبوا في مجاورة التكية ، وقد أبدعوا في هندستها ، فأقاموا قناطر فوق الأودية الصغيرة التي في الجبل ، وشيدوا منازلهم فوقها ، ويكون تحت القنطرة مبلطاً بالصخر ، لكي تنساب فيه مياه الأمطار والثلوج ، كما يكون طريقاً يصل بين الدور . وأنهم تركوا هذا المكان الجميل طلباً للخلاص من النكبات التي حلت بهم .

هذه الدور يمكن الاستفادة منها بإعادتها على ما كانت عليه ، فهي تمثل عمارة جميلة يتخذها أهل الجبال إذا ما ضاقت بهم المكان ـ ولم نجد مثلها كثرة وتقارباً في غير هذا المكان .

وفي جبل لالش كهف لا يعلم عنه إلا بعض رؤساء الطائفة اليزيدية ، في هذا الكهف غرفة منحوتة يسمونها (المجلس الإلهي) ويسمونها أيضاً (مجلس مير) .

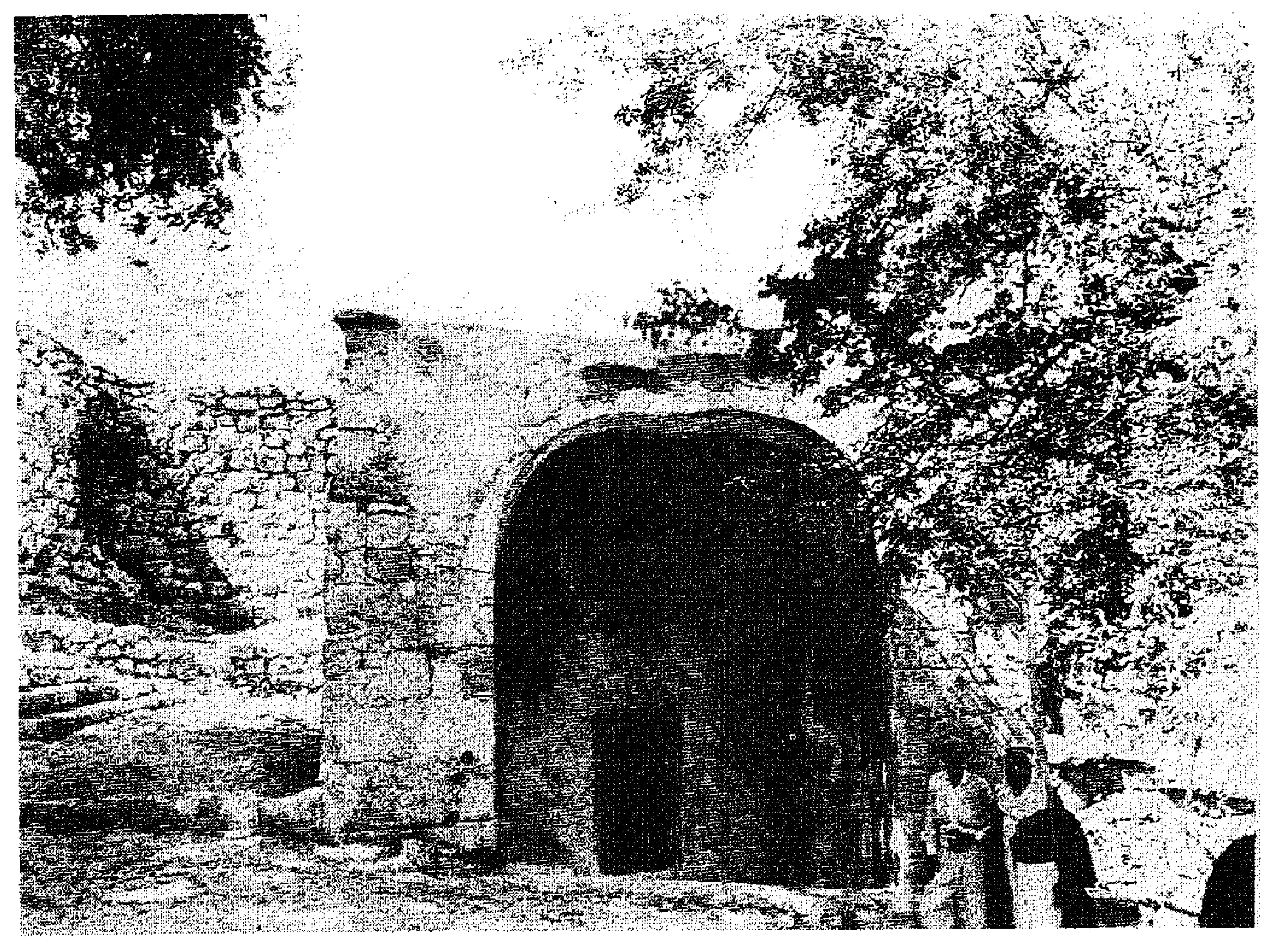
أعلمني بهذا من لا أشك في صحة كلامه ـ أن أحد رؤساء الطائفة اليزيدية ـ بعد أن تأكد من صدقه وكتمانه للسر ـ ، أطلعه على هذا المجلس ، فقال :

أخذني صاحبي اليزيدي إلى كهف مظلم في جبل عرفات ـ في لالش ـ دخلنا الكهف ومعنا سراج ضئيل الضوء ، وسرنا ما يقرب من مائة خطوة في الكهف ، فوصلنا إلى مدخل غرفة منحوتة في صدر الكهف فولجنا فيها ، فاذا هي منتظمة النحت مستطيلة الشكل ، قد وضعوا في أطرافها ٢٤ كرسياً من خشب مطعم ، وفي وسط الغرفة سرير يقرب من سرير طفل عمره سنة واحدة ، ويتدلى من سقف الغرفة فوق هذا السرير قنديل مذهب .

وبعد أن استقر بنا السير قال لي صاحبي وهو يشير إلى أربعة كراس في صدر الغرفة : هذه الكراسي لجلوس الملائكة : جبرائيل ، ميكائيل ، إسرافيل ، عزرائيل . وما تبقى من الكراسي هي لجلوس الأنبياء عليها ، فلكل نبي كرسي يجلس عليها إذا اجتمعوا في هذا المجلس . والسرير هو «لطاووس ملك» الذي له رئاسة المجلس .

وقال لي : يجتمع الملائكة والأنبياء كل سنة مرة واحدة ، ويقررون ما سيكون في العالم من خير أو شر في السنة المقبلة ، وما سيصيب كل جماعة ما يستحقونه من ثواب أو عقاب ، نظراً لما قاموا به من أعمال .

ويكون هذا تحت إشراف «طاووس ملك» الذي يكون له الكلام الفصل في الأمور ثم ينفضون بعد هذا ـ وهكذا يعقد هذا المجلس بصورة متتالية في كل سنة مرة واحدة .



العين البيضاء

مرقد الشيخ عدي بن مسافر الهكاري - التكية العدوية - في لالش

مواطن اليزيدية ـ
وأهم قبائلهم

يقطن اليزيدية في قضائي الشيخان وسنجار، وقليل منهم في قضاء زاخو، وبلغ عددهم في إحصاء نفوس العراق لسنة ١٩٦٥م (٦٥٧١٥ نسمة) وكانوا قبل هذا أكثر عدداً مما هم عليه اليوم، وأن الغزوات المتتالية التي شنتها عليهم الدولة العثمانية، والإمارات التابعة لها، فتكت بالكثير منهم، وخاصة في الذين كانوا في لواء أربيل، فإن محمد باشا الراوندوزي (كور محمد باشا) فتك بهم سنة (١٢٤٧هـ ـ ١٨٣١م)، وقضى عليهم في لواء إربيل، كما أن الحملات التي أرسلت على جبل سنجار أهلكت الكثير منهم.

واليزيدية يتكلمون اللغة الكردية وهي لغتهم الدينية أيضاً، وبعضهم يتكلم اللغة العربية وهم سكان قريتي بعشيقة وبحزاني، وهم ـ على ما يدعون ـ كانوا قد نزحوا من الشام إلى هذه الديار بعد انتشار الطريقة العدوية، وفيهم القوالون والملالي والشيوخ.

أما الأمراء الذين اتخذوا مقرهم في قرية «باعذارا»، فهم من أحفاد الشيخ حسن العدوي الذي حصر الزعامة في أحفاده.

وعلى هذا فأكثر اليزيدية أكراد، وبعضهم يرجعون إلى أصل عربي. فإن انقطاع اليزيدية في الجبال وابتعادهم عن غيرهم من أهل الأديان السماوية، ونفورهم من أرباب الحكم، وانتشار الأساطير والخرافات فيهم، جعلهم يتخبطون في ظلمات الجهل.

وأثر هذا في بعض القبائل العربية المجاورة لهم، والذين تربطهم بهم روابط اقتصادية، فإنهم تأثروا بالعقيدة اليزيدية، فاعتنق بعضهم هذا المبدأ ونسي دينه ـ الإسلام ـ، وبقي بعضهم على دينهم الإسلامي، وهم الذين لم تنقطع صلتهم مع المسلمين.

وأن بعض المسلمين الذين جاوروا اليزيدية، فإنهم جاروهم في زيارة (طاووس ملك) وتقديم النذور إليه حتى صارت من معتقداتهم ـ كما كان عليه البابا وات في سنجار ـ كما أن اليزيدية تأثروا في زيارة (بير زكر)[1] والاحتفالات التي يقيمها البابا وات له فصاروا يشاركونهم في هذا كأنه من معتقدهم، كان هذا التداخل بينهما بتأثير الجهل واستغلال الرؤساء والانقطاع عن غيرهم.

ومن القبائل العربية التي اعتنق بعضها اليزيدية:

(١) قبيلة الشهوان: هم من تغلب عرب خلص، وأن بعضهم الذين اتصلوا باليزيدية وانقطعوا معهم عن المسلمين، قلدوا اليزيدية في معتقدهم ونسوا دينهم ولم يزالوا

(١) مرقد يقدسه البابا وات في سنجار، ولعله من رؤسائهم.

يعرفون «بالشهوانة» وهم يعترفون بأصلهم ـ الشهوان ـ وتربطهم روابط قبلية مع الشهوان المسلمين ، فنجد بعض الشهوان يزيدية ، يتكلمون اللغة الكردية ، وأكثرهم عرب مسلمون يتكلمون لغتهم العربية وهم منتشرون في الموصل وسنجار وغيرها من البلاد .

(٢) الحياليون : وهم من ذرية الشيخ عبد القادر الجيلاني ، أكثرهم مسلمون وبعضهم اعتنق المبادئ اليزيدية .

(٣) قبيلة الهبابات : وهم عرب على ما يدعون ، يذكر بعضهم أنهم من طي . ويدعي بعضهم أنهم من ذرية عمر بن الخطاب ، قدموا من الشام واعتنقوا المبادئ اليزيدية ، وأن بعضهم قد عادر إلى الإسلام وصاروا يقيمون شعائره .

(٤) المسقورة : يدعون أن أصلهم من قبيلة دنبلي ، ويرجعون إلى شخص يدعى (عيسى) ، وهو من عرب الشام ، أكثرهم يزيدية ، وبعض قبيلة دنبلي عادوا إلى الإسلام كما ذكر البدليسي ، وبعضهم يسكن قريتي : «كرسي ، وكرى زركه» في جبل سنجار .

(٥) الجحيش : وهم من طي ، وبعضهم اعتنق اليزيدية ويتكلمون اللغة الكردية ، وأكثرهم ـ كما نعلم ـ عرب مسلمون .

(٦) قبيلة طازي : وهم عرب على ما يدعون ويذكرون أنهم نزحوا مع الشيخ عدي بن مسافر من بلاد الشام إلى لالش .

(٧) عبيدي : ويدعون أنهم من عشائر العبيد . وأن قسماً منهم اعتنق المبادئ اليزيدية .

(٨) إن بعض سكان الموصل الذين تأثروا بالطريقة العدوية ـ من سكان محلة «باب العراق» فإنهم نزحوا إلى جبل لالش ، وبعد القضاء على حركة الشيخ حسن . ولم يزالوا يعرفون بقبيلة (هراقي) أي عراقي .

وفي سنجار قبيلة يسمون (عمرا) يذكرن أنهم من نسل عمر بن الخطاب ﷺ ، نزحوا من الموصل إلى سنجار بعد قتل الشيخ حسن شمس الدين . وهم في ناحية الشمال .

أما في سورية فقد تقدم الكلام على ما كانوا عليه من القوة في إمارة (كلس) وغيرها ، وأن عز الدين حكم ولاية حلب ومد نفوذه على البلاد المجاورة لها . وأن أحد الطواويس ـ السناجق ـ كان خاصاً بولاية حلب لكثرة ما فيها من اليزيدية .

أما اليوم فقد تناقص عددهم لاختلاطهم بأهل البلاد المسلمين وأسلم منهم سكان عدة قرى ، وأقاموا شعائر الدين الإسلامي .

واليزيدية الذين بقوا على دينهم ، قد تخلقوا بأخلاق المسلمين ، ولم يقتدوا بالتعاليم اليزيدية ، دخلوا المدارس ومارسوا مختلف الأعمال الحكومية وغيرها ، ولم يعرفوا من الدين إلا اسمه ، فخرجوا من اعتزالهم وامتزجوا مع غيرهم .

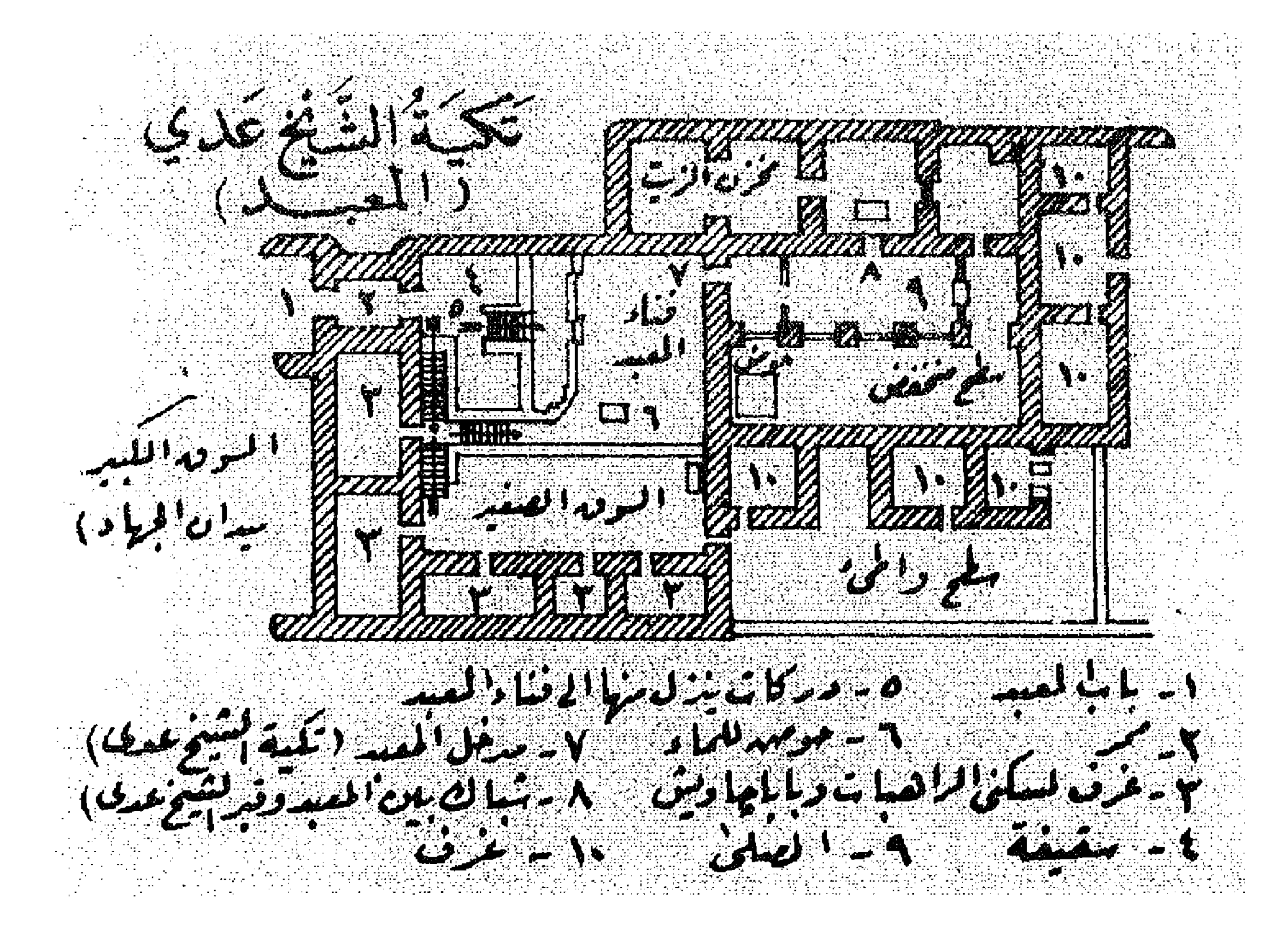
أما في تركيا فكان عددهم كبيراً في عدة مدن ، وقد تقدم الكلام أن بعضهم رجعوا إلى الدين الإسلامي ، كما أن بعضهم هاجر إلى قفقاسيا والعراق ، ولم يزل عدد منهم في : وان ، وديار بكر ، وجزيرة ابن عمر ، ونصيبين وغيرها ، وهم غير متمسكين بدينهم ، وعددهم في تناقص لانتشار الثقافة بينهم ، واتصالهم مع غيرهم من أهل البلاد .

أما في بلاد القفقاس فهم اليوم لا يعرفون من دينهم إلا الاسم لانتشار الثقافة بينهم ، وهم منتشرون في بعض القرى التابعة : لقارس والكسندربول وباكو وغيرها من البلاد[1] .

---

(١) جاء في الإحصاء الروسي الذي كان في ١٩٢٦/١/١٧م أن عددهم (١٤٥٢٢) نسمة في منطقة القفقاس ، بينما كان عددهم سنة ١٩٠١ (٢٥) ألفاً (سامي سعيد الأحمد : ١ : ٤٣) .

بابا جاويش المسؤول عن إدارة المعبد وعن يمينه المستشرق الفرنسي البروفسور جاك بيرك وخادم المعبد والمؤلف وابنه سعد . وعن شماله الدكتور أكرم فاضل





الفقير حمو في الشيرو في الوسط وعن يمينه إسماعيل بك بن حسين بك بن علي بك



جماعة من الفقراء يتوسطهم يزيد خان بن إسماعيل بك من أسرة المير
وعن يمينه الفقير شيرو منت وعن شماله الفقير قاسم منت


الملاحق

الملحق رقم (١)

كانت الدولة العثمانية قد أوفدت أمير آلاي طاهر بك إلى اليزيدية لتجنيد ١٢٠٠ جندي . فجمع الوالي أميرهم ووجهاءهم وقرأ عليهم مرسوم السلطان عبد العزيز (١٢٧٧ ـ ١٢٩٣هـ = ١٨٦١ ـ ١٨٧٦م) بذلك . فالتمسوا من الوالي أن يمهلهم عشرة أيام ،لكي ينظروا في أمرهم . وبعد انقضاء المدة رفعوا عريضة إلى المشير رؤوف باشا ـ والي بغداد ـ يلتمسون عرض مطاليبهم التي ذكروها فيها إلى الدولة العثمانية .

فرفعها المشير المذكور في ١١ آذار سنة ١٢٨٩ رومي الموافق ٢٩ شباط سنة ١٨٧٣م .

ونقلنا العريضة عن كتاب (فريدة السنية في كشف عقائد اليزيدية) لمحمد ذخرى بن الخياط . ذكر أنه نقلها عن أصل العريضة . وقد أبقينا ما فيها من أخطاء لغوية ونحوية ، وتعابير عامية على ما هي عليه ، حفظاً للأصل ،

وهي :

المعروض إلى حضرة ذي العزة مير آلاي أركان الحرب طاهر بك أفندي .

ثانياً لما أمرتمونا بإعطاء البقايا العسكرية ، على موجب القانون الشاهانية ، وهي نفرات[١] القرعة الشرعية . ومعلوم عند حضرتكم أنه ما يمكن أن نعطي النفرات المطلوبة على موجب القانون المذكور . كون أنه يصير في ديانتنا بعض خلل . فلأجل ذلك ما صار عندنا قبوله . ثم لما صار لنا من طرف والينا صاحب الدولة حضرة الباشا دام إلى يوم الجزاء استرحام . وحضرتكم أيضاً عرفتمونا بنود القانوننامة الهمايونية المذكورة ، وكثرة مراحم دولتنا الدولة العلية ، دامت إلى يوم القيامة على كل الرعية ، ذلك الوقت جملتنا[٢] تكلمنا بقول سمعنا وأطعنا ، وامتثالاً لأمر ولي الأمر أعطينا سنداً ، واستناداً لمآل التلغراف[٣] الذي ورد من الولاية المؤرخ ١١ كانون الثاني سنة ١٢٨٨ كتبنا هذه المواد الآتية المحيطة لجميع مرامنا ومقصودنا ، وما لنا قصد سوى هذا الذي ذكرناه في أدنى العرضحال[٤] أفندم :

البند الأول : بحسب ديانتنا اليزيدية ، لازم على كل فرد من طائفتنا كبير وصغير وامرأة

---

(١) نفرات جمع (نفر) أي جندي .

(٢) أي جميعنا .

(٣) البرقية .

(٤) العريضة .

وبنت ، أن يزور طاووس ملك في كل سنة ثلاث مرات ، يعني : أولاً من ابتداء شهر نيسان الرومي إلى آخره . وثانياً : من ابتداء شهر أيلول إلى آخره . وثالثاً : من ابتداء شهر تشرين الثاني إلى آخره . وإذا لم يزر شكل طاووس ملك جل شأنه يكفر .

البند الثاني : كل نفر من طائفتنا صغير وكبير إذا ما زار حضرة الشيخ عدي بن مسافر ـ قدس اللّه أسرارهما العالية ـ في السنة مرة واحدة يعني : من خامس عشر شهر أيلول الرومي إلى العشرين ، بحسب ديانتنا يكفر .

البند الثالث : لازم على كل فرد من طائفتنا ، في كل يوم وقت طلوع الشمس أن يزور موضع شروق الشمس ، بشرط أن لا يوجد واحد من المسلمين والنصارى واليهود أو غير ذلك ، وإذا ما يعمل واحد منهم ذلك يكفر .

البند الرابع : يلزم على كل فرد من طائفتنا كل يوم يبوس(1) يد أخيه في الآخرة ، يعني خادم المهدي ، ويد شيخه وبيره ، وإذا لم يؤد ذلك يصير عليه كفر .

البند الخامس : شيء لا يمكن احتماله بحسب ديانتنا . عند الصباح لما تبدون في الصلاة ، تبدون تقولون كلام ـ حاشا ـ (أعوذ باللّه إلى آخره) وإذا سمعها واحد منا يلزم أن يقتل نفس القائل ، أو يقتل نفسه ، وإلا يصير عليه كفر .

البند السادس : وقت الذي يموت واحد من طائفتنا ، إذا ما كان موجود عنده يعني : يا عبد طاووس ملك جل شأنه ، لازم تموت على دين معبودنا ، هو طاووس ملك جل شأنه ، ولا تموت على دين غيره ، وإذا جاءك أحد وقال لك : مت على دين الإسلام أو دين النصارى أو دين اليهود ، أو على أديان غير ذلك من الملل ، لا تصدقهم ولا تؤمن بهم ، وإذا صدقت أو آمنت من دون دين معبودنا طاووس ملك جل شأنه فتموت كافراً .

البند السابع : عندنا شيء يسمى بركات الشيخ عدي ، يعني تراب تربة الشيخ عدي قدس سره ، لازم على كل نفر من طائفتنا يكون موجود عنده مقدار موضوع في جيبه ، ويأكل منه عند كل صباح ، وإذا ما أكل منه تعمداً يكفر . وأيضاً لما يموت عند قرب الموت إذا لم يكن موجوداً من ذلك التراب المبارك تعمداً يموت كافراً .

البند الثامن : من خصوص صيامنا ، كل فرد من طائفتنا إذا كان أن يصوم ، يلزم يصوم في محله ، لا في غير محل ، من سبب كل يوم من أيام الصيام في وقت الصباح يروح إلى بيت شيخه وبيره يمسك الصيام . ثم وقت الإفطار يلزم أيضاً يروح إلى بيت شيخه وبيره

---

(1) يقبل .

ويفطر على الخمر المقدس مال ذلك الشيخ أو البير ، وإذا ما شرب مقدار قدحين ثلاثة من ذلك الخمر ، صيامه غير مقبول ويصير كافراً .

البند التاسع : إذا واحد من طائفتنا سافر إلى غير محل ، وبقى هناك أقل المدة سنة كاملة ، وبعده رجع إلى محله ، ذلك الوقت تحرم امرأته عليه ، وما أحد منا يعطيه امرأة وإذا واحد أعطاه يكفر .

البند العاشر : إذا واحد من طائفتنا عمل له قميص أو لباس[1] جديد ، من غير ما يعمده في الماء المبارك الموجود في حضرة الشيخ عدي قدس سره ، ما يمكن يلبسه ، وإذا لبسه يكفر .

البند الحادي عشر : من خصوص ملبوسنا مثل ما ذكرنا في البند الرابع ، على أنه كل فرد من طائفتنا له أخو الآخرة ، أيضاً له أخت الآخرة ، فبناءً على ذلك واحد منا إذا أراد أن يعمل له قميص جديد ، يلزم أن المذكورة اخته الآخرة تفتح زيقه[2] بيدها ، أي ذلك القميص ، وإذا لم تفتح في يدها زيقه إذا لبسه يكفر .

البند الثاني عشر : لباس الكحلي[3] ما نقدر نلبسه قطعاً ، وفي مشط المسلمين والنصارى واليهود أو غير ذلك ما نقدر نمشط رأسنا أبداً . ولا في موس الذي يستعمله غيرنا نحلق رؤوسنا فيه . إلا إذا أردنا أن نغسله في الماء المبارك الموجود في حضرة الشيخ عدي قدس سره . ذلك الوقت إذا حلقنا رؤوسنا فيه جائز . وإذا لم يكن مغسولاً في ذلك الماء المبارك وحلقنا رؤوسنا نكفر .

البند الثالث عشر : كل نفر يزيدي ما يقدر يدخل إلى الطهارة[4] ، ولا يروح إلى الحمام ، ولا يأكل في معلقة[5] المسلم ، ولا يشرب في شربة[6] المسلم أو غيره من الملل السائرة ، وإذا دخل الحمام أو الطهارة أو أكل أو شرب في معلقة المسلم والذين ذكرناهم يكفر .

---

(١) لباس : سروال

(٢) زيقه ـ جيبه ، أي فتحة القميص .

(٣) الأزرق .

(٤) المرحاض .

(٥) ملعقة .

(٦) كوز .

البند الرابع عشر : من طرف[1] الأكل كثير فرق بيننا وبين سائر الملل مثل : لحم السمك ، ومثل القرع والباميا والفاصوليا واللهانة والخس ما نأكله ، حتى مكان التي مزروع فيها خس ما يمكن أن نسكنها . فبقى إذا كان هكذا حال طائفتنا ما يمكن أن نخالط مسلم أو نصارى أو يهود أو غيرهم من الملل ، من دون عبي طاووس ملك جل شأنه .

فكيف يقبل إنصاف الدولة العلية دامت إلى يوم القيامة ، أن تلزمنا بإعطاء النفرات على موجب القانون ، مع أنه قد أعطت الحرية إلى جميع رعاياها أن يقضوا دياناتهم في كمالها . فبقى رعيتكم قد أفدنا[2] إلى حضرتكم عذرنا والمرحمة والإنصاف لكم . ونحن على كل حال مطيعين أمر الدولة العلية ، وإلى أمر حضرة مشيرنا ووالينا الأضخم حفظه ربنا المعظم ، فبقى نرجو من إحسانكم أن تقدموا هذه أعذارنا إلى حضرة مشيرنا ووالينا المشار إليه ، لكي يصير معلوم عند حضرته ، ويعاملنا بحسب إنصاف ومروؤة الدولة العلية ، لا زالت دائمة وظلها على الرعية آمين . والباقي الأمر لمن له الأمر أفندم .

٢١ ذو الحجة سنة ١٢٨٩

رئيس طائفة يزيدية
أمير شيخان : حسين

شيخ روحانية طائفة يزيدية
ناحية شيخان : شيخ ناصر

كاباره قريه سي مختاري
كوجك قاسو

خورزان قريه سي مختاري
نعمو والد حسين

سينا قريه سي مختاري
عبدو ولد شيرو

باقرصه قريه سي مختاري
علي ولد إبراهيم

عين سفني قريه سي مختاري
كركو ولد علي

بعشيقة قريه سي مختاري
جمعة ولد فهد

---

(١) من خصوص .

(٢) شرحنا .

قصر يزدين قريه سي مختاري
شيخ حيدر

خوشابا قريه سي مختاري
إلياس ولد مصطفى

كبرتو قريه سي مختاري
طاهر ولد سعدون

كرى فحم قريه سي مختاري
صغو ولد داؤد

مام رشان قريه سي مختاري
مختار بيرسليمان

موسكان قريه سي مختاري
مراد ولد سودد

حتاره قريه سي مختاري
أيوب ولد شير

خانك قريه سي مختاري
عثمان ولد جولو

بيبان قريه سي مختاري
حسين كوراني

دهكان كبير قريه سي مختاري
حسن ولد عرب

الملحق رقم (٢)

كان الملوك والأمراء إذا ما أرادوا غزو بلد أو جماعة لم يرضخوا لحكمهم أوعزوا إلى بعض العلماء بإصدار فتوى توجب على رجال الحكم محاربتهم ؛ تحلل لهم أموالهم وأرواحهم ، وتجعل دارهم دار حرب .

ولما اشتد النزاع بين العثمانيين والفرس على حكم الهلال الخصيب ـ في القرنين الحادي عشر والثاني عشر للهجرة ـ فإن كلا الطرفين حرض علماء مذهبه على إصدار فتاوى يكفر بها خصمه ، ويوجب حربه ، فصدرت عدة فتاوى من علماء الدولة العثمانية ، يكفرون بها الفرس ، ويدعون أن الفرس مرتدون ودارهم دار حرب . كما أصدر علماء الفرس ـ الشيعة ـ فتاوى ضدها يحرضون بها على محاربة العثمانيين الذين يسعون لمحاربتهم باسم الدين . والإسلام بريء مما فعله الطرفان .

ومن هذا ما فعله العثمانيون وولاتهم مع اليزيدية ، وحملوا العلماء على إصدار فتاوى توجب محاربتهم ، لأنهم مرتدون عن الإسلام . فصدرت عدة فتاوى بتكفيرهم ووجوب تأديبهم .

وإذا دققنا الفتاوى المذكورة ، فإننا نجدهم اتهموا اليزيدية بما نقله إليهم المحرضون ، مثل إباحة الزنى وغير ذلك . وعلى هذا فإننا أعرضنا عن نقل هذه الفتاوى ، قد ذكرها كثير من الباحثين . مما وقفنا عليه منها :

١ ـ فتوى أبي السعود العمادي (أحمد بن مصطفى ٨٩٦ ـ ٩٨٢هـ) وكان من علماء الدولة العثمانية ، تولى منصب إفتاء دار الخلافة سنة ٩٥٢هـ ، وشغل هذا المنصب الخطير في الدولة العثمانية مدة ثلاثين سنة ، أصدر فتواه بأمر السلطان سليمان القانوني المتوفى سنة ٩٧٤هـ ، وأوجب حربهم . وأن دارهم دار حرب ما لم يرجعوا إلى الإسلام[١] .

٢ ـ فتوى الشيخ عبدالله بن الشيخ أحمد بن حسن بن أحمد الزيزي الربتكي (١٠٦٠ ـ ١١٥٩هـ) كان أحد علماء عصره في الفقه والعلم والورع ، درس عليه أكثر علماء الموصل ، وله عدة مؤلفات ، ومنها الفتوى التي أصدرها سنة ١١٣٧هـ بوجوب حرب

(١) العقد المنظوم في ذكر أفاضل الروم : ٢٨٢ ـ ، الدملوجي ٤٢٨ ـ ٤٣٢ .

اليزيدية وإباحة أموالهم وأرواحهم[1] .

٣ ـ فتوى الشيخ الشيفكي ، وهو من علماء الأكراد .

٤ ـ فتوى محمد أمين بن خير اللّه الخطيب العمري (١١٥٠ ـ ١٢٠٣هـ) ، فبعد أن أبدى رأيه فيهم ونقل من فتوى أبي السعود العمادي ، فإنه جعلهم مرتدين وأوجب على أولي الأمر محاربتهم[2] .

٥ ـ كتاب فريدة السنية في كشف عقائد اليزيدية ، لمحمد ذخري بن أحمد الخياط الذي ألفه في زمن السلطان عبد العزيز بن السلطان محمود العثماني (١٢٧٧ ـ ١٢٩٣هـ) لما أصدر أمره بتطبيق قانون الجندية على كافة تابعي الدولة العثمانية ، وامتناع اليزيدية عن هذا . فإنه ألف هذه الرسالة وجاء في أولها : (بادرت إلى كشف أغطية قلوب الجاهلين من المسلمين ، والتشنيع على ألأم الكفرة المرتدين ، عبدة الشيطان بتحرير رسالة تحتوي على مقاصد جلية ، وأحكام شرعية فرضية إلخ . .) وقدمها إلى محمد طاهر بك أمير الأركان الحربية الذي جاء لتطبيق قانون الخدمة الإجبارية واعتبرهم مرتدين عن الإسلام ، وأوجب حربهم ، ونقل من فتوى أبي السعود وغيره .

---

(١) منهل الأولياء : ١ : ٢٥٠ ـ ٢٥١ ، سلك الدرر : ٣ : ١١٧ ، العزاوي : ٨٤ ـ ٨٩ ، الدملوجي : ٤٣٤ ـ ٤٣٩ والذي نراه أن الفتوى كانت سنة ١١٢٧هـ لما غزا والي بغداد حسن باباش يزيدية سنجار ، ولم نجد ذكراً لحربهم في سنة ١١٣٧ .

(٢) كان هذا سنة ١٢٨٩هـ ـ ١٨٢٩م ، غاية المرام : ١١٧ .

الملحق رقم (٣)

جاء في مذكرات الخوري بهنام بدرية (١٨٣٨ ــ ١٩٢٤م) عند كلامه عن حوادث الفريق عمر وهبي باشافي الموصل سنة (١٣٠٨هـ = ١٨٩٢م)، وما فعله مع اليزيدية وأخذ منهم :

١ ــ بعض طاسات مكتوبة، وبعض شمعدانات ومسارج وسكاً وحبالاً مع خرقة صفراء، وحبالاً من شعر أسود فيها حلقات من نحاس أصفر، يلبسها الكوجكات، وجماعتهم تتبرك فيها. ومكتوب على إحدى الطاسات بسم اللّه الرحمن الرحيم، أعوذ برب الناس، ملك الناس، إله الناس من (شر) الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس.

٢ ــ وأتوه بعد ذلك بسناجق وديوك نحاسية بعين عوراء، وما خفي عنه سوى الديك الكبير المسمى (الهنزري) فإنه مطمور تحت الأرض.

وأرسل رشيد أفندي[١] إلى الشيخ عادي، وسأل الجاويش عن موضع الديك الكبير ــ طاووس ملك ــ وبعد تهديد دله على مكانه، فحفروا عمق قامة إنسان حتى وجدوه، وكان مكتوباً على صدره (عنزرة أو عستريت) وحمل إلى الفريق في الموصل.

٣ ــ أمر الفريق علي بك أن يحضر إليه كتاباً وقنديلاً، ذكروا أنهما في بيت أخته، فأحضرهما، فوجد ابن الفريق على القنديل مكتوباً آية من القرآن الكريم، فقبله ابن الفريق، وقال : هذا من أثر نبينا ﷺ. وكان ورق الكتاب من جلد الغزال، وجلده من جلد ذئب فقرأ فيه : اللّه هو اللّه، وملك فخر الدين هو اللّه، وشيخ السجادين هو اللّه، والشيخ بكر هو اللّه، فقال هذا كفر وحرقه بالنار.

٤ ــ وطلب من الشيخ ياسي أن يأتيه بطوق الحديد ومربطه الذي يزعمون أنه «لطاووس ملك»، شيطانهم وإلههم، و٣٢ قنديلاً معدنية يستعملونها في عبادتهم، لأنه سمع من ميرزه بك أنها عنده. ولما أحضرها بين يديه سأله : هل هذه عمل اللّه أم عمل الإنسان؟ فقال بل هي عمل اللّه. فقال إذن لا تؤذيك. ثم سخن طوق الحديد بالنار حتى صار كجمرة نار ووضعه في عنقه فاحترق جسمه، وغاص فيه الحديد، فأعلن الشيخ ياسي حينئذ بأنه مسلم.

---

(١) العمري

٥ ـ ثم أرسلوا إلى قرية (يزدين) في طلب (مصحف رش) من الشيخ ميرزه بن مامكي المسمى عندهم (بما) فلما أحضر قرأ فيه ابن الفريق : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم . وكان ـ على ما قيل ـ اسم الشيطان مغطى بقطعة شمع . فقال لهم ابن الفريق : إنكم تزعمون أن هذا الكتاب نزل من السماء ، فإذا كان اسم الشيطان لا يجوز أن يلفظ ، فلم كتبه الله فيه ؟ وإذا كتبه هو فلماذا تغطونه ولا تقرؤونه ولا تلفظونه؟

أما الشيخ ميرزه فأراهم كتاباً وقال : هذا قد تركه عندي رجل اسمه (شستر المهندس) وهو نسخة الكتاب الذي تطلبونه مني ، لأن شستر أخذ أصل الكتاب[1] .

(١) ربما أخذ أحد كتبهم التي وضعها الشيخ حسن أو من بعده . وأعطاهم بدلاً منه كتاباً آخر .

الملحق رقم (٤)

كان الملا أنور المائي قد عثر على نسخة من كتاب (الجلوة)، مكتوب باللغة الكردية، وهو غير الجلوة التي تكلمنا عنها ونشرناها[1].

وأعلمني: أن النسخة التي عثر عليها، تتألف من سبعة أبواب، في كل باب منها سبعة فصول، كل فصل يتألف من سبعة أبيات، وكل بيت منها سبعة أشطر.

وكان قد ترجم هذا الكتاب إلى اللغة العربية، وقدم لي منه ثلاثة أبواب، وهي التي ننشرها في هذا الملحق.

وحاولنا أن نقف على الأبواب التي لم نتمكن من نسخها، فلم نتوفق لذلك

واتصلنا بولده السيد معصوم وسألناه عن هذا الكتاب، فأعلمنا بأنه لا يعرف مصيره. وكنا نتمنى أن نقف على الكتاب بأجمعه، لعلنا نهتدي إلى الزمن الذي وضع فيه. فيكشف لنا مرحلة مطوية من مراحل الغلو التي سلكها اليزيدية.

وإذا رجعنا إلى الباب الأول من هذا الكتاب فإننا لا نجد فيه ما ينافي التعاليم الإسلامية، بل إنه قد اتبع ما جاء في القرآن الكريم عن التوحيد وصفات اللّه عز وجل.

وفي الفصل الثاني من هذا الباب يتكلم عن خلق الإنسان والعالم، والليل والنهار، وأن اللّه تعالى هو المتصرف في العالم، وبيده كل شيء، وهو خالق كل شيء، لا يشاركه في خلقه أحد، وأن على الإنسان أن يذكره سراً وجهراً ليلاً ونهاراً.

ثم يتكلم في الفصول التالية أنه هو الرزاق الرحيم، وأن على الإنسان أن يسعى، ومن اللّه التوفيق، ويضرب الأمثال بتدرج خلق الإنسان من يوم حمله إلى موته، وأن ما في العالم من مخلوقات؛ هذه الجبال والقمم الشامخة، والمياه بأمواجها المتراكمة، والطيور بأنواعها المختلفة المغردة منها والصامتة، والصحارى والبحار والريح والأمطار، كلها آيات بينات بأن لها خالقاً، ألا وهو العلي العظيم.

ويذكر في الفصل: الرابع أنه أرحم بكم من أبويكم، وأن رحمته عمت الأرض، وملأت الأرض والسموات، من طلبها وجدها، ومن أعرض عنها باء بالخسران.

وأنه علم الإنسان طريق الخير والشر، وسهل له طريق الخير لكي يكون له حجة على البشر، فالمطيع حبيبي، والعاصي بعيد من رحمتي.

---

(١) ص: ١٤٥ ـ ١٤٧.

وعلى هذا لا تيأس أيها العاصي ، فإذا ما تبت توبة نصوحة فاني أغفر لك ، فلا تؤخر التوبة .

ويحذر الإنسان من أن يكون بطراً في النعماء ، قنوطاً في البأساء : اذكروني في الرخاء ، اذكروني في الشدة ، فأنتم من التراب إلى التراب .

وفي الفصل الخامس نجد انحرافاً عن الحق في معرفة الشرائع ، فيقول : لا تتعب نفسك في سبيل معرفة كتبي ، ولا تتعب فكرك في معرفة أسباب شؤوني ، وكيف تعرف شؤوني ، وعلمك ومعرفتك قطرة من بحر معرفتي .

ثم نجده يعدد نعم اللّه على عباده ، ويأمرهم بالتوبة ، وأن يعملوا للدنيا والآخرة معاً ، وأن حبيبه هو الذي يأخذ نصيبه من الدين والدنيا .

وفي الفصل السادس يخاطبهم : لا ينفعني خيركم ، ولا يضرني شركم ، طوبى لمن ألجم شهوته ولم يطع هواه ، والويل لمن تسلطت عليه شهواته ، وغلبت عليه شقوته .

ويعني الإنسان بالإقدام على العمل الصالح ، والتقرب إلى اللّه ، ويحذره من الندم : وأبواب رحمتي مفتوحة لكل واحد ، الأمير والفقير ، والكبير والصغير .

وفي الفصل السابع يؤكد عليهم بالخضوع للّه عز وجل ، والمحبة للّه : اخضع لي وحدي ، وخف مني وحدي ، وأحبب من تحبه من أجلي ، وأبغض من تبغضه من أجلي ، وهو بهذا يحثهم على التقرب من مشائخهم الذين أحبوهم حباً جماً .

وينتهي الفصل بقوله : قلب الدنيا «داسن» ، وقلب داسن «وادي لالش» ، وهبتكم داسن وما تختارونه من الدنيا ، فعليكم بطاعتي ، والزموا السراط المستقيم .

لا شك أن هذا السراط هو اتباع ما يرسمه لهم مشائخهم ـ منظمو الدعوة ـ من تعاليم يسيرون عليها . والذي نراه : أن واضع هذا الباب رجل بصير بالأمور ، من دهاة زمانه ، يحسن التصرف بعقول أتباعه ، ويتدرج معهم فيما يريد أن يلقيه إليهم . فإنه لم يخرج عن التعاليم الإسلامية ، ويؤكد عليهم أن اللّه وحده هو الخالق الرزاق العليم ، بيده مقاليد الأمور ، وهو على كل شيء قدير ، لا يشاركه في ملكوته أحد ، يقبل التوبة من عباده ، ويأمرهم بالعمل للدنيا والآخرة .

وأنه يحب من يحب أولياءه حباً خالصاً للّه ، ومن هنا يبدأ بهم في ربط الداسنيين بمشائخهم الذين أحبوهم وأخلصوا لهم ، كما قدمنا .

وجعل (داسن) قلب الدنيا ، وقلب داسن «وادي لالش» الذي فيه التكية العدوية ، وفيها قبر الشيخ عدي مؤسس الطريقة ، ومقر خلفائه من بعده ـ المشائخ العدوية ـ .

فوهبهم داسن وجعلها أشرف مكان ــ قلب الدنيا ــ ويؤكد عليهم أن يلزموا السراط المستقيم ، الذي يلقيه إليهم مشائخهم .

ولربما كان هذا الباب هو أحد أبواب كتاب (الجلوة لأرباب الخلوة) الذي وضعه الشيخ حسن ــ كما قدمنا ــ وجعل فيه الغلو : حب المشائخ ، ووادي لالش قلب الدنيا ، وهو ما ذكره المؤرخون أنه زاد في الشيخ عدي ــ وهذا أول الغلو عند اليزيدية .

وفي الباب الثاني نجد الانحراف عن الدين واضحاً ، في تبرئة إبليس من امتناعه عن السجود لآدم ، فقال : خلقت الملائكة وجمعتهم جميعاً ، وفصلت لهم كل شيء ، وأوصيت يوماً بأنني أنا الذي أستحق الصلاة والخضوع والعبادة وحدي . مضت أربعون ألف سنة ، ثم خلقت آدم في أحسن تقويم ، وأردت أن أمتحن الملائكة فأمرتهم بالسجود له . نسي الملائكة ما كانت أمرتهم به قبل أربعين ألف سنة ، فسجدوا لآدم وصلوا له ، إلا تادوسا (طاووس) فإنه تذكر أمري فلم يسجد له . فجازيته بأن سميه (الملك تادوس) وجعلته رئيساً لجميع الملائكة ، وأستاذاً مرشداً لآدم في الجنة ، وسلمت بيده مفاتيح اللوح المحفوظ ، ليستمد منه أوامره ونواهيه ، وملكوت السموات والأرض عامة .

وفي الفصل الثاني خلق ستة من الملائكة معاونين لتادوس ، كل واحد يقوم بما خصص له اللّه ، فلكل واحد منهم وظيفة مستقلة ذكرها . ولم يقل عنهم أنهم آلهة ، كما نجد هذا في الجلوة التي وضعوها فيما بعد .

وفي الفصل الثالث يزداد الانحراف عن الإسلام ، فإنه خلق من عكس نور (طاووس ملك) الشيخ (أدى ــ عادي = عدي) ولما حان وقته ظهر في هذه الدنيا ، وأخذ بيده رئاسة الأنبياء .

ثم ذكر من خلقهم من مشائخ العدويين من عكس نور الملائكة الذين ذكرهم .

وفي الفصل الرابع يتكلم عن خلق الجن ، ولهم ثلاثة رؤساء يمتثلون أمرهم ، وجعل الملك نورائيل مسلطاً على هؤلاء الثلاثة ، يطيعونه ولا يعصون أمره .

وفي الفصل الخامس ينوه بشأن الشمس والقمر ، ويحذرهم أن لا يحلفوا كذباً بهما : نوري منبع نورهما ، ومن نوري تتدفق الأنوار ، وأنه يبارك أهل الأرض مع أول إشعاع الشمس مرة واحدة في اليوم ، وفي يوم النوروز سبع مرات .

وهنا نرى الاهتمام بعيد النوروز ، ويوصيهم أن يصلوا له كل يوم مرتين . وأن يصلوا ليلة النوروز سبع مرات ، وينهي الفصل بقوله : أنا ربكم وخالقكم وإلهكم ، إنني أنا اللّه العلي ، ليس لي شريك ولا صاحب .

فجعل في هذا الفصل الصلاة مرتين في اليوم ، وسبع مرات في يوم النوروز . وهذا كفر وزيغ عن الدين الإسلامي .

وفي الفصل السادس يتكلم عن خلق العرش والزمان والملائكة والأفلاك ، والشمس والقمر ، والكواكب والأرض إلخ . . . .

وفي الفصل السابع يتكلم عن خلق العناصر الأربعة : الماء والتراب والنار والهواء ، وقد ظهرت من العدم إلى الوجود بأمره .

ثم نراه يستفهم عن خلق الماء والتراب والهواء والنار ، ويجيب أن خالقها هو اللّه العلي ، وهكذا يستمر في الاستفهام والجواب .

وفي الباب الثالث يذكر : كنت ولم يكن أحد ، ولا شريك لي ، وسوف أبقى حياً إلى الأبد ، وعلى العالم كله الفناء .

ويتكلم عن أهمية كتاب الجلوة : أنزلت عليكم الجلوة ، وفصلتها لكم تفصيلاً وفق ما تقتضيه مصالحكم وجعلت الجلوة مرشدة للداسنيين ، فاعملوا بما فيها لكي لا تضلوا ، وأن أهملتموها ولم تعملوا بها ، يا أهل داسن فسوف تخسرون خسراناً مبيناً .

فقد أحل الجلوة محل القرآن الكريم ، وأمرهم أن يعملوا بما فيها ، وحذرهم من أن يعدلوا عنها ، فهي خاصة بالداسنيين ، أنزلها إليهم يكشف عنهم ظلام الجهل ، وجعلها مصباحاً منيراً لمن يتبعها ويعمل بما فيها . وليعلم العالم بما فيها ، فقال : أرسلت الجلوة للداسنيين لكي يعرفوني ، ولكي يجتنبوا السيأت ، ويعملوا الصالحات ، وليعلموا العالم بذلك إلخ . . .

وفي الفصل الثاني يذكر أنه بعث من الداسنيين ثلاثة أنبياء عظام ، وجعلهم مرشدين ومصلحين وأسياداً لهم . ثم يذكر أنه أرسل أنبياء كثيرين إلى عباده الصالحين فآمنوا بهم ، ولا تذكروهم إلا بخير . وذكر نوح وإبراهيم وموسى وهارون . وقال عن محمد (ﷺ) : وأرسلنا محمداً من مكة ، وجعلناه سيداً ورسولاً ، وعلمناه ما لم يعلم ، وفجرنا له ماء الكوثر وزمزم .

وفي الفصل الثالث يتكلم عن حكم وأمثال جميلة .

وفي الفصل الخامس يأمرهم بنصح الناس ، ويحذرهم من أن يستمروا بالعصيان ، بل عليهم أن ينصحوا الفتى السكران أن يقصد لالش ويغتسل من الذنوب . وأن من العار على الإنسان أن يستمر بذنبه وقد بلغ من الكبر عتياً .

وعلى هذا نرى الابتعاد عن الإسلام والكفر واضح في هذه الفصول التي ذكرناها :

١ ــ يبرئ الشيطان من امتناعه عن السجود لآدم ، ويجعله رئيس الملائكة ومرشداً لآدم ،

وله ملائكة يمتثلون أمره .

٢ ـ يجعل الشيخ عدي نبياً خلقه اللّه من نور طاووس ملك .

٣ ـ أنزل إلى الداسنيين ثلاثة أنبياء .

٤ ـ جعل قلب الدنيا ، داسن وقلب داسن وادي لالش .

٥ ـ تعلق القوم بمشائخهم .

٦ ـ جعل الصلاة مرتين في اليوم .

٧ ـ الاهتمام بالشمس والقمر ويوم النوروز . . إلخ .

هذه الأمور كلها كفر وضلال وابتعاد عن الإسلام .

الجلوة
الباب الأول
الفصل الأول

١ ـ إني خلقتكم أجمعين وأحسنت خلق السموات والأرض . . . . بسطتها بغير عيٍ وبدون ركن .

٢ ـ كنت ولم يكن أحد ، ولم يكن لي شريك ، وكنت واحداً وفرداً ، وسوف أكون ولا يكون معي أحد بلا صاحب فأبقى واحداً .

٣ ـ لا أحتاج إلى أحد ، وكلكم تحتاجون إلي . إني أنا اللّه العظيم ، إله واحد في السماء والأرض .

٤ ـ أنا أقرب إليكم من أرواحكم ، في الليل والنهار ، أنا في كل زمان معكم وأنا عالم بما تعلمونه وما تقولونه سراً وجهراً .

٥ ـ أسمع وأرى ما فوقكم وما تحتكم ، وما هو أمامكم وخلفكم ، أنا بما تعملون عليم ، وبما تكتمونه في أنفسكم . أنا اللّه الرحمن الرحيم .

٦ ـ أنا الذي ألفت بين الروح والجسد . وإن فرق بينهما الموت ، بيدي هذه الحياة ، أنا معلم معين لكم . وأنا ربكم فاعبدون . أنا خالق سرنديب ، وخالق داسن .

٧ ـ لا أنام ولا آكل ، ليس لي محل ولا مكان . أنا حاضر في كل مكان ، أنا الذي أدبر أمر الموت . أنا الرزاق المعطي ، ليس لي صاحب ولا شريك .

الفصل الثاني

١ ـ خلقت الموت والحياة ، أولج الليل بالنهار والنهار بالليل ، أنا أضحك وأبكي فمن الذي يخيفني؟

٢ ـ أنا معكم في الجبال ، وأنا معكم في الصحارى ، وأنا معكم في البحار ، عليم بما تعملون ، عليم بحال النحل والنمل .

٣ ـ إن تعدوا نعمة اللّه بألسنتكم وأفواهكم ليلاً ونهاراً فلا تحصون منها إلا بقدر شعرة ، أو بمقدار حبة خردل من نعيمي ، أنا وحدي أعلم السر وأخفى .

٤ ـ إنا خلقناكم من نطفة ، فجعلنا النطفة علقة فجعلنا العلقة مضغة ، فكسونا المضغة عظاماً ، ثم جعلناكم بشراً يشعر بعد أربعة أشهر ، ولما بلغتم التاسع خرجتم إلى الدنيا

باكين، وبعد أيام تضحكون.

٥ ـ الشمس قطعة من نوري، والقمر شعلة من نوري.

٦ ـ . . . .

٧ ـ اذكروني في خيالكم، واذكروني في أفكاركم، واذكروني في قلوبكم، واجعلوني قرة أعينكم، تكونوا من الرابحين.

الفصل الثالث

١ ـ أنا ولي من لا ولي له، أرزق الدود في وسط الحجر، أعلم فأرزقه ولا أنساه، ولا يمكن أن أتركه.

٢ ـ اذكروني في الأفراح والمسرات، واذكروني في المواقف الحرجة، واذكروني عند الغضب والتهاتر(١)، واذكروني سراً وعلناً.

٣ ـ ولدتكم من أمهاتكم لا تعلمون شيئاً، ثم صرتم شباباً سكارى مدة قصيرة، ثم انحرفتم إلى المشيب من بعد قوة ضعفاً وأفكاركم تغدو بيضاء بعد أن كانت سوداء ـ العظمة للّه العلي.

٤ ـ ترى العيون البراقة تتحول عند المشيب إلى(٢) . . . . . ويغدو الجسم الذي كأنه فولاذ هزيلاً لا حراك به ولا شعور. العظمة للّه العلي.

٥ ـ ما أشبهكم أيها الناس أنتم ودنياكم هذه إلا بالربيع حينما يقبل بلذائذه وأفراحه، فيتلوه الصيف بمسراته وخيراته، فإذا بالخريف يعقبه بآلامه وأحزانه، فيتلوه الشتاء بقسوته وزمهريره، فترى الأشجار يابسة حزينة، بعد أن كانت خضراء ضاحكة.

٦ ـ فالربيع والصيف والخريف والشتاء، وهذه الدنيا وهذه الأرضون، والنجوم والسموات كلها براهين جلية على وجود مدبر لها، ألا وهو اللّه العلي العظيم.

٧ ـ هذه الجبال والقمم الشامخة، والمياه بأمواجها المتراكمة، والطيور بأنواعها المختلفة، المغردة منها والصامتة، والصحاري والبحار، والرياح والأمطار كلها آيات بينات بأن لها مالكاً، إلا وهو اللّه العلي العظيم.

---

(١) التهاتر: ادعى كل واحد على الآخر باطلاً.

(٢) بياض بالأصل.

الفصل الرابع

١ ـ إني أرحم بكم من أبويكم ، وإني أنظر إليكم بعين العطف والشفقة ، أبواب رحمتي مفتوحة أمامكم ، وأنا لست بسريع العقاب .

٢ ـ رحمتي عمت الأرض ، وملأت الأرض والسموات ، من قصدها ملأت جيوبه ، ومن أدبر عنها فقد باء بالخسران والندم .

٣ ـ علمتكم طريق الخير ، وعلمتكم طريق الشر ، وسهلت لكم طريق الخير لكي لا يكون لكم حجة يوم لا ينفع الندم .

٤ ـ كلكم عندي سواء ، أما المطيع فهو مقرب إلي ، ألا إن العبد المطيع حبيبي ، أما العاصي فهو بعيد من رحمتي .

٥ ـ لا تيأس أيها العاصي ، فإذا ما تبت توبة نصوحة فإني أغفر لك ذنوبك ، لا تستحي مني وتب إلي ، ولا تمهل التوبة .

٦ ـ لا تكن بطراً في النعماء ، ولا تكن قنوطاً في البأساء ، الزمان فوقكم يستهزئ بكم ، فكم من فرح أصبح هماً ، وكم من هم صار فرحاً .

٧ ـ اذكروني في الرخاء ، واذكروني في الشدة ، خلقتك من حفنة تراب ، وستعود إلى حفنة تراب .

الفصل الخامس

١ ـ لا تتعب نفسك في سبيل معرفة كنهي ، ولا تتعب فكرك في معرفة أسباب شؤوني ، وكيف تعرف شؤوني وعلمك ومعرفتك قطرة من بحر معرفتي .

٢ ـ إرجع إلى نفسك وتأمل كثيراً ، من أين تستمد نور بصرك؟ ومن أين يكون سمعك وشمّك؟ ومن أين ذوقك الذي في لسانك؟ كلا : فإن بيعت هذه الحواس فليس لك ما تدفعه عوضاً لها من الثمن .

٣ ـ أنعمت عليكم باللذة في الطعام ، وأنعمت عليكم بألف نوع من الأطعمة المختلفة الطعم واللون ، من اللحم والسمن والدهن والخبز والطبيخ بأنواعه المختلفة ، وأنعمت عليكم بألف نوع من الفواكه المختلفة الطعم واللون ، فهل بقى لكم علي طلب ؟

٤ ـ إذا منع طعامكم وغير ماؤكم ثلاثة أيام بلياليها ماذا تعملون؟ وإذا أظلمت الشمس عليكم سنة كاملة ماذا يكون مصيركم؟

٥ ـ توبوا وخافوني واعبدوني مخلصين ، اقرنوا الطاعة بالعمل الصالح وحاذوا بين الدنيا

والدين ، فالدين لا يدوم بلا دنيا ، كما أن الدنيا لا تصلح بلا دين .

٦ ـ هل تعلمون من هو حبيبي؟ هو الذي يأخذ نصيبه من الدين والدنيا ، والذي ليس له نصيب من الدنيا لا يكون له نصيب من الدين مطلقاً ، لأنه يضطر إلى اكتساب الرذائل .

٧ ـ أسر وأفرح حينما تفرحون أولادكم بهداياكم ، فيرقصون فرحاً ، ويلبسون الثياب البيض والحمر ، ويشبعون فرحين بما كسبت أيديكم من الرزق الحلال ، كل ذلك يسرني أكثر مما يسر الأولاد .

الفصل السادس

١ ـ لا ينفعني خيركم ، ولا يضرني شركم ووزركم ، لكم حسناتكم ولا يضيع عندي ما كسبتم من السيئات .

٢ ـ طوبى لمن ألجم شهوته ولم يطع هواه ، والويل لمن تسلطت عليه شهوته وغلبت عليه شقوته .

٣ ـ طوبى لمن غلب عقله عواطفه ، والويل لمن غلبت عواطفه عقله .

٤ ـ خلقتكم وهديتكم سبيلي الخير والشر ، ويسرت لكم الطريق ووهبتكم الاختيار ، غير أنني كنت فوقكم رقيباً لا يغفل عنكم .

٥ ـ منكم الحركة ومني البركة ، منكم الإقدام ومني العون ، منكم الخطيئة ومني العقاب ، ومنكم التوبة ومني المغفرة .

٦ ـ إن تقدمت يا عبدي إلينا بخطوة واحدة ، استقبلتك بخطوتين ، وإذا فررت عن بابي أصبر حتى تندم بنفسك .

٧ ـ أبواب رحمتي مفتوحة لكل واحد ، وسواء لدينا الأمير والفقير والكبير والصغير .

الفصل السابع

١ ـ اخضع لي وحدي ، وخف مني وحدي واحبب من تحبه من أجلي ، وأبغض من تبغضه من أجلي .

٢ ـ إذا كنت معك فقد كفيتك ، لا يغلبك أحد أبداً ، فمن كنت ظهيراً له ، فلا يغلبه أحد ابداً .

٣ ـ أنا لا أغير ما بكم من نعمة حتى تغيروها بأنفسكم ، من يعمل خيراً يلق خيراً ، ومن

يعمل سوءاً يجز به فكن حذراً يقظاً .

٤ ــ خلقت لكم ما تشتهون وما تطلبون ، لئلا يكون لكم أي تذمر أو حجة .

٥ ــ بالنوم لا تكتسب اللبن والحليب .

٦ ــ قلب دنيا الأرض «داسن» وقلب «داسن» وادي لالش .

٧ ــ وهبتكم «داسن» وما تختارونه من الدنيا ، فعليكم بطاعتي ، والزموا السراط المستقيم .

الباب الثاني
الفصل الأول

١ ــ أنا خلقتكم أجمعين ، وأحسنت خلق السموات والأرض ، دعتها وبسطتها بغير عمد ، وعلى غير أركان .

٢ ــ كنت واحداً ولم يكن أحد ، ولم يكن لي شريك في الملك ، كنت واحداً ، وسوف أكون ولا يكون أحد ، بلا صاحب بل واحد .

٣ ــ خلقت الملائكة ، وجمعتهم جميعاً ، وفصلت لهم كل شيء ، وأوصيت يوماً ، بأنني أنا الذي أستحق الصلاة والخضوع والعبادة وحدي .

٤ ــ مضت أربعون ألف سنة ، ثم خلقت أدم في أحسن تقويم ، وأردت أن أمتحن الملائكة فأمرتهم بالسجود له .

٥ ــ نسي الملائكة ما كنت أمرتهم به قبل أربعين ألف سنة ، فسجدوا لآدم وصلوا له ، إلا (تادوسا) وحده فإنه تذكر أمري ، فلم يسجد له .

٦ ــ فجازيته بأن سميته (الملك تادوس) وجعلته رئيساً لجميع الملائكة ، وأستاذاً مرشداً لآدم في الجنة .

٧ ــ جعلت الملك تادوس رئيساً لجميع الملائكة ، وسلمت بيده مفاتيح اللوح المحفوظ ، لكي يستمد منه أوامره ونواهيه ، وملكوت السموات والأرض .

الفصل الثاني

١ ــ جعلت ستة من الملائكة معاونين لتادوس ، وخصصت لكل واحد منهم وظيفة مستقلة .

٢ ــ ملك دردائيل : وظيفته قبض الأرواح ، وتفريق الجماعات ، وجعلته حاكماً مطلقاً على الجن .

٣ ـ ملك نورائيل : وقد جعلته حاكماً مطلقاً على الجن ، يتقلد سرهم حسب ما يشاء ، وجعلت له عليهم سلطاناً .
٤ ـ ملك إسرافيل : وقد فوضنا إليه الشمس والقمر والنجوم والأفلاك وتقدير الزمان .
٥ ـ ملك جبرائيل : فقد جعلناه ساعداً «لتادوس الملك» ورسولاً لما يؤمر به .
٦ ـ ملك ميكائيل : بيده أمر المطر والثلج والسيطرة . وهو يستمد الأوامر من «تادوس الملك» دائماً .
٧ ـ ملك شامنائيل : وبيده الخضراوات والنباتات وفصول السنة .

الفصل الثالث

١ ـ خلقت من عكس نور «طاووس ملك» الشيخ (ادي) ولمّا حان وقته ظهر في هذه الدنيا ، وأخذ بيده رئاسة الأنبياء .
٢ ـ ومن عكس نور الملك جبرائيل خلق زرادوش النبي ، وقد ظهر في مكان بالقرب من «لالش» .
٣ ـ ومن عكس نور الملك إسرافيل خلق «الشيخ شمس الدين» الذي طلع كالشمس ، وانتشر شعاعه ونوره في جميع الدنيا .
٤ ـ ومن عكس نور الملك شامنائيل خلق «الشيخ أبو بكر» وأخذ السبحة ، واتكأ على عصا الطاعة .
٥ ـ وخلق من عكس نور الملك دردائيل (سجادين) الذي ظهر في مدة قصيرة في (لالش) حيث قضى نحبه .
٦ ـ ومن عكس نور الملك نورائيل خلق (ناصر الدين) وفي زمانه عمرت (الداسن) من أدناها إلى أقصاها وعمت الديانة ديارها .
٧ ـ ومن عكس نور الملك ميكائيل خلق (فخر الدين) وبشر بدوره الداسنيين وهم آمنوا به ، يظهر (شرف الدين) من داسن العليا .

الفصل الرابع

١ ـ خلقت سحابة سوداء ، ثم خلقت منها عالم الجن ، وجعلت زمامهم بيد الملك نورائيل ، يهابونه ويطيعونه .
٢ ـ خلقت الجن رهيباً مهيباً ، لذلك فقد سترتهم عن أعين البشر ، فضلاً ونعمة من اللّه .

٣ ـ ولو لم يكن خوفهم عظيماً من رؤسائهم الثلاثة وهم خمو وكموو . . .[١] . . وجعلت الملك نورائيل مسلطاً على هؤلاء الثلاثة .

٤ ـ لا يجوز أن يعصي أحدهم أوامر هؤلاء الثلاثة ، كما لا يجوز لهؤلاء الثلاثة أن يعصوا أوامر الملك نورائيل .

٥ ـ هذه هي سنتي في الخلق في هذا العالم الذي هو ملكي ، أتصرف فيه كيفما أشاء ، لا يسألني أحد لم هذا ؟ وكيف ذاك ؟

٦ ـ جعلت كل شيء متعلقاً بشيء آخر ، كحلقات السلاسل بعضها فوق بعض وجعلت لكل داء دواءً ، ولكل سبب مسبباً ، وسرح عقلك حسب ما يشاء ، فإنه يحلق فوق كل شيء .

الفصل الخامس

١ ـ لا تحلفوا كذباً بالشمس والقمر ، ولا تحلفوا كذباً بأي نور .

٢ ـ الشمس والقمر وضوؤهما معاً نوري منبع نورهما ، ومن نوري تتدفق الأنوار .

٣ ـ أنا أباركم أهل الأرض مع أول إشعاع الشمس الساطعة ، أنا أهنئكم أهل الأرض مع الإشعاع الأول المنبعث سريعاً ، كل يوم أهنئكم مرة واحدة صباحاً وفي (النوروز) سبع مرات .

٤ ـ أنا أنزل عليكم رحمتي مع آخر إشعاع الشمس مساءً . إنني أتبسم في وجوهكم كل مساء مرة واحدة ويوم النوروز سبع مرات ألاطفكم .

٥ ـ صلوا لنا كل يوم مرتين واذكروني في أعماق قلوبكم ولا تنسوني في ليلة النوروز ، صلوا سبع مرات واقرؤوا الأدعية بإيمان ويقين وخشوع وخضوع .

٦ ـ اذكروني دوماً ودائماً ، فاذكروني في أعيادكم واشكروا لي عند المصائب .

٧ ـ أنا ربكم وخالقكم وإلهكم ، إنني أنا اللّه الأعلى ، ليس لي شريك ولا صاحب .

الفصل السادس

١ ـ في يوم السبت خلقت العرش والزمان ، وزينتهما بعقدة ذهبية ، لكي لا يحدلا عن سنتها .

---

(١) كذا في الأصل .

٢ ــ في يوم الأحد خلقت الملك والأفلاك ودائرة الزمان ، ونظمتها في حلقة العشر .
٣ ــ في يوم الاثنين خلقت الشمس والقمر ، وركزتهما متقابلين . وصقلتهما بنوري .
٤ ــ في يوم الثلاثاء خلقت الزحل والأرض ، وملأتهما بالحور والبشر ، وقدرت لقسم منهما السعادة ، ولقسم منهما الشقاوة .
٥ ــ في يوم الأربعاء ، خلقت المريخ ونظمتهما في سلسلة العرش ، وخلقت المريخ كالأرض وكالزحل .
٦ ــ في يوم الخميس خلقت . . . .[١] ثم خلقت الجبال والجالون[٢] كإطار لهما .
٧ ــ في يوم الجمعة خلقت السيل والجنون[٣] وملأتهما بالأفراح والآلام وأمطرت منهما حسب ما أشاء على من أشاء .

الفصل السابع

١ ــ خلقت العناصر الأربعة ، وهي الماء والتراب والنار والهواء ، بسنة معلومة وجعلتها مجتمعة في العالم الحيواني .
٢ ــ أعين العناصر الأربعة ، جمعتها مؤتلفة في الأشجار والنباتات ، وجعلها واسطة لبقاء الحياة فيها .
٣ ــ وقد خلقت هذه العناصر الأربعة وغيرها من المواد بأمري ، وظهرت من العدم إلى الوجود بأمري ومشيئتي .
٤ ــ من الذي خلق الماء ؟ ذاك هو اللّه العلي .
من الذي خلق التراب ؟ ذاك هو اللّه العلي .
من الذي خلق النار ؟ ذاك هو اللّه العلي .
من الذي خلق الهواء ؟ ذاك هو اللّه العلي .
٥ ــ هذه الألوان من الأخضر والأحمر والأصفر والأبيض والبنفسجي ، قل من خلقها ؟ خلقها اللّه العلي .
٦ ــ هذه الجبال والقمم العالية ، هذه الصخور والأحجار المرتفعة ، هذه السهول والصحاري اسأل من خلقها ؟ خلقها اللّه العلي .

---

(١) بياض بالأصل .
(٢) ، (٣) كذا في الأصل .

٧ ـ هذا الليل والنهار ، وهذا النوم والصحو ، وهذه الصحة والمرض ، وهذا الضحك والأنين ، من هو خالقها؟ اسأل من خلقها لتجدن الجواب : خلقها اللّه العلي[1] .

الباب الثالث

الفصل الأول

١ ـ أنا خلقتكم جميعاً ، وأحسنت خلق السموات والأرض ، رفقتها وبسطتها بغير عمد ، وبدون ركن .

٢ ـ كنت ولم يكن أحد ، ولا شريك لي ، كنت موجوداً ولم يكن أحد موجوداً وسوف أبقى حياً أبداً ، وعلى العالم كله الفناء .

٣ ـ أنزلت عليكم «الجلوة» ، وفصلتها لكم تفصيلاً ، وفق ما تقتضيه مصالحكم .

٤ ـ جعلت «الجلوة» مرشدة للداسنيين ، فاعملوا بما فيها ، لكي لا تضلوا وإن أهملتموها ولم تعملوا بها يا أهل(داسن) فسوف تخسرون خسراناً مبيناً .

٥ ـ أرسلت «الجلوة للداسنيين» لكي يعرفوني ، ولكي يجتنبوا السيآت ويعملوا الصالحات ، وليعلموا العالم بذلك ، ليعملوا ما فيه الخير للعالم .

٦ ـ أهديت لكم «الجلوة» وكشفت عنكم ظلاماً منيراً لمن يتبعها ويعمل بما فيها .

٧ ـ جلوة (زورا) (خاني خور) كونه ديار ، جلوة زورا هابو هوز كونه اياد ، جلوة زورا (سن وقور) جه نه نسار ، واهنك نرهم دي بي هبته بزار .

الفصل الثاني

١ ـ بعثنا من «الداسنيين» ثلاثة أنبياء عظام ، وجعلناهم مرشدين ومصلحين وأسياداً لجميع اليزدانيين وهم ورادوس وآدي وشير آقور .

٢ ـ لقد أرسلنا رسلاً وأنبياء كثيرين لا يحصون عدداً في جميع أقطار الأرض وكذلك فضلناهم على كثير من عبادنا الصالحين في الأرض ، فآمنوا بهم ، ولا تذكروهم إلا بخير .

٣ ـ أوحينا إلى أخنوح (نوح) أن يصنع الفلك ويعبر بها من خطر الماء .

---

(١) كذا في الأصل .

٤ ــ أبردنا النار على إبراهيم ، ونجيناه من فتنة نمرود .
٥ ــ نجينا موسى من شر فوعون وهامان وقارون ، وجعلناه سيداً على مصر بدون منازع .
٦ ــ لقد جعلنا هارون خليفة لموسى في فلسطين ، ويسرنا له الاستيلاء على عرشها الذهبي ، وورثناه داؤد وسليمان من بعده .
٧ ــ وأرسلنا محمداً من مكة ، وجعلناه سيداً ورسولاً ، وعلمناه ما لم يعلم ، وفجرنا له ماء الكوثر وزمزم .

الفصل الثالث

١ ــ خلقت الروح خفيفة خفية ، ومنها خلقت (الروان)[1] وينبعان من عين واحدة ذات فروع عديدة .
٢ ــ الذي رأيتَه فأحببتَه ، فاعلم أنكما من أصل روح واحدة لن يستطيع أن يفرق بينكم أحد .
٣ ــ الذي رأيتَه فكرهتَه ، فاعلم أنه يكرهك أيضاً ، حيث افترق بينكم أزلاً .
٤ ــ لا يعلم حقيقة الروح ، ولا يعلمها أحد غير اللّه ، لا تتعب وراءها أبداً .
٥ ــ ارجع إلى رشدك واجمع عقلك ، ثم فكر في نفسك بدقة ، تجد نفسك ترجع إلى قطرة ماء .
٦ ــ لا تيأس ولا تفرح بالفقر والغنى ، ولا تغتر ببأسك ولا تخف من ضعفك .
٧ ــ كن حذراً من أهواء نفسك ، وامسك لسانك مما لا يعنيك ، وكن وفياً أميناً ، وقدم حاجة صاحبك على حاجتك .
٨ ــ أوسع صدرك ، ولا تغضب سريعاً ، واترك اللهو كي لا تزل .

الفصل الرابع

١ ــ افعل وقل ما فيه الصلاح ، واتعب نفسك وراء الإصلاح ، وأخرج الناس من الظلمات ، وأرهم مواضع النور .
٢ ــ قل الحق إن كنت شريفاً ولو كان فيه هلاكك ، أتخشى الناس ولا تخشى اللّه ؟
٣ ــ اجتنب الفساد ، بئس أهل الفساد ، فكم من قرية ومدينة أصبحت خاربة بالفساد ،

---

(١) الروان :؟

وكم من أقوام أبيدت بها .

٤ ــ اجتنب الفاحشة (الزنى) فالزنى أقبح الأعمال ، ولا تتكلم مع الفاحشين .

٥ ــ اجتنب الخيانة واحذرها ، فإنها وصمة عار لا تمحى ، واذكر الله صباحاً ومساءً .

٦ ــ تب عن الكذب والسرقة ، وإياك والنهب والسلب ، ولا تخالط السفهاء والأشرار .

٧ ــ فاز من اعتز بنا ، وخاب من تولى عن أمرنا وهلك من لم يطعنا .

الفصل الخامس

١ ــ انصح الناس بالخير ، واقبل نصائح الخير من الناس ، ولا تتعب نفسك وراءها ، ولا تغضب عند سماعها .

٢ ــ لا يضرك فيما إذا أخطأت بغرورك ، وعدلت عن الطريق إذا تبت واستقمت .

٣ ــ يليق بك أن تتوب عن الذنوب ، وخير لك من أن تستمر في العصيان ، وحقيق بك أن تستيقظ فتتوب .

٤ ــ انصح الفتى السكران ، أن يقصد «لالش» ويغتسل من الذنوب .

٥ ــ عار عليك أن تستمر في ذنوبك ، وقد بلغت من الكبر عتياً ، فارجع بالتوبة إلى ربك .

٦ ــ إن تعش مائة سنة ، فإن نهايتك تكون إلى التراب ، فالأولى لك . . . .[1]

---

(١) انتهى إلى هنا ما اطلعنا عليه من كتاب الجلوة .

المصادر

آدم ميتز

ـ الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ـ القاهرة ١٩٤٠م .

إسحاق البعشيقلي (القس)

ـ عقائد اليزيدية ـ نسخة خطية في خزانة كتبنا ـ وهي تتألف من عشرة فصول ترجمها من اللغة الكلدانية إلى اللغة العربية إلياس اسطيفان مدالو سنة ١٩٤٧م عن نسخة في دير السيدة في القوش .

ـ نسخة أخرى منها في خزانة كتبنا في مجموع خطي فيه :

١ ـ الكتاب المشار إليه أعلاه .

٢ ـ طاسين عزازيل للحلاج .

٣ ـ أبيات منقولة من ديوان الحلاج .

٤ ـ أبيات منقولة عن ديوان الشيخ حسن شمس الدين العدوي .

٥ ـ قصائد للشيخ عدي بن مسافر الهكاري .

٦ ـ قصائد للشيخ زين الدين يوسف العدوي .

الإصطخري (إبراهيم)

ـ المسالك والممالك ـ مصر ١٣٨١هـ = ١٩٦١م

إسماعيل بك جول

ـ اليزيدية قديماً وحديثاً ـ بيروت ١٩٣٤م

إسماعيل باشا البغدادي

ـ هدية العارفين في أسماء المؤلفين ـ إسطنبول ١٩٥٥م

ابن أبي الحديد

ـ شرح نهج البلاغة ـ مصر ١٩٦٥م

ابن الأثير (عز الدين)

ـ الكامل في التاريخ ـ مصر ١٢٩٠هـ

ـ النهاية في غريب الحديث ـ طبعة دار إحياء الكتب العربية .

ـ اللباب في الأنساب ـ مصر ١٣٥٩هـ

ابن إياس (محمد)

ـ بدائع الزهور في وقائع الدهور
ابن بطوطة (أبو عبدالله محمد)
ـ تحفة النظار في غرائب الأمصار ـ مصر ١٣٤٦هـ = ١٩٢٨م .
ابن تغري بردي (جمال الدين يوسف)
ـ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ـ مصر ١٣٥٠هـ
ابن تيمية (أحمد)
ـ مجموعة الرسائل الكبرى
ابن الجوزي (عبد الرحمن)
عمر بن الخطاب ـ مصر ١٣٤٢هـ = ١٩٢٤
المنتظم ـ حيدر آباد ١٣٥٧هـ
ابن حجر الهيتمي (أحمد)
ـ الصواعد المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة ـ القاهرة ١٣٨٥هـ
ـ تطهير الجنان واللسان عن الحضور والتفوه بثلب سيدنا معاوية بن أبي سفيان ـ القاهرة ١٣٨٥هـ .
ابن حجر العسقلاني (شهاب الدين أحمد)
ـ الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ـ حيدر آباد ١٣٤٨هـ
ابن حوقل (أبو القاسم محمد)
صورة الأرض ـ بيروت .
ابن حزم (أبو محمد علي)
ـ الفصل في الملل والأهواء والنحل ـ القاهرة ١٣٢٠هـ
ابن الخياط (أحمد)
ـ ترجمة الأولياء في الموصل الحدباء ـ الموصل ١٣٨٥هـ
ابن الخياد (محمد ذخرى)
ـ فريدة السنية في بيان عقائد الطائفة اليزيدية ـ مخطوط ـ نسخة منه في خزانة كتبنا .
ابن خلدون (عبد الرحمن)
ـ العبر وتاريخ المبتدأ والخبر
ابن خلكان (أحمد)
ـ وفيات الأعيان ـ مصر ١٣١٠هـ

أبو دلف الخزرجي (مسعر بن المهلهل)
ـ الرسالة الثانية من رحلته ـ موسكو ١٩٦٠م
ابن شاكر الكتبي (محمد)
ـ فوات الوفيات ـ مصر ١٢٩٠هـ
ابن الطقطقي (محمد)
ـ الفخري في الآداب السلطانية
ابن طيفور (أحمد)
ـ بغداد ـ القاهرة ١٣٦٨هـ ـ ١٩٤٩م
أبو طالب خان
ـ رحلة أبي طالب ـ بغداد
ابن عربي (الشيخ محيي الدين)
ـ المسامرات ـ القاهرة
ابن العماد الحنبلي (عبد الحي)
شذرات الذهب في أخبار من ذهب ـ مصر ١٣٥١هـ
ابن عساكر ـ (علي بن الحسن)
ـ تاريخ مدينة دمشق ـ دمشق
ابن العبري (غريغوريوس)
تاريخ مختصر الدول ـ بيروت ١٨٩٠م
ابن فضلان (أحمد)
ـ رسائل ابن فضلان ـ الشام ١٣٧٩هـ ـ ١٩٥٩م
ابن الفوطي (شعبد الرزاق)
ـ الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة ـ بغداد ١٣٥١هـ
تلخيص معجم الآداب في معجم الألباب ـ وزارة الثقافة السورية
ابن فضل الله العمري
ـ التعريف بالمصطلح الشريف ـ مصر ١٣١٢هـ
أبو الفدا (إسماعيل)
ـ المختصر في أخبار البشر ـ مصر ١٣٢٥هـ
أبو الفرج الأصفهاني (علي)

ـ الأغاني ـ مصر ـ طبعة ساسي المغربي
ابن قتيبة الدينوري (عبدالله)
ـ الإمامة والسياسة ـ مصر ١٣٢٨هـ
ـ الأخبار الطوال ـ مصر ١٣٣٠
ابن كثير (إسماعيل)
ـ البداية والنهاية ـ مصر ١٣٤٨هـ
ابن النديم (محمد)
ـ الفهرست ـ مصر ١٣٧٨هـ
ابن الوردي (عمر)
ـ تتمة المختصر في أخبار البشر ـ النجف ١٣٨٩هـ ـ ١٩٦٩م
البلخي (أبو زيد أحمد بن سهل)
ـ البدء والتاريخ ـ باريس ١٨٩٩م
بهنام بدرية (الخوري)
مذكراته : نسخة خطية في خزانة كتبنا
ـ البدليسي (الأمير شرف خان)
ـ الشرف نامة ـ بغداد ١٣٧٢هـ ـ ١٩٥٣م
البغدادي (عبد القاهر)
ـ الفرق بين الفرق ـ القاهرة ١٣٢٨هـ ـ ١٩١٠م
التادفي (محمد بن يحيى)
ـ قلائد الجواهر في مناقب الشيخ عبد القادر ـ مصر ١٣٥٦هـ
تيمور (أحمد)
ـ اليزيدية ومنشأ نحلتهم ـ القاهرة ١٣٤٧هـ
الثعلبي النيسابوري (أحمد بن محمد)
ـ عرائس المجالس ـ بيروت
الجاحظ (عمرو بن بحر)
ـ رسائل الجاحظ ـ القاهرة ١٣٢٤هـ
ـ الحيوان ـ مصر ١٣٢٣هـ
حبيب زيات

ـ الخزانة الشرقية ـ بيروت ١٩٥٢
الحلاج (الحسين بن منصور)
ـ الطواسين ـ باريس ١٩١٣م
ـ ديوان الحلاج ـ باريس
حاجي خليفة
ـ كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ـ اسطنبول ١٩٤١م
الحسني (عبد الرزاق)
ـ اليزيدية في حاضرهم وماضيهم ـ صيدا ١٩٦٨م
الخطيب البغدادي (أحمد)
ـ تاريخ بغداد ـ مصر ١٣٤٦هـ
الخطيب العمري (محمد أمين)
ـ منهل الأولياء ومشرب الأصفياء من سادات الموصل الحدباء ـ الموصل ١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٧م
الخطيب العمري (ياسين)
ـ منية الأدباء في تاريخ الموصل الحدباء ـ الموصل ١٣٧٤هـ ـ ١٩٥٥م
ـ الدر المكنون في مآثر الماضية من القرون (مخطوط) قطعة منها في خزانة كتبنا .
ـ غرائب الأثر في حوادث ربع القرن الثالث عشر ـ الموصل ١٣٥٩هـ ـ ١٩٤٠م
ـ زبدة الآثار الجلية في الحوادث الأرضية ـ اختصره الدكتور داؤد الجلبي
ـ غاية المرام في محاسن بغداد دار السلام ـ بغداد ١٣٨١هـ ـ ١٩٦٨م
من كتاب ياسين العمري نسخة منه في خزانة كتبنا .
الخشاب (يحيى) بالاشتراك مع الباز العريني .
ـ ضبط وتحقيق الألفاظ الاصطلاحية التاريخية الواردة في كتاب مفاتيح العلوم للخوارزمي
ـ المجلة التاريخية المصرية ـ المجلد السابع ١٩٥٨م
الدملوجي (صديق)
ـ اليزيدية ـ الموصل ١٣٦٨هـ ـ ١٩٤٩م
ـ مجموعة أبيات خطية نقلها عن بعض اليزيدية ـ نسخة منها في خزانة كتبنا .
الديوه جي (سعيد) مؤلف الكتاب
ـ الموصل في العهد الأتابكي ـ بغداد ١٣٧٨هـ ـ ١٩٥٨م .

ـ الأمير خالد بن يزيد ـ دمشق ١٣٧٢هـ ـ ١٩٥١م
داؤد بن إسحاق الموصلي (القس)
ـ مجموع خطي نسخة منه في خزانة كتبنا . فيه :
١ ـ نبذة في تاريخ الديانة اليزيدية ـ كتبه ونقحه وضبطه على قواعد اللغة العربية أحد تلامذة المدرسة البطريركية السريانية في شرفة درعون سنة ١٩٣٠م وهو أربعة فصول .
٢ ـ كتاب الجلوة عبد طاووس
٣ ـ كتاب مصحف رش أي الكتاب الأسود .
٤ ـ ملحق : بعض روايات عندهم يستعملونها سراً وعلانية .
٥ ـ ما جاء عنهم في معجم بوليان .
٦ ـ ما جاء عنهم في إحدى المجلات الفرنسية .
٧ ـ ما قاله عنها أحد تلاميذ مدرسة الشرفة البطريركية الذي نقها وهذبها وانتهى منها في ٢٨ شباط سنة ١٩٣٠م
الدلجي (أحمد بن علي)
ـ الفلاكة والمفلوكون ـ مصر ١٩٢٢هـ
الديلمي (محمد بن الحسن)
ـ قواعد عقائد آل محمد ـ القاهرة ١٣٦٩ ـ ١٩٥٠م
الذهبي (محمد)
ـ العبر في أخبار من غبر ـ الكويت
ـ دول الإسلام ـ حيدر آباد ـ ١٣٦٤هـ
ذو النسبين (أبو الخطاب عمر)
ـ كتاب النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس . بغداد ١٣٦٥هـ ـ ١٩٤٦م
الرازي (فخر الدين)
ـ اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ـ مصر ١٣٥٦هـ ـ ١٩٣٨م
الرسعني (عبد الرزاق)
ـ مختصر كتاب الفرق بين الفرق ـ مصر ١٩٢٤م
ـ كفاية الطالب في مناقب آل علي بن أبي طالب ـ النجف
الزمخشري (محمود)
ـ خصائص العشرة الكرام البررة ـ بغداد ١٣٨٨هـ

سامي سعيد أحمد (الدكتور)
ـ اليزيدية أحوالهم ومعتقداتهم ـ بغداد ١٩٧١ .
السخاوي (أبو الحسن علي)
ـ تحفة الأحباب وبغية الطلاب في الخطط والمزارات والبقاع المباركات
ـ مصر ١٣٥٦هـ
السخاوي (شمس الدين محمد)
ـ الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ـ مصر ١٣٥٥هـ
سبط ابن الجوزي (يوسف)
ـ مرآة الزمان ـ حيدر آباد ١٣٧٠هـ ـ ١٩٥١م
السمعاني (عبد الكريم)
ـ الأنساب ـ حيدر آباد
السيوطي (جلال الدين)
ـ بغية الوعاة في طبقات النحاة ـ مصر ١٣٢٦هـ
الشريف المرتضى (علي بن الحسن)
ـ طيف الخيال ـ القاهرة ١٣٨١هـ ـ ١٩٦٢م
الشعراني (عبد الوهاب)
ـ الطبقات الكبرى ـ مصر
الشطنوفي (علي بن يوسف)
ـ بهجة الأسرار ومعدن الأنوار ـ مصر ١٣٣٠هـ
الشهرستاني (محمد بن عبد الكريم)
ـ الملل والنحل ـ مصر ١٣٣٢هـ
الشيال (جمال الدين)
ـ دراسات في التاريخ الإسلامي ـ بيروت
الصفدي (صلاح الدين خليل)
ـ الوافي بالوفيات ـ إسطنبول ١٩٣١م
ـ نكت الهميان بنكت العميان ـ مصر ١٣٢٩هـ ـ ١٩١١م
الطباخ (محمد راغب الحلبي)
ـ أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء ـ حلب ١٣٤٢ هـ ـ ١٩٢٣م

الطبري (محمد)
ـ تاريخ الرسل والملوك ـ مصر ١٣٢٣هـ
عدي بن مسافر الهكاري (الشيخ)
ـ رسالة في اعتقاد أهل السنة والجماعة (مخطوط) نسخة منها في خزانة كتبنا .
العزاوي (عباس)
ـ تاريخ اليزيدية وأصل عقيدتهم ـ بغداد ١٣٥٤هـ ـ ١٩٣٥م
ـ العراق بين احتلالين ـ بغداد
العباسي (محفوظ)
ـ إمارة بهدينان العباسية ـ الموصل ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٩م
العمري (أحمد عزت باشا)
ـ العقود الفريدة في مدائح الحضرة الرفاعية ـ مصر ١٣٠٤هـ
عواد (كوركيس)
ـ المراجع عن اليزيدية ـ بيروت ١٩٧٠م
الغزي (حسين بن مصطفى بالي)
ـ نهر الذهب في تاريخ حلب ـ حلب ١٣٤٢هـ
الفارقي (أحمد بن يوسف)
ـ تاريخ الفارقي ـ القاهرة ١٣٧٦هـ ـ ١٩٥٩م
فؤاد السيد
ـ فهرس المخطوطات المصورة ـ القاهرة ١٩٥٤م
القادري (إسماعيل)
ـ الفيوضات الربانية في المآثر والأوراد القادرية
القادري (السيد ظهير الدين)
ـ الفتح المبين في ما يتعلق بترياق المحبين ـ مصر ١٣٠٦هـ
القرطبي (أبو عبدالله محمد)
ـ الجامع لأحكام القرآن ـ مصر ١٣٥١هـ ـ ١٩٣٣م
ـ تذكرة القرطبي
القزويني (زكريا بن محمد)
ـ عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات

ـ القلقشندي (أحمد)
ـ صبح الأعشى في صناعة الإنشا ـ طبعة دار الكتب المصرية
القرماني (أحمد)
ـ أخبار الدول وآثار الأول ـ بغداد ١٢٨٢هـ
الكرخي الإصطخري (إبراهيم)
المالك والممالك ـ القاهرة ١٣٨١هـ ـ ١٩٦١م
الكرملي الأب انستاس
ـ مجلة لغة العرب ـ المجلد السابع ١٩٠٩
كرد علي (محمد)
ـ خطط الشام ـ دمشق ١٣٢٣هـ
المحبي (محمد)
ـ خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر ـ مصر ١٩٣٤م
محمد فريد بك المحامي
ـ تاريخ الدولة العلية العثمانية ـ مصر ١٣٣٠هـ ـ ١٩١٢م
المرادي (محمد خليل)
ـ سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر ـ مصر ١٣٠١هـ
المرصفي (سيد بن علي)
رغبة الآمل من كتاب الكامل ـ القاهرة ١٣٤٦هـ ـ ١٩٢٧م
المسعودي (علي)
ـ التنبيه والإشراف ـ مصر طبعة الصاوي
ـ مروج الذهب ومعادن الجوهر ـ مصر ١٣٣٠هـ ـ ١٩١٢م
مسكويه (أبو علي أحمد)
ـ تجارب الأمم ـ مصر ١٣٢٢هـ ـ ١٩١٤م
المقدسي (البشاري)
ـ أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ـ ابريل ١٩٠٦م
المقريزي (أحمد)
ـ اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا ـ مصر ١٩٦٧م
ـ الخطط والمواعظ والاعتبار ـ مصر ١٣٢٤هـ

ـ السلوك في معرفة دول الملوك ـ مصر ١٩٣٤م
ـ النزاع والتخاصم فيما بين بني أمية وهاشم ـ مصر
ـ العقود الفريدة ـ مخطوط نسخة كاملة في خزانة الحاج أمين بك الجليلي بالموصل .
ناصري خسرو
ـ سفرنامه ـ القاهرة ١٣٦٤هـ ـ ١٩٤٥م
النبهاني (يوسف)
ـ جامع كرامات الأولياء ـ مصر ١٣٨١هـ
النوبختي (الحسن بن موسى)
ـ فرق الشيعة
النويري (محمد)
ـ نهاية الأرب في فنون الأدب ـ القاهرة
الواقدي (محمد)
ـ فتوح الشام ـ مصر ١٣٥٤هـ
الوتري (محمد)
ـ روضة الناظرين وخلاصة مناقب الصالحين ـ مصر ١٣٠٦هـ
الوهراني (ركن الدين محمد)
ـ منامات الوهراني ومقاماته ورسائله ـ مصر ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٨م
هلال الصابي (غرس النعمة)
ـ الهفوات النادرة ـ دمشق ١٣٨٧هـ
ياقوت الحموي
ـ معجم الأدباء ـ طبعة دار المأمون
ـ معجم البلدان ـ طبعة الخانجي
ـ المشترك وضعاً والمختلف صقعاً ١٨٤٦م
اليافعي (عبدالله)
ـ مرآة الجنان ـ حيدر آباد ١٣٣٨هـ
يعقوب سركيس
ـ مباحث عراقية بغداد ١٣٦٧هـ سنة ١٩٤٨م
اليعقوبي (أحمد)

ـ تاريخ اليعقوبي ـ النجف ١٩٥٨م
ـ كتاب العيون والحدائق في أخبار الحقائق ـ دمشق ١٩٧٢
مجلة الجزيرة الموصلية
ـ السنة الأولى ـ الموصل ١٣٤٥هـ سنة ١٩٤٦م
ـ السنة الثانية ـ الموصل ١٣٤٦هـ سنة ١٩٤٧م
مجلة اليقين ـ المجلد الأول سنة ١٣٤٤هـ
ـ مباحث معربة عما كتبه المستر جورج برسي بيجر عن اليزيدية سنة ١٨٤٢م
وما نشره الأستاذ محمود الملاح عن هذا تحت عنوان «كيف يفترون»

الفهرست

المؤرخ سعيد الديوه جي

ولد سنة ١٩١٢ في مدينة الموصل وأكمل دراسته الابتدائية والثانوية فيها بعد أن كان قد درس وتتلمذ على يدي أبيه وعمه اللذين كانا يعملان قاضيين ، وفي الوقت نفسه كان لهم مجلس في دارهم يلجأ إليهم الطلاب لدراسة الفقه والأصول الإسلامية ويأوي إليهم الناس على اختلاف طبقاتهم ونحلهم لحل مشاكلهم ، كل هذا جعله ينشأ في بيئة دينية وعلمية أشبعت في نفسه صفتين جميلتين خير ما يجب أن يتحلى بهما الإنسان المسلم وهما حبه للّه ولدينه ، وحبه لمدينته وأهلها وغيرته عليهما ، هاتان الصفتان أصبحتا على مر الزمن المحورين اللذين اعتمدهما في كتاباته التي دارت في التأريخ الإسلامي بشكل عام ، وبتأريخ الموصل بشكل خاص ليس فقط من ناحية معارك أو حروب بل تناولت دراسته ما هو أعمق من تاريخ إلى اقتصاد وصناعة وتراث لهذا جاءت كتبه شاملة لشتى أنواع الحياة ولكل ما يسعى إليه الفرد من تطلع على اختلاف صنعته وثقافته ، ثم التحق بدار المعلمين العالية ببغداد وتخرج منها سنة ١٩٣١ واشتغل في التعليم وإدارات المدارس ثم معاوناً لمدير معارف الموصل سنة ١٩٤٤ . ثم نقل سنة ١٩٥١ إلى مديرية الآثار العامة بعنوان مدير الأبحاث الإسلامية الفنية ونأتي الآن إلى أهم ما شغل فكره طيلة حياته ألا وهي الآثار والتراث فعندما نقل إلى دائرة الآثار بعد منحه لقب (أخصائي أثري) شمر عن ساعديه بتهيئة الأبحاث الإسلامية الفنية وجمع الخرائط الأولى وعرض فيها آثار الحضر والنمرود وفي سنة ١٩٥٢ افتتح المتحف بطائفة من أجل علماء الشرق والغرب جاؤوا إلى الموصل في المهرجان الألفي لابن سينا والذي أقيم في بغداد في تلك السنة واستمر في اشغال منصبه كمدير لمتحف الموصل حتى سنة ١٩٦٨ وأحيل على التقاعد بعد خدمة وظيفية مشرفة في دائرتي المعارف والآثار جاوزت الستة والثلاثين عاماً وكان خلالها لا يزال عاكفاً على المتابعة والإصدار لأبحاث ومقالات وكتب . وخلال سنة ١٩٦٥ انتخب عضواً في المجمع العلمي العراقي ، ولم تكن مسألة تقاعده قد جعلته ينزوي عن الناس ويعتكف في بيته بل استمر مساهماً في مجتمعه فعالاً فيه فقام مع أساتذة من جامعة الموصل بالسعي إلى تأسيس كلية الإدارة والاقتصاد فوفقهم اللّه سبحانه وتعالى إلى هذا العمل الخير وافتتحت في عام ١٩٦٨ وغيرها من الأعمال من إقامة لمساجد وجوامع ومن تأسيس لجمعيات تأريخية وتراثية ، وقد شارك في العديد من المؤتمرات داخل العراق وخارجه ناقلاً للعالم تأريخ مدينته مفاخراً بها ساعياً إلى حفظ هويتها العربية والإسلامية .

لقد كان دار الديوه جي مرتعاً يرتاده الطلبة والباحثون خاصة عندما توسعت دراسات الماجستير والدكتوراه فقدم لكل من طلب منه وثائق ومصادر ومعلومات أغنت أطروحاتهم وأبحاثهم على نحو دقيق ، وصحح العديد من الهفوات التي كان يقع بها الباحثون وهذا ما يلاحظ مما سطره الطلبة هؤلاء في أبحاثهم .

وعندما لاحظ الديوه جي ما يقوم به بعض المحققين بالدخول في دراسات وتحقيقات تاريخية ، وما خرجوا به من استنتاجات غريبة واضحة في تشويه الحقائق وتزييف الأحداث دفعته غيرته على دينه وتاريخ مدينته للتصدي لأشباه العلماء هؤلاء ورد عليهم بردود واضحة أسكتتهم وأوقفتهم إلى حدودهم الواهية ، وبخاصة في كتاباتهم عن الموصل في حقب زمنية عديدة .

وقد ترك الأستاذ الديوه جي تراثاً ضخماً تمثل في كتب جديدة مخطوطة لم تطبع بعد ومذكرات ومراسلات واتصالات طوال حياته هذه التي لم يعرف فيها المؤرخ الديوه جي أية راحة أو توقف عن الكتابة والقراءة حتى آخر أيام حياته وقريباً ـ إن شاء اللّه تعالى ـ سيصدر الجزء الثاني من تاريخ الموصل ، وسيتبعه بعونه تعالى كتب أخرى وإصدارات عديدة تتناول صفحات مخفية من تاريخ مدينة الموصل وعن مدد وحقب زمنية مختلفة وكتاب عن مذكرات الديوه جي بقلمه .

آثار المؤلف

ـ ترك ٢٣ مؤلفاً منها :

١ ـ الفتوة في الإسلام ـ الموصل ١٩٤٥م .

٢ ـ الأمير خالد بن يزيد الأموي ـ دمشق ١٩٥٢م .

٣ ـ بيت الحكمة ـ طبع في الموصل سنة ١٩٥٥ وأعيد طبعه ثانية في الموصل سنة ١٩٧٢م .

٤ ـ الخدمات الاجتماعية لطلاب العلم في الإسلام ـ الموصل ١٩٥٥م .

٥ ـ عقائل قريش ـ طبع في القاهرة سنة ١٩٥٤م وأعيد طبعه في الموصل سنة ١٩٥٥م .

٦ ـ دليل المعرض الحيواني وسباق الخيل الذي أقيم في الموصل سنة ١٩٥٥م .

٧ ـ الموصل في عهد الأتابكي ـ بغداد ١٩٥٥م .

٨ ـ جوامع الموصل في مختلف العصور ـ بغداد ١٩٦٣م .

٩ ـ نشرة تاريخية عن مدينة الموصل ـ طبعتها الجمعية الطبية في الموصل سنة ١٩٦٤ .

١٠ ـ الموصل أم الربيعين ـ بغداد ١٩٦٥م .

١١ ـ دور العلاج والرعاية في الإسلام ـ الموصل ١٩٦٦م .

١٢ ـ أشعار الترقيص عند العرب ـ أصدرته وزارة الثقافة والإعلام العراقية ـ بغداد ١٩٧٠م .

١٣ ـ أعلام الصناع المواصلة ـ الموصل ١٩٧٠م .

١٤ ـ مخطوطات المكتبة المركزية في الموصل ـ المجمع العلمي العراقي ـ بغداد ١٩٦٧م .

١٥ ـ مخطوطات خزانة سعيد الديوه جي ـ القاهرة ١٩٦٣م .

١٦ ـ اليزيدية ـ الموصل ١٩٧٣م

١٧ ـ تقاليد الزواج في الموصل ـ الموصل ١٩٧٥م .

١٨ ـ بحث في تراث الموصل ١٩٨٢م .

١٩ ـ تاريخ الموصل ـ الجزء الأول ـ نشرة المجمع العلمي العراقي ـ الموصل ١٩٨٢م .

٢٠ ـ تاريخ الموصل ـ الجزء الثاني ـ معد للطبع .

٢١ ـ التربية والتعليم في الإسلام ـ طبعته وزارة الأوقاف العراقية ـ الموصل ١٤٠٣هـ .

٢٢ ـ صناعة النسيج في الموصل ـ أصدرته المنشأة العامة للغزل والنسيج في الموصل ـ الموصل ١٩٨٧/٣/٢٦ .

٢٣ ـ الموجز في الطب الإسلامي ـ أصدرته مؤسسة الكويت للتقدم العلمي ـ إدارة التأليف والنشر ـ الكويت ١٩٨٩م .

ـ وحقق ستة مؤلفات منها :

١ ـ منية الأدباء في تاريخ الموصل الحدباء لياسين بن خير اللّه الخطيب العمري ، حققه ونشره سنة ١٩٥٥م ، وهو كتاب يبحث عن تاريخ الموصل بصورة مجملة ، ويبحث عما فيها من مراقد الأولياء ، وعن قراها ، وعما أصابها من مصائب . . . الخ .

٢ ـ مجموع الكتابات المحررة في أبنية الموصل لنيقولا سيوفي ـ بغداد ١٩٥٦ ، جمع به سيوفي الكتابات التي في أبنية مدينة الموصل ، حققها وترجم لصاحب البناية والخطاط والمزوق كما ترجم لناظم الشعار ـ يقول عنه الأب آنستانس ماري الكرملي : «فيه نصف تاريخ الموصل» ، وألحق به الكتابات الأثرية التي لم يتوفق سيوفي بجمعها ، والكتابات التي استجدت بعد سيوفي .

٣ ـ ملحمة الموصل للشيخ فتح اللّه القادري ـ بغداد ١٩٦٥م بمناسبة مؤتمر الأدباء العرب الخامس الذي أقيم في بغداد .

٤ ـ ترجمة الأولياء في الموصل الحدباء ـ لأحمد بن الخياط الموصلي ـ الموصل ١٩٦٦م بحث فيه عن المراقد والمشاهد التي في الموصل .

٥ ـ منهل الأولياء ومشرب الأصفياء من سادات الموصل الحدباء . لمحمد أمين بن خير اللّه الخطيب العمري ، وبحث فيه عن تاريخ الموصل وخاصة عن الفترة التي بعد سنة ألف للهجرة إلى سنة ١٢٠٣هـ وترجم للعلماء والأدباء الذين بلغوا في هذه الفترة خاصة كما تكلم عن المراقد التي في الموصل ، وهو من المصادر المهمة في تاريخ المدينة حققه وعلق عليه وطبع في مجلدين الموصل ١٩٦٧م و ١٩٦٨م .

٦ ـ أرجوزة السيد خليل البصير ـ نشرها المجمع العلمي ـ بغداد ١٩٦٧م .

المؤتمرات والندوات

وساهم في عدة ندوات في العلوم والآثار والمخطوطات والفلكلور وغيرها ، منها :

١ ـ مؤتمر الآثار الثاني الذي أقيم في بغداد سنة ١٩٥٨ .

٢ ـ مؤتمر بغداد والكندي الذي أقيم في بغداد سنة ١٩٦٢م ، وقدم بحثاً عن بيت الحكمة في بغداد .

٣ ــ مؤتمر الآثار الرابع الذي أقامته الجامعة العربية في تونس سنة ١٩٦٣ ، وقدم بحثاً عن الزخارف الرخامية في الموصل .

٤ ــ المؤتمر الطبي الربيعي الأول الذي أقامته الجمعية الطبية في الموصل سنة ١٩٦٤ ، وأعد نشرة عن الموصل طبعت ووزعت في المؤتمر .

٥ ــ مؤتمر الأدباء العرب الخامس الذي أقيم في بغداد سنة ١٩٦٥ .

٦ ــ المؤتمر الطبي الربيعي الثاني الذي أقامته الجمعية الطبية في الموصل سنة ١٩٦٧ ، وألقى بحثاً عن الطبيب الكحال ابن دانيال الموصلي صاحب خيال الظل .

٧ ــ مؤتمر الأدباء العرب السابع الذي أقيم في بغداد سنة ١٩٦٩ .

٨ ــ المؤتمر الطبي الربيعي الثالث الذي أقامته الجمعية الطبية في الموصل سنة ١٩٦٩ ، وألقى في حفلة الافتتاح كلمة عن «اهتمام الرسول (ﷺ) في الطب» .

٩ ــ مهرجان أبي تمام الذي أقيم في الموصل سنة ١٩٧١ ، وقدم بحثاً عن مقبرة باب الميدان في الموصل التي دفن فيها أبو تمام .

١٠ ــ اليوبيل الذهبي لكلية طب بغداد الذي أقامته جامعة بغداد سنة ١٩٧٢ ، وألقى بحثاً عن الطب العربي في الدور الجاهلي .

١١ ــ المؤتمر الدولي للتاريخ الذي أقامته الجمعية التاريخية العراقية ببغداد سنة ١٩٧٣ .

١٢ ــ الندوة العربية للفلكلور التي أقامتها وزارة الإرشاد العراقية ببغداد سنة ١٩٧٧ وقدم بحثاً عن «الأمثال الشعبية في الموصل في توعية الشعب» .

١٣ ــ المؤتمر الموسيقي الدولي في بغداد الذي أقيم سنة ١٩٧٨ وقدم بحثاً عن زرياب المغني وأثره في الأندلس .

١٤ ــ الندوة العالمية الثانية لتاريخ العلوم عند العرب التي أقامتها جمعية التراث العلمي العربي بجامعة حلب ١٩٧٩ ، وقدم بحثاً عن «نقل العلوم إلى العربية في صدر الإسلام» .

١٥ ــ المؤتمر القطري للطفولة الذي أقامته وزارة العمل والشؤون الاجتماعية العراقية في بغداد سنة ١٩٧٩ وقدم بحثاً عن تربية الطفل عند العرب .

١٦ ــ الندوة العالمية الأولى للآثار الفلسطينية التي أقامتها جامعة حلب سنة ١٩٨١ وألقى بحثاً عن «قبة الصخرة وما لفقوه عن سبب بنائها» .

١٧ ــ ندوة أبناء الأثير التي أقامتها جامعة الموصل سنة ١٩٨٣ والتي أقامتها جامعة الموصل وقدم بحثاً عن الموصل في عصر أبناء ابن الأثير .

١٨ ـ الندوة العالمية التي أقامتها مصلحة الآثار والتراث العامة في بغداد سنة ١٩٨٢ حول بابل وآشور ، وألقى بحثاً عن صناعات الموصل .
١٩ ـ أسبوع الفلكلور الذي أقامته وزارة الإعلام العراقية في الموصل سنة ١٩٨٣ وألقى بحثاً عن نظام الأصناف في الموصل ـ وكان رئيس لجنة الندوات والدراسات ١٩٩٥/٥/١٢م .
٢٠ ـ ندوة التراث التي أقامتها وزارة الإعلام في الموصل سنة ١٩٨٤ وألقى بحثاً عن الجامع المجاهدي في الموصل .
٢١ ـ الندوة العالمية التي أقامتها جامعة الفاتح في طرابلس (ليبيا) سنة ١٩٨٢ عن « الطفل في الطب العربي» ، وألقى بحثاً عن «ألعاب الأطفال عند أطباء العرب» .
٢٢ ـ اليوبيل الفضي لكلية الطب في الموصل الذي أقامته جامعة الموصل سنة ١٩٨٧ .
٢٣ ـ المؤتمر السابع للمعلومات أقامته الجمعية العراقية للمكتبات والتوثيق والإعلام في الموصل سنة ١٩٨٧ ، وألقى بحثاً عن أول خزانة علم في الإسلام ـ خزانة خالد بن يزيد بن معاوية .
٢٤ ـ المؤتمر الرابع للطب العربي الذي أقامته الندوة العلمية لتاريخ العلوم عند العرب في الباكستان سنة ١٩٨٦ ، وقدم بحثاً عن «دور المرأة المسلمة في الطب والإسعاف والمواساة» وقبل البحث ونشر مع الأبحاث .
٢٥ ـ ندوة أربيل وابن المستوفي التي أقامتها كلية الآداب في جامعة أربيل (جامعة صلاح الدين) سنة ١٩٨٦ ، وقدم بحثاً عن «معاهد العلم والرعاية بأربيل في عهد مظفر الدين كوكبوري ٥٤٩ ـ ٦٣٠هـ» .
٢٦ ـ الندوة العالمية لتاريخ العلوم عند العرب التي أقامتها جامعة حلب ٢٥ ـ٣٠/ نيسان/ ١٩٨٧م في تونس ، وقدم بحثاً عن «حكم التشريح في الإسلام» .

التكريمات

١ ـ هيأة ملتقى الرواد في بغداد منحته عضوية الشرف في ١٩٩٤/٧/٥ .
٢ ـ جمعية التجمع الثقافي في أيلول (١٩٩٤) .
٣ ـ المجلس المركزي للاتحاد العام للكتاب والمؤلفين (١٩٩٦)
٤ ـ مهرجان الربيع الذي أقيم في الموصل (١٩٩٦) .
٥ ـ وزارة الثقافة والإعلام .

٦ ـ اللجنة الاستشارية للثقافة والفنون شهادة فارس في الإبداع في ندوة احتفالية الملا عثمان الموصلي في (٨ نيسان ١٩٩٦) .

٧ ـ جمعية المؤرخين والآثاريين ـ فرع الموصل رئيساً «فخرياً» لها (١٩٩٣) .

٨ ـ عضوية الشرف في الجمعية العراقية للتوثيق والمكتبات (١٩٩٦) .

٩ ـ كرّمته مؤسسة الآثار العامة في نفس اليوم مع سبعة من علماء وزارة الثقافة .

١٠ ـ كرّمته دائرة الآثار والتراث في (١٨ كانون الثاني ١٩٩٧) .

١١ ـ وفي نفس اليوم كرّمته جامعة الموصل .

١٢ ـ منحه اتحاد المؤرخين العرب منحني (١٤٠٨)هـ ١٩٨٧م) وسام المؤرخ العربي .

١٣ ـ كرم بعضوية الشرف في الجمعية العراقية للمكتبات والتوثيق والمعلومات ١٩٩١ .

١٤ ـ أسهم وبناءً على طلب الناشر البريطاني ,.Macmillan Pab. Ltd في موسوعة The Dictionary of Art وكتب لهم وكان ذلك عام (١٩٩١) .

١٥ ـ المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم التي تشترك بها تونس مع المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية ـ مؤسسة آل البيت قدم بحثاً عن (ابن مسكويه) ونشر في المجلد الثاني الذي طبع (١٩٨٣) .

١٦ ـ ساهم بكتابة في موسوعة الموصل الحضارية التي أصدرتها جامعة الموصل ، فكتبت فصلاً عن خطط الموصل نشر في الموسوعة .

١٧ ـ جمعية الأمين الأندونوسية طلبوا موافقته على ترجمة كتبه : التربية والتعليم في الإسلام ، خالد بن يزيد ، بيت الحكمة ، لتدرس في كلياتهم فوافق على هذا سنة (١٩٨٧) .

١٨ ـ وافق على طلب المركز الإسلامي في اليابان بنشر مقتبسات من الكتب المذكورة في نشرتهم عام(١٩٨٧) .